

# كتاب في أمر الحسبة

امضاه

صلاح الدين الأيوبي

الأستاذ الدكتور شارل بلا

لقد سبق لي أن نشرت في « حوليات الجامعة التونسية » ، ديوان  
دو بيتات لعماد الدين الإصفهاني و بینت في التوطنة الآسباب التي لأجلها  
اعتبرت بآنار كاتب صلاح الدين الأيوبي ، وأخبرت القارئ برغبتي في  
تحقيق جزء « البرق الشامي » المحفوظين في مكتبة أكسفورد و نشرهما  
في الغرب أو الشرق لكي يستفيد منها المؤرخون ، ثم تلفيت الأشرطة  
المصغرة المطلوبة فإذا فيها أخبار ممتعة و وثائق قيّمة و رسائل فاضلة<sup>(١)</sup>  
بديعة ، إلا أن تلك البدورة الفريدة غارقة في بحر من الكلام المموجع  
لا يعني عن شيء ؛ فلذلك أزمعت على النقاط المعطيات التاريخية المقيدة  
و نشر بعض الفصول على حدة .

فن ذلك أن القاضي الفاضل كان غائبا حين دخول صلاح الدين  
مدينة حلب في صفر سنة ٥٧٩ هـ ، فقام عماد الدين مقامه و كتب للسلطان

(١) العدد الثاني عشر ( سنة ١٩٧٠ ) ص ٥ - ٢١ .

(٢) سينشرها أحد طلابي السيد إبراهيم حفصى الذي يحضر الآن أطروحة في  
القاضي الفاضل و آثاره .

وأنشأ باسمه عدة مناشير مهمة ؛ فلم يخل الكاتب الإصفهانى من المحافظة على نسخ من تلك الوثائق لكي يدرجها في « البرق الشامى » ! و من أهم النصوص المحفوظة منشور يخص علاء الدين الكاسانى و توليه على المدارس الخفية بحلب و الرقة و منشور تان طبيب غير مسمى و ثالث لمحتسب حلب .

فرأيت أن أبدأ بالنص الثالث<sup>١</sup> لأسباب ، منها أن كتب الحسبة قليلة في المشرق بالنسبة إلى ما نجده في المغرب وخاصة في الأندلس ، و منها أن توقيع صلاح الدين له قيمة خارقة للعادة ؛ ولقد تبين العبر أهمية إنشائه إذ وسمه به منشور من إشائى لمحتسب حلب - وهو شريف - متضمنا شروط الاحتساب ، فسيرى القارئ أن الاعتبارات العامة حول الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وشروط الاحتساب على وجه العموم و مدح الشريف « فلان » ، الذى رأه السلطان أهلا لتولي الحسبة تحت مacula واسعا في المنصور بد أن ذكر صلاحيات المحسوب و واجاته لا يمتد إلا على ثلاثة صفحات : و مع ذلك لا يخلو هذا النص من أن يلفت الانتباه لأن الكاتب يشير إلى عادات وبدع مستحبة يجب على صاحب الحسبة استئصالها كما أنه يأمره بعض الآية حتى لا يبلغ بال مجرم ، حد الحد ولا يحمله من العقوبة فوق طاقته ، و يعتبر ذلك من حسن المعاملة ؛ و ما يحدى بالذكر أيضا أن المحسوب يجب عليه أن يستقيم في الديانة مذهبها ، و يصح فيها معتقده ، و لا يصون المحدثين في العقائد بما يوتفها ، و أن يقطع الألسن عمما يطلقها في أعراض السلف الصالح و يولغها ، و في ذلك تلميح واضح إلى تشيع أهل حلب و شعلق صلاح الدين بالمذهب الخافق .

(١) خطوط أكسفورد Marsh F ٤ ، من ورقة ١٠١ ظالى دزه ٤٠٣ .

و مما ينوسف عليه أن العهد لا يكفي عن التكليف فيبلغ أسلوبه  
النهاية في التعقد والغاية في التصنّع حتى إذا أراد أحد الباحثين أن  
يترجم صفحاته من صفحاته صادف صعوبات لا تذلل ؟ فلذلك اكتفيت  
بنشر النص على حاله دون أن أحاول أن أضعه تحت تصرف من  
لا يحسن اللغة العربية من المؤرخين المهتمين بسيرة صلاح الدين الأيوبي .

**منشورهن إنشائي لمحتسب حلب، وهو شريف،**

### متضمنا شروط الاحتساب

[ ١٠١ ] الحمد لله الآمر بالعدل والإحسان ، الناهي عن الظلم .  
والعدوان ، نحمده على ما قلده من الامتنان ، و هدى إليه من الإيمان ،  
ونسأله أن يصلى على سيدنا محمد ونبيه واضع الميزان ، بالقسط الواضح  
البرهان ، وعلى الله وأصحابه أهل الرحمة والرضوان ، وبعد ،  
فانا لما يفترض من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإجراء  
أمور الرعية على وفق أحكام الشرع المطهر ، وأنزدهم في معايشهم .  
و معاملاتهم بما يحظر عليهم ملابة الخطأ ، ويقيم الوزن بالقسط .  
للبدو والحضر ، حتى تدوم المعاهد بالعدل آهلة ، والمحاقن بالفضل حافلة ،  
والرعاية في ملابس الرعاية راقفة ، و سيدان<sup>(١)</sup> الأذايا و سراحينها<sup>(٢)</sup> عن  
سراب أمنهم جافلة .  
زرى أن نولي الاحتساب من بكرم محتده ، و يسمى سودده ، .

(١) في أصل المخطوطة : ما ينصر .

(٢) سيدان - بكسر السين . جمع سيدة (بالكسر) ; وهو الأئمدة أو الذئبات .

(٣) سراحين ، جمع سرحان (بالكسر) ، وهو الذئب أو الأسد .

فيض<sup>(١)</sup> في النباهة بالفضائل والزيارة عن الرذائل جده ، و من [١٠٢ د] يقوى بالتقوى نفسه و يشرق في أفق دينه بال توفيق رشده ، و تنبسط في الحق بالأيدي يده . و يخلص الله في الاستقامة عن سن<sup>(٢)</sup> الدل مقصده ، و من يستقيم في الديانة مذهبها و يصح فيها معتقده ، و يعرف بالتوحيد توحده ، فتحتتحقق لنهج سبيل الهدى تحرده ، و يصفو من شبه<sup>(٣)</sup> الشوائب مصدره و مورده .

ولما كان فلان - أداًم لله توفيقه - جاريا في زواحة البحار ، ونباهة الفخار ، على سن<sup>(٤)</sup> شرفه ، متبعاً في كرم الحند و صحة المعتقد سن<sup>(٥)</sup> سلفه ، شافعاً متهلهله<sup>(٦)</sup> في الإحسان بحسن مطوفه<sup>(٧)</sup> ، مغضباً عن مطامع المطامع بعين عزوفه و أنفه ، مهيباً لفضل وقاره . مصيناً في إراده وإصداره ، محيلاً قدح النظر في اختياره ، مستطيلاً على ذوى التقصير والاستطالة باتصافه وانتصاره ، عارفاً بأحوال الناس في المعاملات و المعاش ، ثابت القلب في ملابسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر رابط الجاش .

عوننا عليه في تولي الحسبة بحلب - حرسها الله - و فوضنا إليه أمرها ، و رفعنا به قدرها ، و قلدناه عملها ، و حلينا به عطليها ، استنامة إلى أماته ، و سكوننا إلى صيانته و دياناته ، و معرفة بشرف نفسه

(١) فيض : من وضح بضم بضم .

(٢) سن : بفتحتين .

(٣) شبه : بضم ففتح .

(٤) سن : بضم ففتح .

(٥) متهلهل و مطرف : بشد باء انتاء و العاء .

و عزوفها<sup>١</sup> ، و صدود همة عن كل ما تأباه المرأة و صدوفها ، و اعتنادا على أمانة التي على التقوى اعتنادها . واستنادا<sup>٢</sup> إلى حزامته التي [١٠٢ ظ] التوفيق استنادها ، و ثقة بسيرته التي بتايد الله ثقتها ، وفي مرضاته الله مقتها و مقتها<sup>٣</sup> ، و علما بسيرته التي لمح سناء محاسنها ، و مواليه للدولة التي أبهجت الإمام أيام أيامها .

فليتوال ذلك بنهاية تامة ، وكفاية لشمل المصالح ضامة ، وسياسة لبعث الشعب الملم لامة . وفي تهذيب الخاصة والعامة خاصة<sup>٤</sup> وعامة ، ونظر يذلل الجواجم ويروضها ، ومنه يستقل بالأمانة فهو ضها ، وفطنة يكشف بها من الخافيات غموضها ، وعدالة تقام بها من العدالة سنها وفروضها ، وهداية تنفي الضلاله وتنسخها ، ودراءة تحل عقد الشبهات وتفسخها ، وصرامة تلبى دعوه المستصرخ وتصرخها ، وسيرة يثبتوا كاتب اليمين وبوئرخها . و سطوة تدمير " الغواية و تدميغها . و شهامة تنتهي في حفظ الاعتدال إلى الغاية و تبلغها . و رأفة بالمتورعين في المعاملة توسيع عليهم المعيشة و تسوغها ، و عفة عن المطاعم والمطامع تضيق عليه حلل الثناء وتسبغها ، ومحافظة على خلقه<sup>٥</sup> ضد الإنكار بحفظه فيما يحفظه<sup>٦</sup> ،

(١) خط : عزوفها .

(٢) خط : استنادا .

(٣) خط : مقتها و مقتها : بفتح اليم و سكون القاف في الأولى و كسر اليم و فتح القاف في الثانية (من ومق يق ومقـ أو مقـة : أحـبـ) .

(٤) أى : وسياسة خاصة .

(٥) خلقه : بعض الحـاءـ .

(٦) يحفظه : بعض أيامـ .

و مراقبة الله في السر والجهر تباهي<sup>١</sup> بما لا يبهظه<sup>٢</sup>. و تفکر<sup>٣</sup> في  
الحوادث يخذه بالغیر<sup>٤</sup> و يعظامه . و نعیشة الله في سائر أحواله تُنذرها  
بالخواص و توفظه .

ولشرع في حفظ المعاملات على جدد<sup>٥</sup> الشريعة و منهاجها ،  
[ ١٠٣ ] وليسن جدتها بتجديد دعاء الناس إليها من إتهاجها ،  
وليعتمد في زجر الفجرة ما يؤذن باعجازها و إزعاجها ، وفي البرة بالبرة  
ما يفضى باعتباطها<sup>٦</sup> و اتهاجها .

وليعتبر أهل الأسواق : فمن أفاده إلها للسداد آلفه ، ومن  
عرفه جاهلا بالمشروع عرفة ، ومن وجده متجرزا في أمانه أو جده  
و خوفه ، ومن صادفه مائلا عن منهج النصيحة صدفة و ثقفة .  
ولتبع المسکر باراقته ، ولبقم الحد على شاربه في حال إفاقته ،  
و من ذاق منه من أهل التحرير ولو جرعة فليجرعه من الحد من مذاقه ،  
و من استوجب التعزير فلا يبلغن به حد الحد ولا يحمله من العقوبة  
فوق طاقته . ولبرد عمقت ذنبه ولا يخل بنصيحته<sup>٧</sup> ، لا يتتجسس  
على المسافر ففضى بإشاعة الفاحشة منه إلى فضيحته . و من التبس عليه أمره  
فليتوقف فيه حتى يسفر بالكشف عنه ليل الارتياح عن صديحته ، و من

(١) خط . تباهي ، تباهي : بضم الثاء .

(٢) خط : بيهضه ؛ بيهضه : بفتح الباء .

(٣) خط : و تفکر .

(٤) بالغير : بكسر الغين وفتح الياء .

(٥) جدد : بفتحتين .

(٦) خط : باعتباطها .

(٧) خط : بنصيحته .

تفرض فيه حالاً فلما يقطع فيه بها دون ظهور أمارتها ووضوح بنياتها  
بفرائسته وقريحته . وللينه عن "عش في المفروض والتفود ، وعن الربا  
في المفروض والمعقود ، وعن التصفييف في السكيل والوزن والذرع ، وعن  
التنكيب في المقادير والمقاييس والمقاييل عن العرف المعتبر في الشرع .  
وليس بحث عن أهل الصناعات كل البحث . [١٠٣] وعن  
المصنوعات جديدة الرث ، وسيئها والفث ؛ فمن شهد له أهل المعرفة  
بالبراعة ، أقره على ما يتعاطاه من الصناعة ، ومن رأه مقصراً نهاد عن  
التقصير ، أو مغرياً زدعاً عن الغرير بالتمزيز . أو مفرطاً عاقبه على  
التغريط ، أو مخلطاً أدمه على التخليط ، ومن عرفه جاهلاً بصنعته منه ،  
ومن أبصره غير بصير بحرفته قد عاه .

و ينبع الطرفين . و المعاطن للطب على [ ٠٠٠ ] المجمدين ،  
وليصدّم عن مداواة الأمراض ، و مراولة الأعراض ، و معالجة  
العيون ، و معاجلة الأدواء بالظنون . و بيع الأدوية المغشوشة و المجهولة ،  
و وضع أساميها على غير المقوله و المنسولة . و ازع المتبسين  
بالتسميم و الشعوذة و السكوانة ، و ليهن القاتلين بها و القاطعين بحكمها  
كل الإهانة ..

وليسن المساجد و بيوت العبادات ، من انحاذها حوانيت لذوي الصناعات ، و حلقا لذوى الحرافات ، و مخازن و ماساكن لذوى الصناع و التجارات ، و ليسكر غاية الإنكار كشف العورات ، لاسما في

(١) بنيات : بضم الباء ؛ وتشديد الياء وبنيات الطريق أمارتها و معالها ؛ وقد أثبتت ما ورد في النص من أن الكاتب يريد بذلك البيانات والدلائل . . .

(٢) و لینه: من نهی یمهی .

(٣) سقطت كلمة معناها: سبيل أو طريقة أو ما أشبه ذلك .

الخاتمات ، وليكف [ عن ] صون المتحدين في العقائد بما يوتفها ،  
ويقطع الألسن بما يطلقها في أعراض السلف الصالح و يولغها .  
وليلزرم كل ما يتبعن على المحتب و يلزمها ، و ليعمل بها يعرفه  
من الصواب و الصلاح و يعلمه ، من إطابة المعايش ، [ ١٠٤ د ] و إزالة  
الفواحش ، و إصلاح المكاسب ، و إيصال المذاهب ، و تبطيل الملاهي ،  
و تعطيل المناهي ، و تحسين العواند ، و تمسكين الفواند . و إيجاد المراسد ،  
و إعدام المفاسد ، و حفظ الأسعار و القيم ، و صون الأموال و العصم ،  
و إبعاد<sup>١</sup> أهل الريب و التهم و إبعاد<sup>٢</sup> أهل الظنن ، و إخماد نار الفتن .  
و من جملة ما يلزمها عمارة الطرق و تنظيفها ، و تشيد جوانبها  
و ترصيفها ؛ فإنه متولى اوقافها و الناظر في مصالحها و مصارفها ، و يجب<sup>٣</sup>  
أن يتولاها و يحافظ فيها على شروط واقفها ، مشمولاً من الدولة  
بأرض<sup>٤</sup> عوارفها . بجتنا من النعمة من أبغض مقاطفها<sup>٥</sup> ، محظياً من الحرمة  
في أعلى مراتبها ، معتملاً من الكرامة في أسمى مراقبتها<sup>٦</sup> ، مقتضاها بما فرق  
له عن الخدمة ، من وظائف الميسرة و رواتب النعمة .

و سهل الولاة والأمراء والشحن<sup>٧</sup> و التواب معاوته على  
ما ولناته و مساعدته و تقوية بيده ، على ما هو بصدده ، و إقامة جامه

(١) كذا في الأصل .

(٢) خط : ركب .

(٣) خط : باص .

(٤) خط : مقاطفها .

(٥) خط : مراقبه .

(٦) الشحن ، بكسر الشين وفتح الحاء .

ومنصبه وإنجاح مقصده، في إنانة أربه وتنفيذ أحكامه، ونمكبه من نقضه وإبرامه، وموافقته على حبس من يراه بإطلاقه، وإرهاف حد من با عن الحق ليضي فيه وإرهافه، وتلبية دعوهه وإجابتها، وانالله بغيته وإصابتها<sup>١</sup>، وتقليده في مذهب التهذيب، والتفويض إليه في مناهج التقويم والتاديب؛ واعمل في جميع [٤٠٤] ظ ذلك بالأمر العالى ومقتضاه، والاعتماد على التوقيع فيه - إن شاء الله .

(٥٠)

---

(١) الجملة مكسورة في الأصل .

## على محمود طه بين القديم والجديد

الأستاذ الدكتور سيد أحمد

التطور و معناه :

كان لا بد للحملات النقدية المكثرة التي وجهت إلى شرق و مدرسته أن تؤتي ثمرتها ، لأنها كانت تعبرها طبيعيا عن حاجة المجتمع الفنية في ذلك الوقت إلى شعر يتلامم مع روح العصر ، ويستمد صوره وأساليبه من الحياة التي يحياها الشاعر ، فل تسكن هذه الدعوة إلى التجديد وإلى اطراح القديم مجرد استجابة لنيارات أوروبية أو لكرامة القديم خسب ، ولكنها كانت تمثل اتجاهها عاماً لتطور المجتمع نحو حرية الفرد و نحو الاعتراف بذاته و نحو مواجهة مشكلات الحياة و التعبير عنها تعبرها مباشرة دون الانبعاث إلى أجواء من الخيال البعيد الذي يستمد صوره من يثاث قديمة : أزمنة غابرة بعيدة .

فلقد وجد الفرد وأحس إحساساً قوياً بوجوده فكان لا بد للشاعر إذاً أن يعبر عن ذاتيه وأن يتسم ذلك التعبير بالصدق والوضوح وأن يكون هناك تجاوب بين التعبير عن ذاتية الفرد وبين حاجات مجتمعه الذي يعيش فيه .

و لما كان الشعر القديم في أغلبه يتجاهل ذاتية الشاعر و يفرض عليه ألواناً من الولاء نحو مدوحه - وهو لام منصنع لم يكن يصدر عن صدق في الشعور أو عن حبة خاصة وإنما كان يقوم في الأصل

على الرغبة في الحصول على الجائزة والتهابا للهيبة والصلة - فقد كان الشاعر يضطر في كثير من الأحيان أن يكرر معانيه في مواطن متعددة . لذلك كان أول واجب على الشعر الحديث أن يطرح هذا القديم و أن يبحث عن أساليب جديدة تعينه على التعبير عن فرديته و تعينه على إبرازها في إطار يتميز بالصدق والوضوح ، وقد وجد شاعرنا أمثلة أمثلة من الشعر الأوروبي ، فرأى أن يحاكيها وإن لم تكن هذه المحاكاة قد وصلت إلى حد تقليلها تقليلها تماما إذ أن مثل هذا التقليد لا يمكن أن يكون إلا نعما لشعر الأوروبي ، فعنصر ذلك الشعر لا تتوفر في الأدب العربي وليس من الممكن على من أراد أن يقللها أن يجد بين يديه نوسانين التي تذكره من ذلك ، وإنما هو افتراض - إن صح هذا التعبير - . وبخراج للعنان بصورة مبتكرة فإن عنصر الغالب في هذه المحاكاة هو تحويلة إبراز الأخيلة و تحسبيها و رسم الصور في الشعر و التعبير عن التجربة الذاتية .

ولما كانت معالجة مشكلات شاعر النفسية والاجتماعية تستلزم وضوها و واقعية في الأسلوب كان لابد للشاعر أيضا أن يجانب أسلوب الشعر القديم وأن يسعى وراء أسلوب أقل ميلا إلى الألفاظ الرنانة التي تتطلب لذاتها وأفعال احتفالا بالأساليب الخطابية التي لا تنس غالبا بصدق الإحساس . وكذلك وجد الناقد الحديث مثاله في الشعر الأوروبي فانخذ مقاييسه و وضع أحكامها بناء على دراسته لذلك الشعر .

فالدعوة إلى تقليل الآداب الأوروبية لم تكن وليدة مجرد الاتصال بهذه الآداب ولكن لأن الآداب الأوروبية كانت تمثل الرغبات الأصلية في نفس الشاعر و ترك له حرية أوسع في التعبير عنها ،

و كان قوام هذه الحرية نوع الأغراض التي تتناهياً تلك الآداب و التي لم يقيدها عرف ولا تقاليد و قوة الصلة المباشرة بين هذه الآداب و بين نفوس منشئها .

و مع ذلك فان سلطان القديم كان من القوة و التأصل بحيث لم يكن من المستطاع هدمه بين يوم و ليلة ، فالرغم من الحالات النقدية و بالرغم من محاولات بعض الشعراء في التجديد بقى تيار القديم ماضياً في طريقه وإن ضاق به الطريق يوماً بعد يوم ، بالرغم من المدافعين عنه و المتحمسين لإبقائه .

ولقد استطاعت الدعوة إلى التجديد أن تتوّى بعض ثمارها فاستطاع بعض الشعراء أن يجد له تعبيرات شعرية محدثة و صوراً مبتكرة ، وأن يتخلّ عن الكثير من قيود القافية و بعض قيود الأوزان ، وأن يعبر عن ذاتيه و مشكلاته الاجتماعية بحرية لم تكن تناح لشاعر القديم . و لكن هؤلاء الشعراء المجددين لم يكونوا يستطيعون - ولو أرادوا - أن ينخالصوا كلية من سلطان القديم ، فكانت آثاره تظهر بين حين و حين في شعرهم و لقد كانت آثار القديم تظهر في هذا الشعر الذي يشبه بطبيعة موضوعاته الشعر القديم ، و كانت تظهر قليلاً في القصائد التي تختلف في موضوعها عن هذا الشعر ، و على محمود طه من بين هؤلاء المجددين الذين لم يكونوا يستطيعون أن ينخالصوا نهائياً من سلطان القديم ، و نحن إذا ما استعرضنا شعره وجدناه من هذه الناحية ينقسم إلى قسمين : قسم يتناول موضوعات لا تمت كثيراً إلى نفس الشاعر بسبب قوتها و إنما هو يتحدث عنها لأن العرف جرى على أن يتحدث كل شاعر ذي خطر عن مثل هذه المناسبات التي تحدث في المجتمع

(٢) الذي

الذى يعيش فيه ، وهو تقليد أكده شوقى قبل ظهور شاعرنا ، فلم يكن يدع مناسبة تمر في مصر أو في غيرها من البلاد إلا سجلها في قصيدة أو أكثر .

أما القسم الثاني من شعر على محمود طه فقصائده تعبّر عن تجاذب نفسية عرضت للشاعر ومشكلات اجتماعية أحس بها إحساساً قوياً بحيث أصبحت في مكان التجربة الذاتية من نفسه فهو لا يكتب عنها لمجرد أنها ظاهرة اجتماعية تستحق التسجيل كما كان يفعل شوقى وكما فعل هو في بعض شعره . وإنما يكتب عنها كأنها شيء من صميم نفسه ، فهو يحاول أن ينقلها وأضفخة المعالم بارزة الصورة ، على قدر ما تمكنه اللغة وما تسمح به قيود الشعر ، وكان طبعياً كما فلنا أن يختلف حظ القسمين من الخضوع لأثر القديم ، وأثر القديم إنما يظهر في القصائد التي نظمها في المناسبات ظهوراً أقوى لأنها لا تشير في نفس الشاعر إحساساً خاصاً وانفعالاً يميزها من بين عواطفه وانفعالاته الأخرى ف被迫 إلى الرجوع إلى الأسلوب التقليدي مستخدماً إياه للحديث عن المناسبات ومستعيناً بضمخامة الألفاظ وموسيقى الرنين عن الإصالة المطلوبة في الشعر .

و شاعرنا له قصائد عدّة من هذا النوع وردت متفرقة في دواوينه المختلفة على حسب المناسبات التي رأى أن يقول الشعر فيها - و أظهر مجموعة منها في ديوانه شرق وغرب ، فقد عدّدنا ست عشرة قصيدة من مجموع الديوان قبلت في المناسبات مختلفة مثل " يوم فلسطين " و " عودة المحارب " و " اندونيسيا " و " بطل الريف " إلى آخره ، ولم يكن على محمود طه يستطيع أن يتجاهل أمثال هذه المناسبات والبيئة الأدبية من حوله لا يزال يتحكم فيها العرف الذي سار عليه

شفق فترى شاعرنا ينظم قصيدة عنوانها، "لقاء و دعاء" في مناسبة زياره الملك عبد العزز آل سعود لمصر ، مطلعها :

لغاو کا فد کان حلم زمانی و عهد کا للشرق بغرا مانی ۱

و لا عهد إلا للعروبة و العلی لقلبيين في كفين يعتقمان

فهذا المطلع يعود بنا الفهقري إلى مطالع قصائد المدح في الشعر العربي وأضطرار الشاعر إلى المبالغة في التقطيم بطرق تكاد تجافي المنطق - قد استمر على محمود طه في الفصيدة وقد حصره الموضوع

و أملأ عليه الأسلوب أملاء، فنراه يقول:

هو الملك الفاروق في موقف المدى

تسیر إلیه الفلك دون غنان<sup>\*</sup>

و هذا البيت يقف وحده دليلا على أن تيار المعانى القديمة في المدح لا يزال يجدد له صدى في نفس الشاعر ولو رفعتنا كلمة "الفلك" ووضعنـا بدلا منها كلمة المطى مثلا، لصار ذلك البيت تكرارا مباشرـا لشعر العصور المتقدمة في المدح. ثم نرى الشاعر بعد ذلك يحاول أن يخلع على مددوحـه الصفات التي طالما ستعملها الشـهـراء من قبلـه في المدح ويحاول أن يجمعـها جـمـعا لـكـيـ تعـطـيـ الروـنـقـ الـلـفـظـيـ للـقـصـيـدةـ ماـ يـجـعـلـناـ نـخـسـ إـحـساـساـ قـوـياـ بـأـنـ هـذـهـ القـصـيـدةـ إـنـماـ هـىـ اـمـتـادـ مـبـاـشـرـ لـلـاسـلـوبـ القـدـيمـ فـيـ المـدـحـ، فـتـراهـ يـقـولـ:

(١) ديوان «شرق وغرب»، ص ١١١، الطبعة الأولى، سنة ١٩٤٧.

(٢) نفس المصدر ص ١١٣

(٢) نفس الم cedar ص ١١٤ .

ما الحب والإيمان والمجده والندي  
تمثل في آياتها ملكان

وتابع الصفات هنا عن الحب والمجده والإيمان والندي  
تجعلنا نحس بالنظم المعتمد على رصف الألفاظ وضع بعضها إلى  
جانب بعض افتقارا من الشاعر إلى المعنى ، ولقد حاول الشاعر بعد  
ذلك أن يخرج في القصيدة إلى استخلاص الحكمة في بيت أو يتيه  
على طريقة شوقى ، فتراه يقول<sup>١</sup> :

انفاس من حق و جامدة له  
بجمع يدير الرأى حول خوان ؟  
وليس لها من قوة غير السن  
وأفلام كتاب و سحر بيان  
وماذا يفيد الرأى لا سيف عنده

وماذا يصيب القول يوم طعان  
وأسلوب إطلاق الحكمة مألف لدى الشعراء القدماء ، و تتعبر  
آيات الحكمة تزيينا للقصيدة ، و ربما جرت بجري الأمثال ، وقد  
أكثر شوقى في ذلك المجال .

وهناك قصيدة أخرى لعلى محمود طه هي قصيدة "مهرجان  
الرفاف"<sup>٢</sup> وهي من المناسبات التي تفرض نفسها على الشعراء فرضا  
فيضطر الواحد منهم أن ينظم فيها تمشيا منه مع الجو الأدبي من  
حوله ، و نرى شاعرنا يبتدىء القصيدة بالفاظ ضخمة و يختار لها قافية  
الكاف وهو حرف يعطى جرسا قويا ، و تذكرنا هذه القصيدة بقصيدة المتنبي

(١) ديوان «شرق وغرب»، ص ١١٩ - ١٢٠.

(٢) ديوان «إالي الملاح النافع»، ص ٦٦.

الى مطاعها<sup>١</sup> :

أرق على أرق و مثل يارق و جوى بزيد و عبرة تترفق  
و مع الاختلاف في الموضوع فان البحر واحد و القافية واحدة  
و ربما يكون على محمود طه أشأها على نفس الروى و القافية لما فيها  
من موسيق خاصة تاسب هذا المقام .  
كما تذكرنا هذه القصيدة بقصيدة شوقى التي عنوانها "النيل"  
و الى مطاعها<sup>٢</sup> :

من أى عهد في القرى تتدفق و باى كف في المدائن تغدق  
و هى أيضا من نفس البحر و القافية مع اختلاف الموضوع  
و نرى في هذه القصيدة كيف يورث الشاعر معانى المدح التي تقوم  
على مبالغة تجاهي الواقع المادى في كثير من الأحيان ، و محاولة خلع  
صفات الأنبياء على المدح و كلها أشياء تدلنا على افتقار الشاعر إلى  
الإحساس الصادق و على أنه يستمد صوره و أخيلته الشعرية من الشعر  
العربي القديم . و لنتظر الآن إلى قوله<sup>٣</sup> :

لو رد فرعون و سحر دعاته و تسلموا بك بمعين و احدهم  
لقف عصاك عصيمهم فصابحوا لا سحر بعد اليوم ، أنت مصدق  
فيكانه أراد أن يعبد إلينا صورة موسى عليه السلام . و قصته مع  
فرعون فشبه المدوح بموسى مع ما في ذلك من بجافاة للذوق السليم ،

(١) ديوان المتني بدار الكتب تحت رقم ز ١١٩٦٩ ص ١٤٢ [ ديوانه : ٩٨ ] طبعة بيروت ١٩٥٨ م ] .

(٢) الشوفيات الجزء الثاني ص ٧٧ .

(٣) ديوان ليالي الملاح الثاني ص ٦٧ .

و حاول الشاعر مرة أخرى أن يجد من التشابه بين اسم فاروق و اسم أمير المؤمنين عمر وسيلة للدّلّاح ، فتراه يقول :

كِ وَقْفَةُ لَكَ فِي الْصَّلَاةِ كَأَنَّمَا عَمْرٌ نَحْفَ بِهِ الْقُلُوبُ وَنَخْفَقَ  
بِلِ نَظَرٍ إِلَى قَوْلِهِ :

الْمَسْجَدُ الْأَقْصَى يَوْدُ لَوْ اَنَّمَا أَسْرَى إِلَيْهِ بِكَ الْحَيَالُ الشَّيْقَ

وَهَذَا الْبَيْتُ يُعِيدُ إِلَى ذَهْنَنَا يَدِ الْبَحْرَى الَّذِي يَمْدُحُ بِهِ الْمُتَوَكِّلُ  
فِي قَصِبَتِهِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا<sup>١</sup> :

بِالْبَرِّ صَمَتْ وَأَنْتَ أَفْضَلُ صَانِمٍ وَبِسْنَةِ اللَّهِ الرَّضِيَّةِ تَفَطَّرَ  
وَلَوْ أَنْ مَشْتَاقًا تَكَافَفَ فَوْقَ مَا فِي وَسْعِهِ لَسْعَى إِلَيْكَ الْمَذْبَرَ  
وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْمَبَالَغَاتِ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ كَثِيرَةٌ وَيَكْفِيُ أَنْ  
تَوَرَّدَ هَذَا بَعْضُ مَا هُوَ مَشْهُورٌ مِنْهَا مِثْلُ فَوْلَ الشَّاعِرِ<sup>٢</sup> :

مَا شَنَّتْ لَا مَا شَامَتْ الْأَفْدَارَ فَاحْكُمْ فَإِنْتَ أَنْوَادُ الْقَهْمَارِ  
وَقَوْلُ أَبِي نُوَاسٍ<sup>٣</sup> :

وَأَخْفَتْ أَهْلَ الشَّرِكِ حَتَّىْ أَنَّمَا لَنْخَافُكَ النَّطْفَ الَّتِي لَمْ تَخْلُقْ  
وَنَحْنُ إِنَّمَا نَوَرَدُهَا هَنَا لِوَجْدِ التَّشَابِهِ بَيْنَ الْمَعْانِي الَّتِي أَوْرَدَهَا  
عَلَى مُحَمَّدٍ طَهِ فِي قَصِبَتِهِ وَبَيْنَ بَعْضِ هَذِهِ الْمَعْانِي .  
وَهُنَاكَ وَجْهٌ آخَرٌ لِلشَّبَهِ بَيْنَ ذَلِكَ النَّوْعِ مِنَ الشِّعْرِ وَبَيْنَ  
شِعْرِ الْقَدْمَاءِ وَذَلِكَ فِي اسْتِخْدَامِ الشَّاعِرِ لِلْأَفْاظِ قَلْ اسْتِعْمَالُهَا فِي الْلُّغَةِ  
فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ ، مَثَلُ ذَلِكَ مَا زَرَاهُ فِي قَصِيَّةِ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ<sup>٤</sup> :

(١) ديوان البحترى ، تحقيق عبد الرحمن البرقوى القاهرة ، ص ٢١٠ .

(٢) ديوان ابن هانى ، الأندلسى تحقيق المعلم شاهين عطية طبعات بيروت ص ٨٨ .

(٣) ديوان أبي نواس نسخة بدار الكتب تحت رقم ١٣٥٦٨ ص ٨٩ .

(٤) ديوان الملاح النائم ص ٦٠ .

لمن المواكب من بحثات متلها أو مت عصا موسي فشقّ التعليم  
فكلمة "العلم" من مترادفات البحر وهي مما قل استعماله في الأدب  
الحديث ، أو في البيت الآخر الذي يقول فيه<sup>١</sup> :

نواب شبك حينما طالعهم طاف الرحيق البابلي عليهم  
فاستخدامه للتعبير المأثور (الرحيق البابلي) إنما يرجع إلى شيوخ  
ذلك التعبير في الأدب العربي لأن خمر بابل ذات شهرة واسعة في  
اليمن العربية وأصبح من المتعارف عليه أن من مميزات الخمر وصفها  
بأنها بابلية ، ونرى شوقى يستعمل ذلك التعبير في قصيدة الأندلسية<sup>٢</sup> :  
يا نانع النصلح اشباء عواديـنا نشجى لواـديـك أـمـ نـأسـى لـواـديـنا  
إذ يقول .

لم نسر من حرم إلا إلى حرم كالخمر من بابل سارت لدارينا  
أو قصيدة الأخرى التي يقول فيها<sup>٣</sup> :

الـسـحرـ منـ سـودـ العـيـونـ لـفـيـتهـ وـ الـبـابـلـ بـلـعـظـهـنـ سـقـيـتهـ  
هذه أمثلة اختبرناها من بين القصائد الذي تشبه بطبيعة موضوعها  
الشعر القديم و سار على محمود طه في ذلك الطريق لم يبدل خطوه  
أبدا في شعر المناسبات ، فالقصائد التي قالها في " يوم فلسطين "  
و " مصر " و " حفلات التوبيخ " و " الزفاف " وغيرها من  
الموضوعات التي قد تبعد عن التجربة الذاتية المرتبطة بنفسية الشاعر  
ارتباطا " مباشرة " قد تخسر لها دائما الافتتاح باللفاظ الرنانة ، و اختيار  
لها البحور الطويلة مستعينا بذلك عن الإصالة المطلوبة في المعنى .

(١) نفس المرجع ص ٦٢ .

(٢) الشوفيات الجزء الثاني ص ١٢٧ .

(٣) نفس المرجع ص ١٨٧ .

و اختيار المناسبة في حد ذاته بعطينا البرهان على أن التيار القديم في قول الشعر لا يزال متدا إلى عصرنا . فنحن كنا نتظر وقد ظهرت الدعوة إلى التجديد وقام النقد على أساس مهاجمة الأغراض التينظم فيها الشعراء القدامى ، أن يترك الشاعر المجدد تلك الأغراض خصوصاً المدح و أن يعتبره مما لا يصح قوله في ، أو أن يحاول على الأقل أن يغير من طريقة النظم في هذه الأغراض و ذلك بالتجديد في البحر و القافية و الأخيلة .

و مسألة التجديد في الوزن و القافية من أهم ما سعى إليه المجددون و ربما كان التجديد في الوزن يستلزم اجيالاً طويلاً " لأن الفه الوزن و شيوخه في البيئة اللغوية يتطلب زمناً طويلاً و انتاجاً شعرياً كثيراً حتى يعتاده جمهور كبير من السامعين " <sup>(١)</sup> بل إن اختيار البحور الطويلة و الألفاظ ذات الرنين في ابتداءات قصائد المناسبات يرجع في ما يبدو إلى الفكرة السائدة بأن المناسبة تحتاج إلى استخدام هذه البحور لتعطيها المهابة و الجلال اللازمين لشعر المناسبة .

و يكفي أن نورد هنا أحصاء للقصائد التي قاها شاعرنا في هذه المناسبات المختلفة لنرى أنه اختار دائماً أحد هذه البحور وهي كالتالي :

<u>البحر</u>	<u>ديوان شرق و غرب</u>
المتقارب	إلى ابنه الشرق
الطويل	يوم فلسطين
البسيط	من الاعماق
الطويل	لغاء و دماء
الوافر	عودة المحارب

(١) موسيقى الشعر للدكتور إبراهيم آبيس ص ١٦ .

الكامل	بطل الريف
الطوبل	اندونيسيا
الكامل	في صفوف المجاهدين
·	شهيد ميلسون
البسيط	سوريا و عيد الجهاد
الكامل	الأمير المجاهد

ديوان الملاح الثاني :

البسيط	نصرع الربان
الكامل	أنيوم العظيم
·	مهرجان الزفاف
الطوبل	صدى الوحي

ديوان الشوق العائد :

البسيط	يوم المتقى
الطوبل	من وحى الهجرة

ديوان زهر و خمر :

الكامل	المدينة الباسلة
·	بعد مائة عام
السريع	حلم ليلة الهجرة

و رى من هذا الاحصاء أن هذه القصائد تكاد تكون محصورة في الطويل و البسيط و الكامل ، و ثلاثة من أكثر البحور دورانا في شعر المناسبات في الأدب العربي .

و مما نراه من أثر الفديم في هذه القصائد أيضا التزام القافية

(٥) الموحدة

الموحدة اي انه لم ينوع فيها بل استمرت خلال القصيدة كلها ما يختلف اختلافاً كلياً عن قصائده الغنائية الأخرى و يكفي ان نقارن بين مطالع هذه القصائد وبين الابتداءات في قصائد "كليو بترا" و "الجندول" و "خورة نهر الرين" وغيرها لترى الفرق واضحاً، فقد أعطى نفسه في تلك القصائد حرية انتوبيع في القافية فأعطاه ذلك القدرة على التعبير عن ذاتيه تعبيراً مباشراً .

ولم يكن أثر الشعر القديم يظهر في قصائد المناسبات وحدتها بل كان كثيراً ما يظهر في قصائد أخرى لأنّي على الشاعر الشكل التقليدي ، لأنّ موضوعها من الموضوعات التي تتصل بانفعالات نفسية عميقة كان من الممكن أن تعطي للشاعر مادة خصبة يستخدمها و يترجم عنها ترجمة صادقة دون الحاجة إلى الرجوع إلى موسيقى اللفظ والأوزان ، و من أمثلة هذه الموضوعات قصيدة "مصرع الربان" :

يا فاجر الموت كم للنفس اسرار؟ ذل الحديد لها و استخدمت النار  
واشفق البحر منها ، و هو طاغية عات على ضربات الصخر جبار  
حوالك احذوه مثل و تضجية لم نحوها سير . - أو ترو اخبار

يهول الأستاذ عبد المجيد عابدين <sup>(١)</sup> و هذه القصيدة من النوع الخطابي الذي ألفنا سماعه من أنصار المدرسة القديمة من الشعراء القدماء و المحدثين و يبدو أن الشاعر قد جعل نصب عينه أن ينظم القصيدة لغرض الالقاء المؤثر ..... و حسب القاري أن يستعرض الفاظ البيتين الأوليين ليرى مدى ما تدل عليه من معانٍ مثيرة للنفس و الحس معاً كال فهو و الموت و الامرار و الذل و الاستخدا

(١) ديوان ليالي الملاح الثالث ص ٣٨ .

والحادي و النار والاشفاق والضياع<sup>١</sup>.

و الذي نراه أن هذه القصيدة تختلف في موضوعها عن قصائد المناسبات لارتباط غرق الربان مع سفينته ورفضه أن يتركها بمعانى البطولة والتضحية التي هي ذروة من الذرى التي لا يمكن للنفس البشرية العادمة ان تصل إليها و هذا الإعجاب يثير في النفس انفعالات شئ كان من الممكن أن يترجم عنها الشاعر بأسلوب جديد يكون أقرب إلى نفوس القارئين دون الحاجة إلى الرجوع إلى الأخيلة و المعانى القديمة في البطولة ، ولكن يظهر أن الرصيد المخزن في ذهنه من شعر البطولة المتوازنة دفعه إلى الفول بنفس الطريقة التقليدية في أمثل هذه الموضوعات التي تمثل التضحية والشجاعة فانه قد استخدم نفس الأسلوب في الحديث عن المدينة المناسلة استانجراد :

طلعوا جباررة عليك و ثاروا و قفت انت و روحك الجبار<sup>٢</sup>

فاختار لها بحرا من الببور الطويلة . و التزم فيها القافية الموحدة و قصيدة ” مصر ” الى تحدث فيها عن حبه للبلاد ، و عن عاطفته الوطنية نراه يبدأها بقوله<sup>٣</sup> :

هوى لك فيه كل ردى يحب و دينك ، هل وراء الموت حب ؟  
ودينك مصر ، كل فتى مشوق إليك ، وكل شيخ فيك صب  
ويحمل بالفدى طفل فطيم و كل رضيعة في المهد تحبو  
ومضى بعد ذلك يذكر الخلافات الحزينة في مصر والأمي

(١) بين شاعرين مجددين ص ١٥٦ .

(٢) ديوان زهر و خمر ص ٦٢ .

(٣) ديوان شرق و غرب ص ١٠١ .

الذى يتناهى لتلك الخلافات فيقول<sup>١</sup> :

أ ارحام مقطعة وأرض تعادى فوقها أهل وصحب  
وأسواق تباع بها وتشرى ضماز هر للاهواه نهب  
يطوف بها النفاق وفي يديه صحائف افعمت زوراً وكتب  
وكلها مضينا في قراءتها تذكرنا قصيدة شوقي<sup>٢</sup> :

ألام الخلف يذكرون ألاماً و هنـى الضـجة الكـبرـى عـلامـاـ  
و على آية حال فـاتـناـ قد لا نـسـطـطـعـ ان نـضـعـ أـيـدـيـنـاـ عـلـىـ الشـبـهـ  
المـباـشـرـ بـيـنـ هـذـهـ الـفـصـائـدـ وـ بـيـنـ الشـعـرـ الـقـدـيمـ ،ـ كـمـ لا نـسـطـطـعـ أـنـ نـرـدـ  
كـلـ بـيـتـ فـيـهاـ إـلـىـ أـصـوـلـهـ مـنـ ذـلـكـ الشـعـرـ كـمـ كـانـ يـفـعـلـ مـنـ يـتـقـصـونـ  
الـسـرـقـاتـ وـ إـنـمـاـ العـمـرـةـ عـنـدـنـاـ بـالـإـحـسـاسـ الـذـىـ نـخـرـجـ بـهـ مـنـ قـرـاءـةـ  
الـقـصـيـدةـ وـ هـذـاـ إـلـاحـسـاسـ يـتـولـدـ مـنـ الـأـلـفـاظـ وـ رـيـنـهـاـ وـ مـنـ اـسـتـخدـامـ  
الـبـحـرـ وـ الـقـاوـيـةـ كـمـ بـيـناـ .ـ

وـ لـكـنـ هـنـاكـ ظـاهـرـةـ نـلـمـحـهـاـ خـلـالـ هـذـهـ الـقـصـائـدـ التـقـليـدـيـةـ وـ هـىـ  
رـغـبـةـ الشـاعـرـ فـيـ التـجـدـيدـ وـ تـبـدوـ هـذـهـ الرـغـبـةـ فـيـ مـيـلـهـ إـلـىـ تـجـسيـمـ الـمعـانـىـ  
تـجـسـيـمـاـ بـخـلـعـ عـلـيـهـاـ فـيـ كـثـيرـ مـنـ الـأـهـيـاـنـ مـنـ صـفـاتـ الـحـيـاـةـ مـاـ يـكـادـ  
يـعـطـيـهاـ صـورـةـ اـنـسـابـةـ .ـ وـ هـذـاـ مـيـلـ إـلـىـ التـجـسـيمـ يـغـلـبـ عـلـىـ مـعـظـمـ شـعـرـ  
عـلـىـ مـحـمـودـ طـهـ وـ يـعـدـ مـنـ الطـوـابـعـ الـمـيـزـةـ لـهـ فـنـرـاهـ فـيـ قـصـيـدةـ مـهـرـ جـانـ  
الـرـوـافـ ،ـ يـقـولـ<sup>٣</sup> ،ـ

وـ شـوارـدـ هـزـ النـجـومـ دـوـرـيـهاـ وـ الـكـوـنـ مـصـغـ وـ الشـعـاعـ يـصـفـقـ  
فـيـ لـلـهـ لـلـنـفـسـ فـيـهاـ هـزـةـ وـ لـكـلـ قـلـبـ صـبـوـةـ تـشـوـقـ

(١) نفس المرجع ص ١٠٦ .

(٢) الشوقيات الجزء الأول ص ٤٦٤ .

(٣) ديوان ليالي الملاح الثالثة ص ٦٦ .

ريا الأديم كلجة مسجورة يسرى عليها للالئك زورق  
غنو بها الشعر الطروب وأقبلت بالزهر حورياته تمنطق  
فذلك محاولة لتقريب المعنى إلى الذهن عن طريق التجسيم  
فبدلا من أن يستلهم بنات الشعر او شيطان الشاعر، كما كان يفعل  
القدماء، نراه وقد وصف حورياته التي أقبلت تمنطق بالزهر ولا انحرف  
حوريات الشعر إلا عن طريق الأدب البوتاني والأدب الأدريسي  
و في قصيدة " مصرع الربان " يقول<sup>(١)</sup>:

إذا السفينة في أمواجه رقصت على اهازيج غاهر اعصار  
واشجت السحب موسيقاه فاعتنقت واسدللت من خدور الشهب استار  
 فهو يرسم صورة السفينة فوق الأمواج الصاخبة واستعار  
لذلك ألفاظ الرقص والاهازيج والغناء الموسيقى ليان تارجح السفينة  
ونراه يصف ليالي البحر في الصيف بعد ذلك يقول<sup>(٢)</sup>:

إذا النـائم من آفاقه انحدرت وضـوات من كوى الظـلام، أنوار  
وأقبلت عاريـات من غـلـانـها عـرـائـسـ من بـنـاتـ الجـنـ أـبـكارـ  
وـ هـذـاـ مـبـلـ لـلـتجـسيـمـ يـأـنـ مـنـ طـبـعـ الشـاعـرـ فـبـالـرـغـمـ مـنـ غـلـةـ  
الـطـابـعـ التـقـليـدىـ عـلـىـ هـذـهـ القـصـائـدـ إـلـاـ انـ رـوحـ الشـاعـرـ المـجـددـ لـاـنـفـارـقـهـ  
فيـهاـ، فـبـرـىـ طـابـعـهـ المـبـيزـ فـيـ بـيـتـ أوـ فـيـ أـيـاتـ مـنـهـاـ مـنـ مـبـلـ إـلـىـ التـجـسيـمـ  
وـ مـبـلـ بـالـأـسـطـورـةـ مـاـ يـعـدـ مـنـ مـيـزـاتـ عـلـىـ مـحـمـودـ طـهـ، وـ تـجـلـيـ فـيـ إـشـانـهـ  
لـدـيـوانـ "ـ أـرـوـاحـ وـ أـشـاـجـ "ـ وـ "ـ أـغـنـيـةـ الـرـيـاحـ الـأـرـبـعـ "ـ وـ قـدـ يـظـهـرـ  
رجـوعـهـ إـلـىـ أـسـاطـيرـ فـرـعـونـيـةـ اوـ بـوـنـانـيـةـ فـيـ خـلـالـ تـلـكـ القـصـائـدـ الـتـيـ

(١) ديوان ليالي الملائكة ص ٣١

(٢) نفس المرجع ص ٣٢

وصفتها فترى في قصيدة "عيد التوبيخ" قوله :

فكأن روحًا عاندًا من طيبة في شباب ملوكها يتبع  
و هناك موضوعات لا تستدعى بطبيعتها أن يكون النظم فيها  
على الطريقة التقليدية وإنما لكتير ما نظم فيها اكتسب طابعا قد يم  
و صار الاصطلاح والعرف أن ينظم فيها الشعراء مثل موضوع  
المجرة والوحى و مولد الرسول وهي الموضوعات التي تمس العاطفة  
الدينية ، وقد أنشأ شوق فضائل عدة في تلك المعانى مثل قصيدة  
"نهج البردة" و "الهمزية" و "سلاقلبي" ، و اراد على محمود طه  
أن يسير في ذلك الاتجاه فأنشأ عدة فضائل مثل "صدى الوحى"  
(ديوان إيمالي الملاح الثاني) و حلم ليلة المجرة (ديوان زهر و خمر) و عام  
جديد (ديوان زهر و خمر) و من وحي المجرة (ديوان الشوق العائد).  
و قد تناول شاعرنا هذه الموضوعات بأسلوب تقليدى من حيث اختيار  
البحور الطويلة والتزام القافية الموحدة إلا أنه تناولها بطريقة  
قصصية محاذلا بذلك أن بحدده كما أشار هو في شعره ، فقال :

فنون به الأجيال واهتم بأية نرائهم شاد أو زانيل مشد  
و أرسله سمحا من فريحة شاعر يعيش برودح الصيد حتى المجدد  
ولو عقدنا مقارنة بين قصيدة "صدى الوحى" و همزية شوق  
لتبين لنا الفرق من حيث تناول الموضوع فشوق يعدد ميزات النبوة  
و علاماتها فيقول :

و العرش يزهو والحظيرة تزدهى و المتهى و السدرة العصاء

(١) ديوان إيمالي الملاح الثاني ص ٩٠ .

(٢) نفس المرجع ص ١٤٢ .

(٣) الشوقيات المجزء الأول ص ٣٦ .

و الوحي يقطر سلسلـا من سلسلـ و اللوح والقلم البـدـيع رواة  
وهـذا ما نـسـطـبعـ أنـ نـسـمـهـ الأـسـلـوبـ الـمـبـاـشـرـ فـإـرـادـ المـعـنـيـ  
فـيـ حـيـنـ أـنـ عـلـىـ مـحـمـودـ طـهـ لـماـ أـرـادـ أـنـ يـصـورـ لـنـاـ تـأـثـيرـ بـذـكـرـ الـوـحـيـ  
أـخـذـ صـورـةـ فـصـصـيـةـ لـلـوـضـوـعـ فـقـالـ<sup>١</sup> :

ذـكـرـتـ وـلـذـكـرـ خـدـيـثـ مـحـبـ وـقـدـ زـرـتـهـ لـلـيـلـ عـلـىـ غـبـرـ موـعـدـ  
وـلـلـيـلـ إـصـغـاءـ وـلـلـرـيـعـ عـوـلـهـ رـفـيـفـ كـهـمـسـ الرـوـحـ فـظـلـ مـعـبدـ  
وـقـدـ هـدـأـ الـمـصـبـاخـ إـلـاـ بـجـاجـةـ مـنـ التـورـ فـيـ عـنـيـ أـدـيـبـ مـسـهـدـ  
وـفـيـ فـصـيـدـهـ وـحـيـ الـمـجـاهـةـ رـاهـ يـنـظـمـ أـسـطـورـةـ هـزـيـعـةـ الشـيـطـانـ  
وـيـنـقلـهـ إـلـيـنـاـ شـعـرـاـ وـهـيـ مـحـارـلـةـ لـلـتـجـدـيدـ مـنـ غـيـرـ شـكـ<sup>٢</sup> :

أـرـىـ قـصـةـ الشـيـطـانـ تـسـنـ خـنـجـراـ  
تـوـهـجـ شـوـفـاـ لـلـدـمـاءـ مـضـارـبـهـ  
ئـسـلـلـ بـغـيـ مـقـتـلـاـ مـنـ "ـمـحـمـدـ"ـ

لـقـدـ خـيـرـ الـبـاغـيـ وـخـابـتـ مـآـرـبـهـ  
ذـلـكـ مـاـ تـلـمـعـ خـلـالـ هـذـهـ الـفـصـانـدـ مـنـ مـحـارـلـةـ وـصـفـ المـوـافـقـ  
الـعـنـيفـ وـالـخـارـجـ عنـ الـمـالـوـفـ وـمـنـ وـصـفـ الـمـشـاهـدـ الـرـهـيـبـ الـهـائـلـةـ  
الـتـيـ هـيـ مـقـومـاتـ الـرـزـعـةـ الـأـسـطـورـيـةـ عـنـ مـحـمـودـ طـهـ وـالـذـيـ بـعـينـاـ  
مـنـهـاـ هـذـاـ المـقـامـ هـوـ الـأـسـلـوبـ الـفـصـصـيـ الـذـيـ صـاغـهـ فـيـ بـدـلاـ مـنـ أـنـ يـورـدـهـاـ  
بـأـسـلـوبـ مـبـاـشـرـ .

تـلـكـ إـلـمـامـةـ عـامـةـ بـاتـبـاعـ عـلـىـ مـحـمـودـ طـهـ لـأـسـلـوبـ الـفـدـمـاءـ فـيـ شـعـرـهـ  
وـنـحـنـ وـإـنـ كـنـاـ قـدـ قـسـمـنـاـ شـمـرـةـ إـلـىـ قـسـمـيـنـ فـانـ لـيـعـتـ هـنـاكـ  
حـدـودـ فـاـصـلـةـ وـظـواـهـرـ بـمـيـزـةـ لـكـلـ مـنـهـاـ تـمـيـزـاـ تـامـاـ مـنـ الـآـخـرـ فـكـاـ أـنـ

(١) ديوان إلى الملاح الثاني ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٢) ديوان الشوق العائد ص ١١٩ .

مخاللات التجديد ظهرت في شعره الذي ثوحي طبيعته باتباع الأسلوب التقليدي، فكذلك ظهرت بعض المعانى المستمدة من الشعر القديم خلال القصائد التي تعد بطبعتها عن الشعر القديم، والمهم عندنا أن الشاعر لم يتبع أسلوب الشعر العربى التقليدى باستمرار وإنما قطع شوطاً ما نحو التجديد، مما سنتبيه فى الحديث عن القسم الثانى من شعره و هو ما يتصل بذاته الشاعر و يرتبط بنفسه .

وربما يكون الشاعر قد سار في ثيار التجديد لتأثره بمدرسة النقد الحديث وربما يكون قد سار في التجديد بطبعته ، وإنما الذى يبدو لنا أنه نقل كثيراً من تجاربه الذاتية في شعره و يتضح لنا ذلك من إدخاله لعناصر أوروبية في الصور الى رسها وقد ألمح النقاد إلى ذلك عند دراستهم لشعره فكتب الدكتور طه حسين تعليقاً على قصيدة غرفة الشاعر التي يقول على محمود طه فيها<sup>١</sup> :

أبها الشاعر الكثيف مضى الليل و ما زلت غارقاً في شجونك  
مسلمارأسك الحزين إلى الفكر و للشهد ذابلات جفونك  
و بند نمسك البراع و أخرى في ارتعاش ثمر فوق جينك  
و فم ناضب به حر أنها سك يطفى على ضعيف أينك

\* \* \*

لست تصغى لفاصل الرعد في الليل ولا يزدهيك في الإبراق  
قد تمشي خلال غرفتك السمت ودب السكون في الاعماق  
غير هذا المراج في صوته الشا حب يهفو عليك من اشفاق  
و بقایا النيران في الموقف الذا بل تبكي الحياة في الارماق  
فقد لاحظ الدكتور طه حسين أن " هذه الصور المتتابعة  
المختلفة حسان كلها ، ولكنها بعيدة إلى حد ما عن المألف من حياة

(١) ديوان ليائى الملاح الثانيه ص ٣٠ .

شعرانا الشرقيين ، إلا أن يكونوا مترفين قد ألفوا حياة الغرب وكلفوا بالشهاد في غرفة يضطرب فيها نور ضئيل شاحب وتفنى فيها بقايا الجذوة في الموقد ، وكل هذا يألفه الغربيون ، وهو يذكرنا بموسيه تذكيرا قويا<sup>١</sup> .

واعلنا نلاحظ أيضا كلف الشاعر بوصف المشاهد في وقت الشتاء كافية قصيدة غرفة الشاعر السابقة ، وكما في قصيدة "القطب" (ديوان الملاح النائم ص ١٢٨) وقصيدة "المدينة الباسلة" (ديوان زهر ونهر ص ٦٣) والمشاهد التي يصفها في التلوج وغيرها إنما هي صورة منتزعه من طبيعة أوروبا ، وربما يكون ذلك من شدة إعجابه بالأدب الأوروبي ومن تأثيره به . مما دعاه إلى نقل جوه معرضه عن البيئة والطبيعة المصرية وإسرافه في الإعجاب بكل ما هو غريب عن تلك البيئة . ويظهر ذلك في مقدمة قصائده النثرية حيث يقرر أنه زار تلك المناطق وأهدى قصائده إلى جيشه اللواني صادقين في معانٍ أوروبا ، ونرى ذلك واضحا في قصيده التي عنوانها "ألحان وأشعار في منزل ريتشارد فاجز" (ديوان شرق وغرب ص ٨) حيث يقرر في مقدمة القصيدة أنه زار ذلك المنزل بصحة فانة اسكندنافية استلهمت الجو فرسمت صورة له واستوحى هو قصيده التي يقول فيها<sup>٢</sup> :

يا للطريق الضيق الصاعد بين ربوبتين  
كاما خط على قدر خطى لعاشقين  
الشجرات حوله كأنها أهداب عين

(١) حديث الأربعاء الجزء الثالث ص ١٤٦ .

(٢) ديوان شرق وغرب ص ٨ .

ثم قصيدة اندرسية ( ديوان شرق و غرب ص ٥٣ ) التي يقول  
في مقدمتها إنها من ذكريات بحيرة لوجانو السويسرية في صيف عام  
١٩٤٦ و وصف لنا فيها جلسة مع إسبانية في حانة، و قصيدة " البحر  
و القمر" ( ديوان شرق و غرب ص ٣٥ ) التي يقول في مقدمتها إنها  
من ذكريات مدينة كان بالريغيرا الفرنسية ، و قصيدة "بحيرة كومو"  
( ديوان ليالي الملاح الثاني ص ٤٨ ) وصف فيها الجبال الشاهقة  
المحيطة بالبحيرة و وصف ركوه للسكة الموئية المعلقة للوصول إلى  
قمة الجبل<sup>١</sup> :

البحيرات و الجبال	تونحسن بالشجر
و تنفين بالغما	م وأسفرن بالقمر
و المرؤسات غادة	لبست حلة ال شهر
نشرت فوقها الدبوا	ر كما ينشر الزهر
و عبرنا رحابها	وأشارت لمن عبر
ها كها قبلة فن	رام فليركب الخطر
فسمونا لخدراها	زمرا تلوها زمر
في زجاج محق	لا دخان ولا شرر

و وصف على محمود طه لشاهد المائية يجعلنا نشعر من خلال  
قراءته أنه يرسم صورا متقاربة يختلط فيها المصaran : القديم والحديث  
و الألماني و العربي . فترى له تصانيد مثل كلوباترة و سيرنادا مصرية  
و خرة نهر الرين و طارق بن زياد ، تختلف فيها تلك الصور .

هذه الأمثلة التي اقتطفناها من دواوين الشاعر لتبيّن لنا اتجاهه  
إلى رسم أجواء و مناظر أوروبية تعطينا في الوقت ذاته دليلا على

(١) ديوان ليالي الملاح الثاني ص ٤٩ - ٥٠

إصاله التعبير الناشئ عن الأفعال المصاحب للتجربة و هو ما تدعو إليه مدرسة المجددين في الشعر ، فالتجربة الشعرية تنشأ أصلاً عن إحساس الشاعر بمشهد أو موقف إنساني فيمرن ذلك الإحساس في نفسه ويمتزج بمحصلته السابقة من الخبرة والمعروفة ولا يزال ذلك الإحساس يرعى و يتغذى من تلك المعرفة حتى يستحيل في النهاية إنتاجاً فينا ، وهذا المزيج الذي يولفه الشاعر من إحساسه و تصوره و أفكاره و يخرجه إلينا هو ما نسميه بالتجربة الشعرية ، وهذا يسوقنا إلى الحديث عن القسم الثاني من شعره و هو شعر التجربة الذاتية .

#### (٢) روح التجديد و مقوماته :

إلى جانب ما ذكرناه من الناحية التقليدية في شعر على محمود طه ، نلاحظ في شعره ما يدل على الاستجابة إلى التجديد و البعد عن الأصوات و اللغات القديمة التي تتردد في الشعر التقليدي فقد درج شاعرنا على استعمال ألفاظ بينها متخيراً إياها من بين المفردات العربية لتعطى أجواء حياتية لأن معانٍ هذه المفردات ارتبطت بمخالات مبهمة و رؤى غير واضحة .

، إذا أردنا أن ندرس شعره لنتبين منه إذا كان التجديد الذي ذهب إليه محاولة شمولية واعية بمعنى أنه كان يعرف مقومات التجديد معرفة منهاجة واضحة . و سار بما لتلك المعرفة ، وكلها انتقل من مرحلة دخل في مرحلة أخرى ، و إذا كان التجديد عنده محاولة غير شعورية أو حتى إليه بها انفعال داخلي فهو لا يملك إلا أن ينظم الشعر بالطريقة التي يمللها عليه الأفعال ، وإذا كان التجديد استجابة طبيعية لاقتاعه بالتجديد و اندماجه في مدرسته .

و من دراستنا لشعر على محمود طه نتبين استحالة الفرض الأول

بصورة قاطعة فالنحور الذى حدث في شعره لم يخرج عن مرحلتين وقد يناماها و هما شعره قبل الرحـلة بـلى أوروبا و شعره بعدها، ولو كان له منهاج معين درسـ تفاصيله لكنـ مراحل التطور أكثر تعددـاً و لـكان شـعره أكثر تنوعـا و تغيرـت أشكـالـه ، وأخيـلـته بما لـتـلكـ المراـحلـ ، و لكنـ الشـاعـرـ كانـ يـخـسـ في طـورـهـ الأـولـ باـخـاسـاتـ مـيـمـةـ نـتيـجـةـ الـحرـمانـ و الـفلـقـ الـذـىـ يـعـانـىـ فـلـونـ شـعـرـهـ فيـ تـلـكـ المـرـحـلـةـ بـلـونـ منـ الـحزـنـ ، و إنـ كـانـ فـدـ أـدـخـلـ تـجـديـداـ فيـ ذـلـكـ الـطـورـ فـاـنـماـ هوـ فيـ بـحـرـةـ الـأـلـفـاظـ الـذـىـ سـنـشـيرـ إـلـيـهاـ وـ هـذـهـ الـأـلـفـاظـ لـاتـكـفـ لـأـنـ قـوـلـ عـنـهاـ أـهـاـ مـهـجـ .

كـاـمـ لـاحـظـ أـنـهـ فيـ "ـ دـيـوـانـ الـمـلاـحـ النـافـهـ "ـ لـمـ يـلـجـأـ إـلـىـ المـقـطـوـعـةـ كـثـيرـاـ وـ ذـلـكـ مـنـ حـيـثـ الشـكـلـ الـخـارـجـىـ لـلـقـصـيـدـةـ اللـهـمـ إـلـاـ فـيـ قـصـيـدـةـ "ـ مـيـلـادـ شـاعـرـ "ـ وـ المـقـطـوـعـاتـ الـوـارـدـةـ فـيـهـاـ تـكـادـ تـكـوـنـ قـصـانـدـ صـغـيرـةـ لـهـ نـفـسـ خـصـانـصـ الـقـصـانـدـ التـقـليـدـيـةـ ضـمـتـ إـلـىـ بـعـضـهـاـ .

وـ ماـ عـدـاـ هـذـهـ قـصـيـدـةـ فـاـنـذـاـ زـرـىـ شـيـوـعـ الشـكـلـ التـقـليـدـيـ لـلـقـصـيـدـةـ فـيـهـاـ بـقـىـ مـنـ الـدـبـوـانـ ، وـ ذـلـكـ بـصـرـفـ النـظـرـ عنـ الـربـاعـيـاتـ الـوـارـدـةـ فـيـ قـصـيـدـةـ "ـ اللهـ وـ الشـاعـرـ "ـ وـ مـنـ ذـلـكـ نـتـيـنـ اـنـ الشـاعـرـ لـمـ يـكـنـ لـدـيـهـ اـبـضاـ اـنجـاهـ مـنـهـجـيـ للـتـجـديـدـ فـيـ شـكـلـ القـصـيـدـةـ الـخـارـجـيـ .

فـاـنـذـاـ أـرـدـنـاـ بـعـدـ ذـلـكـ اـنـ فـسـرـ اـنجـاهـ الشـاعـرـ إـلـىـ التـجـديـدـ وـجـدـنـاـ أـنـ أـولـ مـاـ دـفـعـهـ إـلـىـ هـذـاـ هـوـ اـقـنـاعـهـ بـأـنـ الـطـرـيـقـةـ الـقـدـيـمـةـ فـيـ قـوـلـ الشـعـرـ لـمـ تـعـدـ مـنـاسـبـةـ لـلـعـصـرـ الـذـىـ يـعـيـشـ فـيـهـ فـهـوـ قـدـ عـاـشـ فـيـ تـيـارـ جـرـكـ الـقـدـ الـحـدـيـثـ وـقـدـ شـهـدـ الـحـلـاتـ الـذـىـ نـظـمـهـاـ عـبـدـ الرـحـنـ شـكـرـىـ وـإـبرـاهـيمـ عـبـدـ الـقـادـرـ الـماـزـنـىـ وـعـابـسـ مـحـمـودـ الـعـقـادـ عـلـىـ شـعـرـ شـوقـىـ وـرـأـىـ أـنـ الـطـرـيـقـةـ الـقـدـيـمـةـ لـاتـبـتـ أـمـامـ الـقـدـ الـمـعاـصـرـ وـ اـسـتـجـابـتـ

طبيعة الفنية لروح التجديد خصوصاً أنه كان قد اطلع على آداب الغرب في الشعر الإنجليزي والفرنسي وقد ترجم كما رأى له بعض قصائد هاتين اللتين إلى اللغة العربية، وقد تركز ذلك في ذهنه حتى أنا نستطيع أن نقول إن محاولة التجديد كانت محاولة لا شعورية جاءت نتيجة لاقتنائه السابق بمدرسة التجديد، أما وصفنا لهذه المحاولة بأنها لاشعورية فيبدو من أن الغالب على شعره طابع واحد، وهذا الطابع يدل على أن تراكيز معينة "كانت مستقرة" في ذهنه، وأخيلة ثابتة بذاتها تظهر في مناسبات متعددة، حتى أنا نلاحظ أنه جاء إلى تجسيم المعنيات في قصيدة "ميلاد الشاعر" وكانت هذه محاولة جديدة فمن بجانبه ثم عاد فلما جاء إلى نفس الطريقة فيها تلا ذلك من الدواوين، وبما يدل على أن صدور الشعر منه كان عملية لا واعية حتى أن روح التجديد هذه قد تبلورت في محاولة تجسيم المعنى في قصيدة "ميلاد شاعر" يقول<sup>(١)</sup>:

و هنا جدول على صفحته يرقص النظل والسمى الواضح  
و على حافتيه قام يغدو من الطير هاتف صداح  
و فراش له من الزهر ألوان و من دبق الشعاع جناح  
دف في نسوة يناديه نوا رو عطر من الشّرى فواح  
و هنا ربوة تلألأ فيها خضراء العشب والندى الملاح  
فهي هذه الآيات روى ما خلعه الشاعر على مظاهر الطبيعة من  
أجواء خالية وما أعاره لتلك المظاهر من الطابع البشري - فالظل  
يرقص على صفحه النهر ، و النوار ينادي الفراش و العطر ينتشر من

(١) ديوان الملاح إثنان و مائة و سبعين - ٩٠

الأرض والربوة يلمع فوقها الندى ، فالصور تتبع واحدة بعد أخرى في ألفاظ ذات إيحاء جليل ، وكلما مضينا في فراحة القصيدة تبين لنا الجو الخيالي الذي يخلقه الشاعر ، وتبين لنا ما استوحاه من مظاهر الطبيعة للتعبير عن إحساسه . و تلك هي طبيعة الرومانسيين عند ما يندمج الواحد منهم في مظاهر الطبيعة و يذكر خلالها كما يذكر خلال نفسه فقد يرى في ذبول الزهرة موتنا شيئاً مما يصيب البشر و بدلاً من أن يقول إن الريح تهب بين الأغصان ، رأه يقول : إن الرياح تشن بين الأغصان ، و ذلك ما فعله شاعرنا في مواطن عده من شعره مما سنعرض له فيما يأتي من الحديث و نحن زاه في هذه القصيدة يتبع ذلك الأسلوب فيقول<sup>١</sup> :

صور جنة المفانين شئ كروى الحلم أو سواعي فكر  
 لا ترى نفس أو حس لديها غير شجو بفيض من نبع سحر  
 أفق الأرض لم يزل في حواشيه صدى حائز بالحان طير  
 و باحشائنه يرف ذماء من سنى الشمس خافق لم يقر  
 وعلى شاطئي الغدير ورود أغمضت عينها لطلع غدر  
 و سرى الماء هادئاً في حوا فيه يعني ما بين شوك و صخر  
 و كان البحر تسing فيه فبلات هفت بحالم نغر  
 و كان الوجود بحر من النور على أفقه الملائكة تسرى  
 ثم يستمر بعد ذلك متغرياً بمفانين الطبيعة أياماً غذاء وقد جمع  
 كل هذه المفانين و وصفها لتعبر عنها يحشه عند ميلاد الشاعر و يبين لنا  
 مهمته في الحياة كما عبر عن ذلك في أول القصيدة<sup>٢</sup> :

(١) ديوان الملاح الثاني ص : ١٠٠ .

(٢) نفس للرجم ص ٤ .

صور الحسن حوم حول مهند حف بالورد والعار الزكي  
و على ثغره يضيء ابتسام رف نورا بأرجوان ندى  
و على راحتبيه ريحانة تزدادى و قيثارة بلحن شجى  
 فهو يرى أن الشاعر يجمع بين صور الحسن ثم يتغنى بها على  
قيثاره بأعذب لحن و هذه الصور ليست إلا مظاهر الطبيعة التي يستوحىها  
دائماً ويخلع عليها الصفات الإنسانية .

فإن أضفنا إلى ذلك ما يتردد في الجزء الآخر من الفسم الثاني  
من شعره من ألفاظ مثل رف و رفيف : يهفو و شعاع و مشوق  
و مرح و ما إليها خرجنا في النهاية بفكرة رومانسية عن ذلك الشعر  
و المواطن التي تتردد فيها تلك الكلمات كثيرة جداً في دواوينه وقد  
تخرنا بعض الأمثلة لنقيم الدليل على ما نقول وفي قصيدة مخدع  
معنية يقول<sup>١</sup> :

و نسيم معطر خفت فيه قلوب و رفرفت أرواح  
و مني كلهن أجنهـة تهـفو و دنيـا بهـا يـدـفـ جـنـاحـ  
و في قصيدة الشاطئ المهجور يقول<sup>٢</sup> :

موجة السحر من خفي البحور اغمى القلب بالخيال الغمير  
أقبلى الآن من شواطئ أحلامى و ردى على نفح العبير  
و اصـحـىـ فـلـىـ رـضـجـىـ فوق آلامـهـ الجـسـامـ وـ نـورـىـ  
وـ نـخـنـ لاـ نـسـطـبـ انـ مـحـدـدـ بـالـدـقـةـ كـهـ مـوجـةـ السـحـرـ أـوـ صـفـاتـ  
شـواـطـئـ الـأـحـلـامـ أـوـ مـوـاضـعـ شـعـابـ الـقـلـبـ إـنـمـاـ هوـ عـالـمـ مـبـهـمـ مـنـ الـخـيـالـ  
استوحاهـ الشـاعـرـ وـ اـتـخـبـ تـعبـرـاتـهـ تـلـكـ لـيـصـورـ لـاـ ماـ يـحـسـهـ وـ ماـ يـرـيدـ

(١) ديوان الملائكة ص ٤٠ .

(٢) نفس المرجع ص ١٤٦ .

إن ينفله إلينا وفي قصيدة «أغنية ريفية» يقول<sup>١</sup> :

إذا داعب الماء ظل الشجر وغازلت السحب ضوء القمر  
و ردت الطير انفاسها خروق بين الدي والزهر  
ونسالت مطوفة بالهوى تناجي المديل وتشكر القدر  
و مر على الهر نغر النسم يقبل كل شراع عبر  
وفي قصيدة «على الصخرة البيضاء» راه يقول<sup>٢</sup> :

سمعت هدير البحر حولي فهاج في خواج قلب من بد اللح هادر  
وقفت أشبع الفكر فيها كأنها إلى شاطئ المجهول يسبح خاطرى  
و قد نشر الغرب الحزين ظلامه على ثيج الأمواج شعث الغدار  
و من خلفها تبدو التخيل كأنها خلالات جن أو ظلال مساحر  
فا هو الشاطئ المجهول وكيف اكتسب الغرب صفة الحزن و هل  
اللاموج غائر شعث ، وكل هاتيك الصور تصيف برهاناً جديداً على  
ولمع الشاعر بوصف لحالات المبهمة . وفي قصيدة قبر شاعر  
راه يقول<sup>٣</sup> :

وجاورته محلة باسقه نجعم في الوادي إلى جنبه  
كأنها الشاقلة الوامقه تقضى مدى العمر إلى قربه  
تن فيها النسمة الخافقه كما تحقق عن قلبه

\*\*\*

و يقبل الفجر الرقيق الإهاب يحنو على القبر بأصواته  
كاما ينشد نحت التراب لؤاوة تزري بلا لامـانـ

(١) ديوان الملائكة الثانيه ص ٤٦ .

(٢) نفس المرجع ص ٦١ - ٦٢ .

(٣) أيضاً ص ١٠٥ - ١٠٦ .

استل منها الموت ذاك الشهاب غير شاعر في الدجى تانه  
يظل يهفو فوق تلك الشعاب يطوف بالبنوع من مائه  
فالنسمة تشن و الفجر ينشد لولوة تزري بلا لانه والشاعر تانه  
و تلك العبارات مما يتعدد في شعر على محمود طه كثيرا كما قلنا  
وهاك مثل آخر نعطيه على تخبر الشاعر للاجواء الحالية ما أورد في  
قصيدة «خمرة الشاعر» حينما يقول<sup>١</sup> :

فتنة الشاعر في وحدته كل مساء

غنت الأحلام في غرفه لحن اللقاء

و سرت ترفض حوايه على خفق الهواء

ورفيف الحب والأنجم والشهب الوضاء

ولغيرى لم تكن تخطر في هذا الرواء

لا ولم ترو كهذا اللحن في هذه النصفاء

وكذلك نرى على محمود طه في قصيدة «الشاعر» التي أنشأها  
تحية للشاعر إبراهيم ناجي يعطينا فكرته عن مهمه الشاعر بنفس  
الطريقة التي تحدث بها في قصيدة «ميلاد الشاعر» حيث رأى أن  
الشعر نعم يتردد بين الحسب والألم، وأن قلب الشاعر يشارف  
النور في القم<sup>٢</sup> :

ورأى مولد الحبيبا ذ على شاطئ العدم

في رفيق من الندى وحبيب من النسم

وأطار من السنى جمع الكون وانتظم

(١) ديوان زهر و خمر ص ٤٠٤ .

(٢) د د د ص ٥٦٠ .

أو هو يتحدث على سير الشاعر في الحياة فيقول<sup>١</sup> :

يقطع الدهر وحده	ذاهلا تائه الفقدم
يسأل الليل والكواكب	والسحب والديم
ناح قبشاره الشجي	بما رق وانجم
وعلى خده جرت	عبرات من الندم
ذوب الحب قاببه	ورى جسمه السقيم
وجلا الغيب سره	بين عينيه وارتسم
ففرى في نشيده	أروع الشعر والنغم

فالشاعر عنده إنما يستوحى الليل والكواكب والسحب

لينظم مما توحى به إليه هذه الأشياء نفسها مؤنثاً بردده على قبشاره وهو في هذا الكون يعصر الحب والألم حتى يخرج للناس أنغامه وتلك هي بعض المظاهر الرومانسية التي تعنى دائماً بالآلام، وقد كان الرومانيون يعتبرون أن الإنسان طفل يهذبه الألم أو أنه ليس هناك شيء يسمى بالإنسان كما تسمى بالآلام، واصبحت تلك المعانى تياراً ينساب في الأدب الروماني ويلوئه باللوان قاتمة حزينة - ومرة أخرى نراه يعطي تلك الصورة عن الشعر عن رثائه لحافظ إبراهيم في قصيدة "شاعر مصر" فيقول<sup>٢</sup> :

وفي شعب الوادى وفوق رماله عصى - أو تهاوبل ساحر  
صوماع رهبان محاريب بجود هياكل أرباب عرش فياصر  
سرى الشعر في باحاته روح ناسك وتربيض أنفاس ونحوى ضهار  
وهمس شفاء تمل الروح عنده وتبسح في تيه من السحر غامر

(١) ديوان زهر ونهر ص ٥٧.

(٢) ديوان ليالي الملائكة الثانية ص ٩٩ - ١٠٠.

هو الشعر إيقاع الحياة وشدوها وحلم صباحها في الريع المبكر  
 وصوت بأسرار الطبيعة ناطق ول肯ه روح وإبداع خاطر  
 تلك العبارات التي وردت فيما سبق من أمثلة يرتبط معناها  
 مع كل قارئ بفهمه الخاص لها، وباحسسه الذي قد لا يشاركه فيه  
 أحد، وعند فراغنا من قراءة قصيدة من ذلك النوع تطوف بأذهاننا  
 صور خافية غير متميزة تربط بينما وبين المعانى التي يريدها الشاعر .  
 وللألفاظ الموجية آثر فعال في النفس ، فهو تفعل فعلها  
 المؤنس في القلب فتنقل بالإنسان من عالم الواقع المادى الجامد إلى  
 عوالم أخرى من الأحلام فتبعث في الذهن نشوة طيبة وترسل في  
 الصدر راحة وطربا ، ولم تسكن تلك الكلمات مما يتعدد في الشعر  
 العربي التقليدي وإنما هو تيار انتقل إلينا مع مطلع القرن العشرين ،  
 وزبما أثار مثل هذا الاتجاه خصومة بعض الناس ، ولكن يكفي أن  
 الشاعر اتجه إليه بروح المجدد الذي يريد أن يخلع عنه ثوب القديم ،  
 فلقد كان غرام الشاعر باستخدام تلك الألفاظ داعيا إلى أن يعيّب  
 عليه بعض النقاد تحديد قاموسه الشعر Vocabulary قوى الأستاذ  
 دريني خشبته في مقال له في مجلة الرسالة يقول<sup>١</sup> : «فن هذه الألفاظ  
 شعشع و ما يتفرع منها و عقرى و ما تصفه من خمر و وسيق  
 و جمال و لؤلؤ و ما إليه للاء و للاء و لؤلؤى و تذويب القلب في  
 الدموع وفي النظرة في الابتسام و مرح فالمجداف مرح و الحبيب  
 مرح الأعطاف و الجيد مرح و القلب مرح و مجنة فالخيال مجنة و الطيف  
 مجنة و السفن مجنهات و للريح اجنحة :

و عاد الأستاذ دريني خشبته هدافعا عن الشاعر وبين أنه

(١) مجلة الرسالة (سنة ١٩٤٤) ص ٨٦ .

استخدامه لتهك العبارات لا يعييه لأن لكل أديب وشاعر عبارات خاصة تميزه عن غيره .

و نحن قد بنا أن الشاعر قد استعمل كثيراً كلاماً مثل المعلم والعليم والمعلم : السؤود وصوصام وحليد (بمعنى جلد) في القسم الأول من شعره . وقد وصفناه بأنه يقرب بطريقته من أسلوب القدماء ، فكانت تلك الكلمات وأمثالها علينا على إعطاء الصور والأخيلة المناسبة لذلك "شعر لارتباط معانيها بالعصور التي شاع استعمالها فيها ، كذلك كان استعمال الشاعر للإلفاظ التي تحدثنا عنها في القسم الثاني علينا على إعطاء صور وأخيلة جديدة نعتقد أنها في الشعر التقليدي وتقرب بنا كثيراً من الشعر الروماني - وهناك ظواهر عده في شعر على محمود طه وفي أسلوبه تعطينا الدليل على تأثره بالرومانية - وقد لاحظ بروكلاند المستشرق الالماني تلك الظاهرة فقال<sup>١</sup> : " يدين على محمود طه أيضاً للر، مانديك الفرنسي في القرن التاسع عشر " ، وهو الاتجاه الخيالي الذي و الفوبي والعقلي ، وقد تأثر بهذا الاتجاه واتفع في اطراد بما تأثر به في خلق فن قومي في ديوانه " الملاح الثاني " ، الذي طبع في سنة ١٩٣٤ ( بعض القصائد المجموعة في هذا الديوان ظهر في المقتطف قبل الآن ) فقصدته " في القرية " قد و هبها لذكرى شبابه الذي قضاه في الريف عند دمياط ويتراوح فيها حال الطبيعة الواسعة الأفق في شمال الدلتا التي تسيطر على البحر والنهار .

و في " الصخرة البيضاء " يصور المكافحة بين البحر والأرض عند بحيرة المنزلة وفي " البحيرة " يعبر عن استحسانه لذكريات الشاعر لامرتين ، متابعاً له في قصidته " البحيرة " وهي مجموعة من المقطوعات

(١) مقالة بروكلاند في نهاية ديوان الملاح الثاني من ١٩٤٦ .

تحتوى كل مقطوعة منها على أربعة أبيات من الحفيف، وقصيدة العظيمة " الله و الشاعر " ذات صلة وثيقة بحكمة الامارتين و تتألف كل مقطوعة منها من أربعة أنصاف من السريع .

وقد أخرج شاعرنا كتابا سماه " أرواح شاردة " وضع فيه خلاصة دراسته للآداب الأوروبية، وهو دليل واضح على تأثر الشاعر بما قرأه في هذه الآداب وعلى إحساسه بجماليها ، فترجم طائفة من القصائد لبعض الشعراء الفرنسيين والإنجليز كقصيدة " البحيرة " للامارتين (ديوان الملاح الثاني ص ١٨٧) وكذلك ترجم قصيدة بيت الراعي لالفرد دي ثيني (ديوان أرواح شاردة ص ٦٨) وترجم قصيدة " القبرة " للشاعر الإنجليزي شيل (ديوان أرواح شاردة ص ٥٢) وقد وضع لكل من هذه القصائد مقدمة نثرية توضح راييه في أسلوب الشاعر المترجم عنه ، وقد أجمعت هذه المقدمات على إعجابه بما ترجم ، والإعجاب قوام التأثر ، فحصيلة الشاعر من المعرفة إنما تجمع مما أعجب به فوعته ذاكرته أو ما ترك اثره في ذهنه فهو متبع له ، و كل الشعراء الذين ترجم عنهم على محمود طه الشعراء الرومانسيون يجمع شعرهم بين التحدث عن الألم و التحدث عن البطولة واستحياء مظاهر الطبيعة .

و كما يبدى على محمود طه إعجابه بهؤلاء الشعراء الذين ترجم قصائدهم زراه يتحدث بروح إعجاب شديدة عن بودلير ، وهذا قد يبدو غريباً من شاعر رومانسي تأثر بما في الشعر الرومانسي من مثالية ونزوع إلى الخيال و مع ذلك فقد استطاع شاعرنا أن يجمع بين النزعتين فهو رومانسي من حيث الناحية التعبيرية، و Ashtonها على صفات الشعر (١٠) الرومانسي

الرومانسي التي ذكرناها و هو رومانسي أيضا حين لا يكون موضوعة متصلة اتصالا مباشرا بالمرأة كشعره في الطبيعة مثلا ( و ذلك سنعرض له بالتفصيل في حديثنا عن شعر الطبيعة عند على محمود طه ) ولكن حسبي في تناوله لموضوع المرأة ، إحساسه بجماليتها و يتبين من حديث على محمود طه عن بودلير أنه درس شعر ذلك الشاعر و أحس بما فيه من الجمال قرراه يبدأ مقالته عنه قائلا<sup>١</sup> لم يظفر الشعر الفرنسي في القرن التاسع عشر بمثل هذه الألوان الفريدة الرائعة التي استحدثناها بودلير و فرلين و رامبو ، و يستمر بعد ذلك مبينا لنا إحساسه عند قراءة شعر بودلير فيقول<sup>٢</sup> : « إن قراءة بودلير تمنحك لحظات سعيدة بين التسامي و الطموح إلى المثل الأعلى وفي المثبور و المنظوم من شعره موسيقى طلقة متوفرة كاتباهات الضمير رفافة رفيف التأملات الخاطفة على هوامش الصور العارمة » ، و حديثه هنا عن إحساسه يمنحنا دليلا آخر على اتجاهه إلى استعمال العبارات المبهمة عند ما يتحدث عن رفيف التأملات على هوامش الصور .

و قد لاحظ الدكتور محمد مندور تأثر شاعرنا ببودلير عند نقاده لـ « ديوان أرواح وأشباح » فقال<sup>٣</sup> : « ثم إنني وإن كنت لا أنكر على الاستاذ على محمود طه أنه يجمع على نظرته إلى الفن و الحبارة بين النظرة الرومانسية التي تجعل من الفنان صدى عابرا و روحًا مجذحة الخاطر ، و بين النظرة الحسية التي ترى في الحبيبين ، شقيقين من قبس

(١) أرواح شاردة ص ٢٥ .

(٢) نفس المترجم ص ٢٠ .

(٣) في الميزان الجديد ص ٢٢ الطبعة الأولى ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة  
النشر ١٩٤٤ .

مستعر ، و تجعل الشاعر يشم أنفاس فاتنة و رغبة ، يهتف بها جفونها المنكرا ، و تضج به الشهوة الجائعة ، فيشم رائحة الجسد المحترق ، على نحو ما كان يفعل بودلير الذي يتلمذ له على محمود طه على ما يظهر في هذا الانبعاث .

و الانضواء تحت لواء مدرسة بعضها من المدارس الأدبية امر جديد على الشعر العربي فان الشعراء القدامى لم يكونوا بصفة عامة إلا صورا متكررة مع اختلاف درجتهم في القوة و الضعف على حسب الابتكار في المعنى ، أما ان يتبع الواحد منهم مذهبا بعينه و نزعة واحدة فأمر لا يجد في الشعر القديم إلا نادرا لأن البيئة الأدبية لم ينبع فيها أمثال تلك المدارس المحددة التي تكتسب هيبات خاصة بها - بحيث تجعلها متفردة عما سواها من المذاهب و تستحق بذلك لقب مدرسة أو مذهب ، فشاعرنا عند ما اتخذ أسلوب الرومانسية لم يستمد ذلك الميل من روح البيئة الأدبية العربية و إنما استقام من الأدب الأوروبي بلا ريب ، ولا تتجلى نزعته تلك فيها أوردناء من مظاهر فحسب و إنما تتجلى في تخفيه لل موضوعات ذاتها و اصطياده للأنجواه الغربية غير المألوفة - ثم يتحدث عنها حديثا ذاتيا صرفا يميل فيه إلى وصف افعالاته و احساسه هو أكثر مما يميل إلى تصور الحقيقة الخارجية - فراه مثلا قد تخفي حامة بصفتها و يصف الحالين فيها من أهل الفن ، و هم فئة تميز بالشذوذ و الغرابة و الخروج عن المألوف في ملبسها و تصرفاتها و نحس عند قراءة تلك القصيدة بالجو العربي الذي يحاول أن ينقله إلينا<sup>١</sup> :

هي حانة شئ عجائبها معروفة بالزهر و القصب  
في ظلة باتت تداعبها أنفاس ليل مقبر السحب  
وزهرت بمصباح جوانبها صاف الزجاجة رافق اللهب  
فقد توخي أن ينتخب من العبارات ما يناسب ذلك الجو فالحالة  
يطلها الزهر و القصب و أنفاس ليل تداعب الظلة و اللهب الراقص  
ينشر الظلل ، وقد بين لنا بعد ذلك غرابة أنطوار الجالسين في  
تلك الحالة<sup>١</sup> :

من كل مرسل شعره حلقا و كأنها قطع من الحلق  
غليونه يستشرف الأفقا و يكاد يحرق قبة الفلك  
أمسى يسبغ حوله ورقا فكأنه في وسط معرك  
و هذه صورة للشاعر ، أخذها على محمود طه من هيئة الفنانين  
الأوروبيين التقليدية و ما ذاع بين الناس من صفاتهم النفسية و المظهرية  
سواء كان لذلك نصيب من الواقع أو لم يكن .

و في قصيدة « ميلاد زهرة » (ديوان زهر و خر ص ١٣) نرى اتجاه الشاعر إلى الموضوعات الموحية فهلا شك فيه أن الإزهار  
ما يبعث إحساساً فيها بالجمال فهو قد أراد أن يبين لنا إحساسه بجمال  
الزهرة في الروضة وأراد أن يبين فرح الطيور و الفراشات و الندى  
بميلاد تلك الزهرة<sup>٢</sup> :

يا شعراه الروض أين البيان أين أغاريد و الهوى و الحنان  
قد ولدت في روضكم زهرة يا حسنها بين الزهور الحسان  
حلم الفراشات و حب الندى و خرة النحل و سحر الاوان

(١) ديوان زهر و خر ص ٢٠ .

(٢) نفس المرجع ص ١٣ .

ولنأخذ مثلا آخر لتصيد الشاعر لل موضوعات الغريبة كقصيدة «سارية الفجر» (ديوان زهر و خمر ص ٢٤) فالموضوع في حد ذاته عادي، فسير امرأة في الصباح الباكر ليس مما يوحى بقول الشعر ولكن الشاعر تصور أن وراء سيرها قصة حب عاشر ورأى أن القصة لا تكمل إلا إذا رسم صورة الفجر وصور افعالاته لمرأة ومرآها تسير تحت المطر والقصيدة في مجموعها انفعال أحس به فقله إلينا .

و كذلك رى الشاعر ينادي الزهورات في قصيدة له سائلة إياها ألا تحزن وألا تسامي الانتظار، وحقيقة الأمر في هذه القصيدة أنه ينادي نفسه هو ويسر إليها من الحديث عن صاحبته ما يريد، ولكنه اختار الزهورات ليوجه إليها ذلك الحديث ونحن تخيل الشاعر وقد وضعها في إناه وجلس أمامها يزجي إليها حديثه . وفي تلك الصورة تظهر أمامنا معالم الرومانسية من حيث اختيار الماظر التي تتسم بالغرابة والخروج عن المألوف يقول الشاعر محدثا أزهاره<sup>١</sup> :

طال انتظاري ومضى موعدى وأنت مثلی ترقين المساء  
كم لك عندى في الهوى من يد يا زهراً أنت زهر الوفاء  
يا زهراً ويك لا تسامي ولا يرتكب الزمن الدائر  
لا تحزن وابتهجِ وابسمِ عما قليل يقبل الزائر  
أو كان للزهورات عقل لتعنى ما يقول الشاعر لها، أم كان لها  
إحساس لحزن وفرح ، إنما هو عالم من الخيال يريد أن ينتقل بنا  
الشاعر إليه لنحس معه عن طريق الزهورات بما يحس .

(١) ديوان زهر و خمر ص ٣٨ .

و كذلك يعمد الشاعر إلى منظر راقصة في حانة ليتحدث عن  
ثني جسدها في الرقص وعن خطواتها، ثم يضع ذلك المنظر في  
إطار من الخيال ويجعله بهالة من التعبيرات الموجية التي تحدثنا عنها  
في neckline حديث الرقص إلى جو من الروى الحالمة الذي تحرك الشوة  
و السرور<sup>١</sup> :

دعاهما الهوى عنده للشول      وما الفن إلا هوى و امثال  
نففت له شبه مسحورة      علت وجهها مسحة من خيال  
وفي روحها نشوة حملة      كمهجورة منيت بالوصال  
إلى أن يقول<sup>٢</sup> :

محيرة الطيف في مانج      من النور يغمرها حيث جال  
تخيل للعين فيما زرى      فراشة روض جفتها الضلال  
و زنبقة وسط بلورة      على ررف الشمس عند الزوال  
و كما بث الشاعر هيامه إلى الزهرات نراه في قصيدة أخرى  
يحدث النار وهو يهم أن يلقى فيها رسائل محبوبته وهنا تخيل الشاعر  
و قد جلس ليلة من ليالي الشتاء أمام مدفأة يرسل لها ضوؤها خافتا على  
وجهه فيوحى ذلك المنظر بحو من الخيال و السحر<sup>٣</sup> :

أيتها النار هذا المساء      فدى برده فانهضي واستفيق  
أيا نار كفای أتلج منه      فهلا بعثت بدفعه الحريق ؟  
اما فيك بعد حياة شب ؟      أما فيك من جذوة تل heb ؟

(١) ديوان زهر و خمر ص ٥٢ .

(٢) نفس المرجع ص ٥٣ .

(٣) ديوان الشوق العائد ص ٥٥ .

ثم بعد ذلك ملقيا بالرسائل في النار<sup>١</sup> :

خذى ملء شدقتك هذه الرسائل إن كان فيه ما يشبع  
خذيها كلها ولا تتهلى فنها الرقود و منك الأجيج  
ذلك ما يظهر لنا من تصيد الشاعر لأجواء غريبة و توخيه أن  
يشبع في تلك الأجواء غموضا وإبهاما و حرصه على أن يلف المعانى  
في أجواء من الخيال وهو أمر تميز بها الشعر الرومانسى الأوروبي كا  
تتحملت في شاعرنا تلك النزعة فكذلك ظهرت في شعره نزعة رومانسية  
أخرى من التغنى بالألم و المبالغة في تصويره فتحير لنفسه موضوعات  
عليها طابع من الحزن والأسى كقصيدة الموسيقية العميماء ( ليالى الملاح  
الثانى ص ١٠٧ ) واستوحى في تلك القصيدة مظاهر الطبيعة للتعبير عن  
حزنه ، وكانت العبارات التي استخدمها غير جوهرية في الموضوع ،  
ولكنها مما يشبع أجواء قاتمة و ظلالا في أذن السامع و اختيارها  
أيضاً لما لها من وقع موسيقى فكانت بمثابة طلاء خارجي لا يمت إلى  
القصيدة بسبب قوى<sup>٢</sup> :

إذا ما طاف بالأرض	شعاع الكوكب الفضى
إذا ما أنت الريح	و جاش البرق بالومض
إذا ما فتح الفجر	عيون النرجس الغض
بكيت لزهرة تبكي	بدمع غير مرض <sup>٣</sup>

و كما كان الشعر العربي التقليدى يبالغ في إهمال ذاتية الشاعر  
ويتحدث دائماً عن التجارب الخارجية و المناسبات كالمدح و المجاد

(١) ديوان السوق العائد ص ٥٦

(٢) انظر كتاب بين شاعرين مجددين ص ٩٢

(٣) ديوان ليالى الملاح الثانى ص ١٥٨

والرثاء كما يبنا فاننا نحس من شعر على محمود طه أنه كان يبالغ في إظهار ذاتيه وإحساسه، وتلك علامة من علامات الرومانسية التي تجعل هدفها الأول أن يضع الشاعر نفسه في شعره يضع آماله وآلامه ويعبر عنها تعبيرا ذاتيا صرفا، وفي النهاية لا تكون هناك حدود مرسومة للحديث لارتباطه ارتباطا مباشرا بنفس قائله التي لا نعرف من حالاتها سوى التغيرات الموجودة في العمل الفنى، وهذه الظاهرة تبدو لأعيننا عند ما نرى شاعرنا يتخذ في أكثر شعره خططا واحدا هو تجربة في الحب فهو يتحدث دائماً أبداً عن «القبلة» وعن «الأندلسية»، وعن «عاشقه» وعن «فتاة برن»، مما يميز دواوينه جيماً وتجربته في الحب تختلف اختلافاً جوهرياً عن الغزل العربي القديم في نزعاته المادية العنيفة، فالشاعر العربي عند ما كان يتغزل، كان يخصص جزءاً من قصيدة لوصف هياته وشوقه وتجربته التي لم تكن تتجاوز حد الظهور والعفاف في غالبه الأعم حتى اكتسب الحب الصفة العذرية أو الأفلاطونية (Platonic) وقد نحا شوق في غزله إلى ذلك الاتجاه، فلم يتحدث حديثاً صارخاً عنيفاً عن الشهوات في الحب، بل ذكر في أكثر الأحيان أوصافاً غزلية مما استمدت من روح الشعر العربي القديم، ويكتفي أن نذكر في هذا المقام ببعضها من قصائده في الغزل مثل<sup>١</sup> :

يا ناعماً رقدت جفونـه مضمـاك لا تهدأ شحونـه  
و مثل<sup>٢</sup> :

الله في الخلق من صب ومن عانى نفـنـى الفلوب ويـقـنـى قلبك الجـانـى  
صـونـى جـالـك عـنـا إـنـا بـشـرـى مـنـ التـرابـ وـهـذـا الـحـسـنـ روـحـانـى

(١) الشوقيات الجزء الثاني ص ١٧٤ .

(٢) نفس المرجع ص ١٧٥ .

و مثل<sup>١</sup> :

مضناك جفاه مرقده و بكاه و رحم عوده  
و إن كان في بعض الأحيان يصف لقاوه مع من يحب ولكنه  
لا يصف فتاته بأنها تضج بها الشهوة الجائعة ، أو يرى فيها رغبة يهتف  
بها جفناك المكسر ك فعل شاعرنا ، وأنها يمس وصف المرأة مسا لينا  
خفيفاً أقرب إلى التضمين منه إلى التصريح ك فعل في قصيدة زهله<sup>٢</sup> :  
و دخلت في ليلين فرعك و الدجي و لثت كالصبح المنور فاك  
و وجدت في كنه الجوانح نشوة من طيب فيك و من سلاف ملاك  
و تعطلت لغة الكلام و خاطبت عيني في لغة الهوى عيناك  
ولكن على محمود طه عندما يتحدث عن المرأة فانما يتحدث  
عن تجاربه معها وهي تجذب مادية و ليست متزعة من خيال الشاعر ،  
ففي قصيدة « حديث قبلة » يقول<sup>٣</sup> :

تسائلني حلوة المبسم متى أنت قبلني في فبي ؟  
تحدثت عنى وعن قبلة فيالك من كاذب ملهم  
فقلت أعايشها : بل نسيت وفي الثغر كانت وفي المعصم  
فإن تذكرتها فما حيلتي وها هي ذي شعلة في دمي  
سلى شفتيلك بما حسناه و من شفتي شاعر مغمرم  
هذه اللذائذ الحسية لم يكن يظهر حديثها كثيرا في شعر الغزل  
القديم فقد كان معظمها مثاليا يرسم صورة المحب وقد نبا به مضجعه

(١) الشوقيات الجزء الثاني ص ١٥٢ .

(٢) نفس المرجع ص ١٢٥ .

(٣) ديوان زهر و نهر ص ٢٢ .

و تقرحت جفونه من البكاء و نضب معين دمعه حتى بسكت عيناه دما ، و يرسم صورة الحبيب كثير الدل ممتنع الوصل طويل المهر متقلب الاهواه ، و هي صورة نكاد نجدها في أى ديوان من الشعر العربي القديم ، فهذه المادية في الحب إذاً تيار جديد يتحدث صراحة عن مفاتن الجسد و عن الاتجاه الجنسي في الحب وقد أكثر بعض شعراء المهر و خاصة من يعيشون في أمريكا اللاتينية كالباس أبو شبلة من هذا اللون<sup>١</sup> :

معناك ملتهب و كأسك مترعة فاسق أباك الخمر و اضطجعى معه  
لم تبق في شفتيك لذات الدما ما تذكرين به حليب المرضعه  
قومى ادخللى يا بنت لوطن على الخنا و ازنى فان أباك مهد مضجعه  
إن ترجعي دمك الشهى ... لنبعه كم جدول في الأرض راجع منبعه  
لا تعبي بعصاب ربك إزنه جرثومة من نارك المتدفعه  
في صدرك المحموم كبريت إذا لعبت به الشهوات ففر اضلعه  
وكذلك فعل بعض الشعراء في الدول العربية الأخرى كعمر أبي  
ريشة في فلسطين و نزار القباني في سوريا ، و الشاعر الأخير يصف  
في مقطوعة له افعالات مادية عنيفة فيقول<sup>٢</sup> :

سيرة صبي نهادك الاسمر في دنيا في  
نهادك كأسا شهوة حمراء تشعل لي دمي  
متراججان تراقصا في الصدر رقص مرئي  
فكى الغلالة واحسرى عن نهادك المتضرم

(١) ديوان أفاعي الفردوس طبعة دار الكشوف بيروت سنة ١٩٤٨

ص ٣٥ .

(٢) الشعر العاشر لمحمد عبد الطيف السحري ص ٩٥ .

لا تكتبى المتع الجمودة و ارتعاش الاعضم

نار الشباب بحلبيك أكولة بجهنم

و شاعرنا إن لم يكن يصل به الأمر إلى مثل هذا الإغراب في المادية فإنه يتوجه مثل هذا الانجاه مع اختلاف في الدرجة ، ففي قصيدة «فلسفة و خيال» يبدو من عنوانها أن الشاعر سيتحدث فيها عن فلسفته الخاصة أو جانب منها و لكننا نخرج من قراءتها وقد وضعنا أيدينا على اتجاهه في الحب إلى التواحي الحسية الجسدية ، و ربما أراد الشاعر أن يبين لنا أن تلك هي فلسفته في الحب إن صحت هذه التعبير<sup>١</sup> :

فنتلى و الحباء يصبح خديك      أثار تمثي بيهما أم دماء؟  
 مل، عينيك يا فتى الشرق أحلام      سكارى و صبوة و اشتئام  
 و على نفرك المشوق ابتسام      ضرجته الأشواق و الأهواء  
 إلى أن يقول<sup>٢</sup> :

قلت ياقنة الصبا حفلت دنياك      بالحب و المدى و الأغاني  
 ما أنارت حرارة الجسم المشتاق      إلا مرارة الحرمان  
 إن أجسادنا معابر أرواح ...      إلى كل رانع فنان  
 أنا أهوى روحية العالم المنظور      لكن بالجسم و الوجودان

و القصيدة في بجموعها تعبر عن رغبات حسية يتذوق فيها جهه من جسده لا من قلبه ولكنه مع ذلك لم يصرح بمثل الشناعة التي يصرح بها نزار القبانى وأضرابه إلا أنها نفس بتلك الرغبات إحساساً قوياً و كثيراً ما تتردد تلك المعانى في شعره وتلوّنه بما تعتبره لوناً مادياً ، ففي قصيدة "هي" يتحدث حديثاً صارخاً مشيراً عن مغامرة

(١) ديوان شرق و غرب ص ٤٤ .

(٢) نفس المرجع ص ٤٤ .

له في الحب، فيقول<sup>١</sup> :

تلفت فهذا خيال التي مرحت وفردت في وكرها  
وغرفتها لم تزل مثلما تنسمت حبك في عطرها  
إلى أن يقول<sup>٢</sup> :

إذا فتح الباب تحت الظلام فكيف ارتمازك في صدرها؟  
وكيف طوى خصرها سعادك دمرت يداك على شعرها  
وفي قصيدة أخرى اسمها تايس الجديدة، يطالعنا بمثل ذلك  
المحدث بصورة أكثر عنفاً وصراحة ولا يجد الشاعر فيه حرجاً في  
أن يحدثنا عن النهود وتسليمه عليها<sup>٣</sup> :

إنى عبدتك في جنى شفة ويد ووجه مشرق الوضح  
ولو استطعت جعلت مسبحى ثغر النهود، وجل في السبع  
تلك انجاهات لم تكن مالوفة عند القدماء بصفة عامة<sup>٤</sup>، ولا يعنينا  
من أمرها ما يوجه إليها من النقد وإنما نعني بالتحول البدائي في ذلك  
النوع من الشعر من الاتجاه بالغزل والحب إلى تلك الألوان الصارخة  
المشيرة التي انتقلت إلى الشعر العربي على لسان علي محمود طه وأمثاله  
من بعض الأدب الأوروبي ومن فكرة الشعراء الشرقيين عن الحياة  
المجنسية في أوروبا وتأثيرهم بما يتاح لهم من انطلاق أثناء رحلاتهم  
هناك، وإحساسهم الحاد نحو ألوان المجال النسوي في تلك البقاع،

(١) ديوان ليالي الملاح الثانية ص ٤٠ .

(٢) نفس المرجع ص ٤٦ .

(٣) نفس المرجع ص ٩١ .

(٤) نحن لا ندخل في حكمنا هنا أمثل أمير القيس وأبي نواس وبشار من  
لا يعبرون في صراحة وصفهم الغزل ممثلين لشعراء العرب .

و مما يمكن أن نلاحظه في هذا الصدد أن صورة الغلاف لـ ديوان "زهر و خر" تُنم عن اتجاه الشاعر في غزله الجسدي فع أن الفتاة مفروضة عبَّالْمِ ينس الفنان (الذى لا بد أنه استوحى محتويات الديوان وأرضى صاحب الـ ديوان) أن يحسر ثيابها لظهور ساقها إلى ما فوق الركبة ، نضيف إلى ما تقدم ما أتجه إليه على محمد طه من التجديد في موضوع الشعر عندما أنشأ ملحمتين أسطوريتين هما قصة "أرواح وأشباح" و "أغنية الرياح الأربع" التي أخرجها على شكل مسرحة و اعتمد في أولاهما على الميتولوجيا اليونانية وفي الثانية على نص من الأدب المصرى القديم ، و لقد حاول في كليهما أن ينظم قصيدة طويلة بالشعر ، و تكاد ترجع تلك المحاولة إلى تأثير الشاعر بمدرسة النقد الحديثة فقد أكثرت هذه المدرسة من الحديث عن خلو الشعر العربى من الملهمة وقارنت كثيراً بين الشعر اليونانى ، و رأينا كيف أحدثت حلتها على أغراض الشعر القديمة أثرها و أنجعه شوقى إلى تأليف المسرحيات ففتح بذلك الباب على مصراعيه أمام الشعراء ليدخلوا منه إلى خلق أغراض جديدة لقول الشعر .

فإذا عرضنا لقصة ، أرواح وأشباح ، رأينا أن الشاعر كان متأثراً فيها بقراءاته في الآداب الغربية بخاتمة الملهمة بعيدة عن جو التأليف العربى تمام البعد وقد نحدث فيها عن الحوريات من صوابح الفن ورباته واحتاج أن يضع في مقدمة الـ ديوان شرحًا وتعريفها بالاسماء التي أوردتها في ملحمته تلك الأسماء غريبة على سمع من لم يدرس الآداب اليونانية - و الصفات التي لازمتها في الآداب الأوروبية لم تكن معروفة في الآداب العربى و الذي نعرفه أن لكل من هذه الآلة

الآلهة صفة اختص بها وتميز من بين الآلهة الأخرى بحيث إذا ذكر في معرض الحديث الأدبي ارتبطت صورته بتلك الصفات التي تميزه عن غيره، ولم يكن الشاعر الأوروبي في حاجة إلى أن يضع تعريفاً لهذه الأسماء ولكن شاعرنا حين أراد أن ينظم ملحمته وضع مقدمة لها لتقرب إلى الأذهان تلك الأسماء، فقال<sup>١</sup>: ”وَجَدْتُ هِرْمِيسَ الَّذِي لَا مُشَبِّهٌ لَهُ بَيْنَ آلهَةِ الْإِغْرِيقِ فِي تَعْدَادِ صُورِهِ وَتَوْرُعِ مَذَاهِبِهِ وَتَنافُرِ طَبَائِعِهِ وَتَنافُضِ وَظَافِفِهِ، إِلَهٌ عَجِيبٌ شَادٌ لَانْقَ حَفَا بِالْمَهْمَةِ الْمُوكَلِ بِهَا فِي هَذِهِ الْفَضْيَةِ، وَمِنْ غَيْرِهِ، إِلَهٌ لَهُ فِي الْرُوحَيَاتِ وَالْأَدَابِاتِ؟“ ويعمل لنا الشاعر اختياره لهذه الشخصيات بالمصادفة فقد رأى تشابها بينها وبين أشخاص عرفهم فوجد روحه قد ذهبت فيها يشبه أحلام اليقظة وأرسل بصره إلى الطريق الصاعد البعيد فلم يبلغ بصره المدى وبدأت بصيرته عملاً بها حيث اتبى البصر فسمع حواراً يجري بين الحوريات من صواحب الفن ورباته.

ثم استمر بعد ذلك يعرفنا بسافو وبليتيس وتاييس والالتب وسامري وهاوي وموسوى - فالملحمة إذاً نتيجة دراسة وتحقيق أراد بها الشاعر أن يرسم صورة لصراع الجسد والروح . وهي فكرة ذاتية قديمة ، ونحن لم نعهد في شعراء اللغة العربية أن يعمدوا للأشاعير اليونانية ليستقوا منها موضوعات لشعرهم وإنما رأينا ذلك في آداب الأوروبيين سواء في أزمان الكلاسيكية أو الرومانية فنحن مثلاً نجد شبلي قد نظم ملحمته الشهيرة *پروميثيوس طليقا* - (*Prometheus Unbound*) - واستقى موضوعها من الميتولوجيا اليونانية وقد نظم كثير من الشعراء الأوروبيين ملاحم تدور حوادثها حول

(١) ديوان أرواح وأشباح ص ٢٩ .

أبطال اليادة والأودية - أما الشعراء العرب فلم يدونوا يتعرضون لآلة الإغريق الوثنين لأن مثل هذا الاتجاه أمر لم يألفه الذوق العربي ولم تكن ثم حاجة إليه في العصور المقدمة، ومن التعريف الذي وضعه الشاعر لهذه الشخصيات رى أنه تخبر معظمها من يمثلون الأهواء والشهوات العنيفة فهرميس إله اللصوص وصاحب مغامرات غرامية عنيفة ونابيس راقصة أتینية كانت حياتها غواية وفته، وسافو شاعرة إغريقية تغنى في شعرها بالأهواء العنيفة المضطربة واشتهرت بالمذهب الساف في العشق، وبليتيس شخصية وضع عنها الشاعر الفرنسي بيرلويس ديوانا باسمها ضمه أغاني الغزل المكشوف - فلا عجب إذاً أن تتحدث هذه الشخصيات حدثاً مكتشوفاً عن الشهوات والأهواء وأن تصور في جملتها تعذب المادة على الروح وتارون الفنون باللون الشهوات كا تقول بليتيس<sup>١</sup> :

وكم في الرجال سعار الوحش      إذا لمسوا الجنة الدافئة  
فلا تذرى فن هذا الفتى      بل الحيوانية الخامسة  
رأى جسم هواء فاشتاقه      فهاجت به النزوة المسكرة  
إلى أن يقول<sup>٢</sup> :

خطيبتها قصة المهمين      و إغراوها الفرح المعتقد  
بأرواحهم يرتفون الخلود      على سلم من متاع الجسد  
و الملحة تحمل في جملتها فكرة فلسفية يتحدث الشاعر في ثاباتها عن مهمة الفنان وعن قدرته على السمو والارتفاع رغم تكوينه الناقص ، ومن هنا رى أن الملحة أثارت للشاعر أن يبين

(١) ديوان أرواح وأشباح ص ٣٠ .

(٢) نفس المرجع ص ٥٦ .

رأيا له بوضوح واستفصاله وأعطته القدرة على صوغ ما يريد من الأفكار بعكس الفصيدة التي منها طالت فانها لم تسع له تلك الفرصة خصوصا و أن عنصر الحوار في الملحمة أكسبها نوعا من الحيوية ، و لقد كان لللحمة شأن كبير في الأدب الشعبي العربي ولكنها لم تدخل في الأنواع الراقية من الشعر ، و ظلت في منزلة اقل - ولو أن شعراء العربية عنوا بقصة عنترة و قصة أبي زيد الahlali بدلا من أن يتركوا أمرها للأدب الشعبي لتجمع في اللغة العربية بمجموعة ضخمة من شعراء الملائكة .

ونحن لا نريد أن نفيض في الحديث عن هذه الملائكة وأثرها في الأدب الشعبي ، و إنما ذكرناها لأن شاعرنا جاؤ إلى نظم ملحمة أرواح وأشباح ، التي أحسنا خلال قراءتها بغرابة الشخصيات الواردة فيها وبعدها عن جو الأدب العربي . أما مسرحية «أغنية الرياح الأربع» فقد تتبع فيها الشاعر خطى شوقى الذى يعد الرائد الأول للمسرحية في الأدب العربي الحديث .

ولكن هنا أيضا نلاحظ أن شاعرنا تخلى بموضوع المسرحية من أسطورة فرعونية قديمة مما يؤيد اتجاهه إلى ذلك النوع وما يدعونا إلى تسميتها بالنوعية الأسطورية عنده .

### **التجديد في الوزن والقافية :**

لقد تبين لنا فيما سبق أن القافية الموحدة كانت من مقومات الفصيدة العربية و أن التزام تلك القافية كان أمرا ضروريا في عصور الأدب الأولى و بالرغم من وجود بعض أنواع من الشعر لم تكن تلتزم فيها القافية الموحدة مثل بعض أنواع الرجز و الموشحات فإن

هذه الانواع اعتبرت في منزلة دون منزلة الشعر الجدى و نجد الباقلانى يقول في كتاب إعجاز القرآن صفحة ٥٨ ، فاما الرجز فانه يعرض في كلام العام كثيراً<sup>١</sup> و مع ذلك فانا لا نستطيع إغفال التطور الكبير في قوافي الموشحات التي نعترها حدثاً جديراً بالتسجيل في الأدب العربي فقد أعطت نظميها حرية واسعة في التعبير عن معانיהם و كان نوع الاوزان فيها مكملاً لتلك الحرية و اكتسبت موسيقى خاصة بها مما جعلها من أصلح أنواع الشعر للغناء - و كانت أفقاها تفصل بين أبياتها و الآيات تتغير قافيةها و بذلك تقترب بما الموشحات مما نسميه بالمقطوعة في الشعر الأوروبي الحديث (Sonnet) و مع ذلك فانها لم تترك أثراً يذكر في الشعر التقليدي من هذه الناحية بل بقيت محصورة في إطارها الغنائي الضيق - لذلك لم يكن غريباً أن يلتجأ الشعراء المعاصرون مع وجود تلك الأمثلة الناجحة في الشعر العربي إلى الشعر الأوروبي يختذلونه في محاواتهم الانطلاق من قيود القافية .

وما لا شك فيه أن التزام القافية الموحدة أمر مجهد للشعراء، فلا يكاد أحدهم يتعدى عدداً معيناً من الآيات حتى يخرجه التزام القافية إلى نوع من التعسف و الصنعة تفقد الشعر جزءاً كبيراً من جماله و لا تمنع الشاعر القدرة على نقل إحساسه إلى ذلك كانت رغبة الشعراء في ترك القافية الموحدة واضحة ، وقد حمل لواء هذه الدعوة طائفة من الشعراء اللبنانيين و السوريين الذين نزحوا إلى أمريكا و ساهموا في المحدثون بأدباء المهجر فقد أخرجوا لنا طائفه من الفصائد تتميز بالجمال الموسيقى و بالقدرة على نقل المعانى ، و من هؤلاء ميخائيل نعيمه و ايلا

(١) موسيقى الشعر للدكتور إبراهيم أنيس ص ١٣٧ .

أبو ماضى و جبران خليل جبران و غيرهم وقد وجدت القافية المتغيرة عند شوقي بعض الشىء و ظهرت في مسرحياته و لكن التنويع هنا آتٍ من طبيعة المسرحية ذاتها إذ أنه من المعذر على الشاعر منها أوى من القدرة أن يؤلف مسرحية يلتزم فيها قافية موحدة فضلاً عن أن ذلك يتنافى مع ما ينبغي للحوار المسرحي من حيوية و تنوع و حركة حسب اختلاف الشخصيات و المواقف ، و الدليل على ما نقول أن شوقي قد التزم القافية الموحدة في أكثر دواوينه إلا قصائد قليلة نظمها على نظام المخمسات أو الموشحات - و نذكر في ذلك المقام قصيدهه التي مطلعها<sup>١</sup> :

بحمد الله رب العالمين و حمدك يا أمير المؤمنينا

لقينا من عدوك ما لقينا لقينا الفتح و النصر المبينا

و على محمود طه كبقية المجددين من ناحية تغيير القافية قد اتجه إلى نظم المقطوعة في قصائده الغنائية - و المقطوعة تتبع للشاعر القدرة على التعبير عن نفسه لأنها تتعدد أجزائها تعطى الشاعر مجالاً أو شبه كاملة للفكرة ، و إنما تفضي في كثير من الأحيان إلى مقطوعة أخرى ، و بذلك يسهل على الشاعر الانتقال من معنى إلى معنى بحيث تصبح القصيدة في النهاية كلاماً متسلسلاً ( و هذا أظهر في القصيدة الأوروبية منه في القصيدة العربية التقليدية ) حيث يتحقق في الأولى نوع من وحدة الشعور و وحدة الموضوع بحيث تدور جميع المعانى حول ذلك الموضوع فخرج من قراءة القصيدة وقد تكونت لدينا فكرة واضحة عن الإحساس الذي يريد أن ينقله إلينا الشاعر .

(١) الشوقيات الجزء الأول ص ٣٣٠

وقد نظم شاعرنا قصائد مثل "الجندول" و "كليوباتره" و "خرة نهر الرين" و "سيرافادا مصرية"، والتزم في كل من هذه القصائد نظام المقطوعة الذي أشرنا إليه آنفاً فخلع عليها ذلك نوعاً من الموسيقى اللفظية والمعنوية ولأخذ مثلاً قصيدة خرة نهر الرين لنرى كيف تصرف في القافية وانتقل من مقطوعة إلى أخرى بفوات القصيدة في مجموعها ل هنا صافياً<sup>١</sup>:

كنز أحلامك يا شاعر في هذا المكان  
 سحر أنغامك طواف بهاتهك المغاني  
 بغر أيامك رفاف على هذى المجانى  
 أيها الشاعر ، هذا الرين ، فاصدح بالألحانى  
 كل حسى و جماد هنا هائف يدعو الحبيب المحسنا  
 يا اخا الروح دعا الشوق بنا فاسقنا من خرة الرين اسفنا  
 علم الفتنة يا شاعر ؟ أم دنيا الخيال ؟  
 أمر ورج عافت بين سحاب و جبال ؟  
 ضيحت بين قصور كأساطير الليالي  
 هذه الجنة ، فانظر أى سحر و جمال  
 و كلما مضينا في قراءتها رأينا كيف انتقل الشاعر بنا من  
 جزئية إلى أخرى ، والمقطوعة أصبحت لها فكرة وفيها خاطرة وموضع  
 يضم أشتاتها .

اما من ناحية الوزن ، فان الشعراء المحدثين لم يحددوا تجدیداً  
 حقيقياً في الأوزان لأن تطور الأوزان يحتاج كما قلنا إلى أزمة طويلة  
 حتى تتماد ساعتها الآذان لأن أول ما يجتذب انتباه السامع في الشعر

(١) ديوان ليالي الملاح الثانيه ص ٩٣ .

هو الموسيقة المعتمدة على الوزن قبل أن يستطيع تفهم المعنى ، فإذا حاول الشاعر اختيار وزن خاص به لم يذع قوله ولم يسهل ترديده بين الناس لأن شرط ذيوع الشعر أن تألف الآذان نعمته وموسيقاه ، ومن هنا زرى أن الأوزان التي اخترعت في الشعر العربي كالموشحات بقيت زمنا طويلا لا يلتفت إليها الناس حتى ألفتها الآذان فأقبل عليها الشعراء يتفنون في نظمها إلى أن استقرت ووضعت لها قواعد خاصة بها بحيث إذا خرج عليها الشاعر لم يعتبر نظمها من المoshحات ، وبالرغم من ذلك لم يقدر لهذه الأوزان أن تشيع في الشعر العربي كما قلنا مع أن بعضها كان يعتمد على تفعيلة واحدة في شطر البيت مما يفتح مجالا لا حد له أمام المجددين من الشعراء - ومن هنا كان الشاعر العربي يجد نفسه منساقا في تيار نظم الشعر على حسب المعروف من الأوزان لأن ذلك الاتجاه كان تجاوبا مع البيئة الأدبية من حوله فهو لا يستطيع أن يغير كثيرا في الألفاظ والآخيلة والأوزان لا يلقاء ذلك الاتجاه من معارضه ومقاومة شديدة .

ولذلك زرى أن الشعراء المحدثين اقتصر بتجديدهم على الحرية العددية في استعمال الوحدة الموسيقية للوزن ، فإذا كانت القاعدةعروضية أن تتردد ”فاعلان“ ثلاثة مرات في كل شطر من أشجار الرمل فأن الشاعر المجدد قد يبيح لنفسه أن يبني شطرا من أربعة تفعيلات وشطرا من تفعيلتين مثلا - على أن يتلزم هذا النظام في بقية القصيدة - فإذا استعرضنا شعر على محمود طه وجدنا أنه حتى فيما يمس هذا التجديد المحدود كان محافظا فهو يستخدم التفعيلات حسب أعدادها المصطلح عليها في العروض ولكن تجديده يظهر إلى حد ما في اختياره

لأوزان قصائده وقد لاحظنا أنه يختار البحور الطويلة لشعر المناسبة - وأغلبها في الطويل والبسيط والكامل كما أسلفنا - أما في قصائده الأخرى فإنه قد يختار الأوزان القصيرة .

تلك تiarات في القديم والجديد في الشعر تنازع على محمود طه فلم يسر في واحد منها وإنما انتقل خطوة من القديم إلى الحديث ونرى لزاما علينا أن ندرس بالتفصيل كل غرض من الأغراض التينظم فيها على محمود طه لتبيان لنا اتجاهاته فيها .



## منهج النويرى في «نهاية الأرب في فنون الأدب»

يستهل النويرى الفنون الخمسة من كتابه «نهاية الأرب في فنون الأدب» بمقدمة يكتبها هو عادة بنفسه. أما الأقسام والأبواب والذيول أنى توجد فإنه إما يكتبها بنفسه كمقدمات الفنون، أو يعمد إلى نظمها من الكتب التي يقتبس منها معلوماته أو مواده حول هذه الأقسام والأبواب والذيول، فيذكر أولاً ما حواه فن معين من الفنون المختلفة من موضوع، وهذا الموضوع من أقسام، وهذه الأقسام من أبواب وفصول وذيول، وما يشتمل عليه كل قسم في مادة خاصة وكل فصل من علم ومعرفة معينة.

ولنأخذ على سبيل المثال مقدمته حول «فن الأول»، في السماه والآثار العلوية والأرض والمعالم السفلية فقد كتب هذه المقدمة بنفسه يشرح فيها ما يحتوى هذا الفن من موضوعات وفصول وأقسام تتعلق بالسماه فقط فيقول<sup>١</sup>:

«قد اوردت في هذا الفن بذلة من (وصف السماء) التي هي قبلة الدعاء أو باب الرجاء، (والنكواكب انسارات) ذوات السنـا

والسناء، (والملائكة) الذين هم أولوا اجنحة مثني وثلاث ورباع، (والسحاب) التي تجود بوبلها، فتعدل في قسمها بين السهل والفار، (والرعد) الذي إن دنت يحيثها، (والريح) الذي إن اجتمعت يبيثها، (والبرق) الذي شبه بينان الحاسب والكف الخصيبي، والثاج الذي خلع على الأرض رداء المشيب، (وفوس السحاب) الذي تنكبه الجو فافرغ عليه مصبغات الخلل، رمي الجدب ببنادق البرد فباشرت بالخصب أهل الخلل، (والنيران) وعبادها وعدها، والستة وفصولها، والأعياد ومواسم ومتخديها، والأرض (والجبال، والبارى والرمال، والجزائر والبحار، والمياه) وإمدادها ومددها، (والليلي والأيام والشهور والأعوام، والعيون والأهوار، وطائعن البلاد) وأخلاق من سكنها من العباد، (والمباني، والمعاقل والمنازل) . . . . . الخ . وجعلته خمسة اقسام يستدل بها عليه ويتوصل من أبوابها إليه . فلاحظ أن هذه المقدمة تحوى جميع الأقسام والأبواب والفصول والمواضيع والمواد التي نأى تحتها، والتي يتناولها بحثاً ونقلأً واقتباساً في هذا الفن، فالكلمات التي جاءت بين القوسين تبدى بأن هذا الفن يشتمل على هذه المواد والمواضيع، في أبواب منفردة وفصول ملحقة، بتفصيل واف ويسهاب غير ممل، وذلك لكي يسهل على القارئ والباحث معرفة محتوياته بالفأه نظرة خاطفة على المقدمة، فيتسنى له الاستفادة والرجوع إليها في وقت الحاجة .

فلنأخذ «وصف النساء» المذكور أعلاه مثلاً، نجد انه القسم الأول من الأقسام الخمسة التي تضمنها الفن الأول من الكتاب،

و الذي ينقسم بدوره إلى خمسة أبواب مختلفة، فالباب الأول منها في مبدأ خلق السماه وبرهن عليه بآية قرآنية تقول:

«إِنَّمَا أَشَدُ خَلْقَاهُ امْسَاهُ بِنَاهَا رَفَعَ سِكْحَاهَا فَسُواهَا وَأَغْطَشَ لِبَاهَا وَأَخْرَجَ ضَخَاهَا»، ثم ذكر بأن السماه تذكر وتؤثر أيضاً، فشاهد الذكير قوله عز وجل «السماء منفطر به»، وقول الشاعر:

فَلَوْ رَفَعَ السَّمَاءَ إِلَيْهِ قَوْمًا لَحْقَنَا بِالسَّمَاءِ مَعَ السَّحَابِ

و شاهد التائب قوله تعالى:

«إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ»،

وقول الشاعر:

يا رب ، رب الناس في سمائه .

ثم آتى باسماء مختلفة للسماء أطلقها العرب عليها ومنها: الجرباء، والخلفاء، وبرقع، والرقيم، ثم نحدث عن سبب حدوثها ليبحث في الباب الثاني عن هبتها، وأسهب فيه إسهاباً حول الموضوع من الاستدلال بالقرآن الكريم إلى الأحاديث النبوية التي نقلها من كتب الحديث وخاصة الترمذى ثم يأتي بما ضربت به الأمثال حول السماء منقوله من كتاب الميدانى «بجمع الأمثال»، وما قررته الشعراء من الأشعار في وصفها وتشبيهها و معظمهم إسلاميون، وقد نقل في هذا الباب شعر كل من: عبد الله بن المعتز، التنوخي، أبي طالب الرقي، ظافر الحداد، حمد بن عاصم، أبي العلاء المعري، الرئيس أبي علي بن سينا و أبي عبادة البحري.

و ذلك لأن الجاهلين يندر عندهم وصف السماء و التشبيه الرائع بها في كلامهم يضيق أفقهم و ضحالة سوهم بالخيال و الندرة، ولقد ساق

الأمثلة على التشيه بالسماء من أقوال مختلف الشعراء منهم عبد الله بن المعتز حيث يقول :

وَفِي النُّجُومِ قَوْلُ ظَافِرٍ بْنِ الْخَدَادِ :  
رِبَاطٌ بِنْ فَسْحَجٍ خَضْلُ نَدَاهٌ تَفْتَحْ يَنْهٌ نُورُ الْأَقَاحِ  
كَانَ سَمَاءُنَا لَمَا تَبَعَّلَتْ خَلَالٌ نَجْوَمُهَا عَنْدَ الصَّبَاحِ

كان نجوم الليل لما تبلجت توقد جر في خلال رماد  
حكي فوق همت المجرة شكلها فواع تطفو فوق لجة وادي

وَمَا قِيلَ فِي الْفَلَكِ قُولُ أَنِّي الْعَلَامُ الْمَعْرِيُّ :

يا ليت شعرى وهل ليت بنافعه ماذا وراك ، أو ما أنت يا فالك  
وأحسن ما أورد في هذا الصدد قول أبي عبادة البحترى  
إذا يقول :

أناة أيها الفلك المدار أنهب ما تصيرف أم خيار  
ستلي مثل مانيل وتفني كا نفني ويفخذ منك نار

و بعد الاستدلال بالأشعار ، يبدأ الباب الآخر و ينجز فيه نفس هذا المنهج حتى يأتي عليه . فلنأخذ مثلاً ، الباب الثالث من القسم الأول من الفن الأول ، في « ذكر الملائكة » ، فوصف أولاً جبريل وكيفية هبوطه على الأنبياء و قال : إن عظامه الملائكة أربعة و هم : إسرافيل و ميكائيل و جبرائيل و عزرائيل و أقربهم منزلة من الله تعالى إسرافيل . ثم بين المسؤوليات التي عهد الله إليهم فقال : فجبريل على الجنود والرياح ، و ميكائيل على القطر و النبات ، و عزرائيل على قبض الأرواح ، وإسرافيل يبلغهم ما ينورون به . وقد استقى معلوماته هذه من كتب الحديث (١٦)

الحدث . ثم ذكر الكواكب السبعة : زحل والمشترى والمرجع والشمس والزهرة وعطارد والقمر، وذكر خواصها وأثرها بالتفصيل وقد نقلها من كتاب «المدخل إلى أحكام صناعة النجوم» - الفصل الثاني في طبائع الكواكب السبعة ، الموجود بدار الكتب المصرية ، القاهرة . ثم آتى بشعر يجمع بين الأسماء السبعة للكواكب كما يسميه الفرس :

لazلت تبقي وترق للعلا أبدا ما دام للسبعة الأفلاك إحكام  
مهر ومه وكيوان وتيير معا وهرمس واناهيد وبهرام

ثم آتى بذكر ما يتمثل به مما فيه ذكر الشمس فنقل ثلاثة أمثال من بجمع الأمثال للیداني ليأتى بأنصاف الأبيات حول الشمس . وبعد ذلك أقوال كل من الطائى وعلي بن الجهم وغيرهما بالإضافة إلى عشرة شعراء مختلفين ، ومن أحسن ما نقل في هذا الصدد قول الطائى :

فإن رأيت الشمس زيدت محجة إلى الناس إذ ليست عليهم بسرمد  
وقول أبي انتخ البستى :

فالحر حر عزير النفس حيث ثوى والشمس في كل برج ذات انوار  
ثم شعر في وصف الشمس وتشبيهها ، مختلف الشعراء منهم الوزير المهللى ، وأبو هلال العسكرى ، وطغراوى وغيرهم ، ومن أحسن ما أورده في هذا الموضوع قول أبي هلال العسكرى :

والشمس واضحة الجبين كأنها وجه الملية في الحار الأزرق  
وكانها عند انبساط شعاعها تبرىذوب على فروع المشرق  
واما وصفت به الشمس وقد قابلت القمر قول الشاعر :

اما ترى الشمس وهي طالعة تضع عننا إدامه النظر

حراء صفراء في نلوتها كأنها تشتكى من السهر  
 مثل عروس غداة ليلتها تمسك مرتاحها من القمر  
 ومن أحسن ما نقل لوصف "الطلع والزووال والغروب قول أعرابي :  
 بخباة أما إذا الليل جنها فتحن ، وأما في النهار فظهور  
 إذا انشق عنها ساطع الفجر وانجلي دجي اللبل وإنجحاب الحجاب المسنة  
 على الأفق الغربي ثوب مصفر  
 شعاع تلألأ فهو أبيض أصفر  
 ترى الظل يطوى حين تبدو وتارة راه إذا زالت عن الأرض ينشر  
 فافت قرونا وهي في ذاك لم تزل نموت وتحيا كل يوم وتنشر  
 وقد يأتي أحياناً بذكر الشيء على طريق الذم مثلاً فصله الذي يقول  
 فيه « ذكر شيء مما قيل في الشمس على طريق الذم »، كقول ابن  
 سناه الملك :

لا كانت الشمس ، فكم أصدأت صفحة خد كالحسام الصقيل  
 أو ذكر القمر على طريق الذم ، كقول ابن الرومي :  
 رب عرض مسرزه عن قبح دنسه معرضات الهمجاء (الأبيات)  
 ومكذا يأتي بالأشعار لمحول الشعراء يهجون بها الشيء المعين أو يعيونه  
 بأقوالهم .

ومن المقدمات إلى كتابها "نويرى بنفسه على هذا النحو مقدمته  
 على الأنساب ، حيث بدأها قائلًا : يقول الله سبحانه وتعالى "إِنَّا أَبْيَا  
 النَّاسَ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذِكْرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شَعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارِفُوا"  
 ومعرفة أنساب الأمم ، مما افتخرت به العرب على العجم ، لأنها احترزت

على معرفة نسبها، وتمسكت ببنين حسبيها، وعرفت جماهير قومها وشعوبها، وأ Finch عن قبائلها لسان شاعرها وخطيبها، واتخذت برمطها وفصالتها، وعشائرها وما ت إلى أفعاذهها وبطونها وعمازها، ونفت الدعى فيها، ونطقةت بمل فيها .

بهذه المقدمة أوضح فيها التوبرى بايجاز ، ما يحتوى عليه هذا الباب من الموضوعات والمواد ، ثم سار نفس المنهج الذى سبق ذكره في هل ما ضمن هذا الباب .

ومن أمثلته أيضا المقدمة التي استهل بها « الفن الثاني - في الإنسان وما يتعلق به »، فكتب يقول :

« وهذا الفن قد اشتمل على معان مؤنسة للسامع ، مشففة للسامع ، مرصعة لصدر النطروس والدفاتر ، جاذبة لنواافر القلوب والخواطر ، واضحة للبيان ، معربة عن وصف الإنسان » .

« فن (تشبيهات فانقة ، وغزليات رائفة ، وأنساب ظاهرة ، وروقانع ظاهرة ، وأمثال) أمنت أطابها ، وتبينت أسبابها ، (وأوابد) جعلتها العرب عادة ودليلا ، واتخذتها ضلاله وتبديلا ، ونصبتها أحکاما ونسكا ، وصيّرتها عبادة ومدعاوة ، فتبُوأت بها من النار دركا ، وشيء من (أخبار الكهان ، وزجر عبد الأرثان) وكتابات نقلت الألفاظ إلى معان أبيه من معانيها ، وبلغت النقوس بعذريتها غابة أمانها ، (والغاز) غورت بالمعنى وأنجذبت ، وأشارت إليها بالتأويل حتى إذا قربتها من الأفهام أبعدت ، (ومدانع) رفعت للمدوح من الفضل منارة ، (وأهاجي) صبرت المهجو من القوم يتوارى ، (ومحون) ترتاح إليها عند

خلوها النقوس ، و يبتسم عند سماعها ذر الوجه العبوس ، و شيء مما قيل في  
 (الخز والمعاقرة ، و أرباب الطرف) و ذوى المسامرة ، (و تهان) نشرت  
 من البشائر ملأه ، و رفعت من المحامد لواه ، و تعاز حسرت نقاب  
 الحسرات ، و أبرزت مصون العبرات .

و أوردت فيه نبذة من (الزهد والإيمان) و جملة من (الدعوات  
 المستجابة) ، . و طرزته بذكر ملك ، مد رواق العدل ، و نشر لواه الفضل ،  
 و قام بفرض الجهاد و سنه ، و أرائع العدو في حالي يقظته و وسنه ،  
 و عم الأولياء بمواصلة بره و موالاة نواله ، و فهر الأئمـاء بمراسلة  
 سهامه و مناضلة نصاله ، و شمل رعايـاه بعدلـه و جودـه ، و أردف سرايـاه  
 بجيوشه و جنودـه ، فهو الملك الذى جمع بين شدة البأس و لين التدى  
 وأزال مرارة الآيـاس بحلـوة العـطـاء .

وما يحتاج إليه لإقامة المـمـكـة : من نائب ناهيك به نائب ، و يـكـفـ  
 بعزمـه كـفـ الحـوـادـثـ و يـذـلـ بـحـزـمهـ منـابـ التـوـانـبـ ، و يـنـصـفـ الصـعـيفـ  
 منـ القـوىـ ، و يـفـرقـ بـدـيهـتـهـ بـيـنـ المـرـيبـ وـ الـبـرـىـ ، و يـتـفـقـدـ أحـوالـ  
 الجـيـوشـ وـ يـصـرفـ هـمـتـهـ إـلـيـهمـ ، وـ يـجـعـلـ اـهـتـامـهـ بـهـمـ وـ فـكـرـتـهـ فـيـهـمـ وـ تـعـوـيـلـهـ  
 عـلـيـهـمـ ، إـلـىـ غـيرـ ذـلـكـ مـنـ اـسـكـالـ عـدـدـهـ وـ الـمـطـالـبـ بـعـرضـ خـيـوـلـهـ  
 وـ إـصـلـاحـ عـدـدـهـ ، وـ سـدـ ثـغـورـ الـمـهـالـكـ وـ ضـبـطـ الـطـرـقـ وـ تـسـهـيلـ الـمـسـالـكـ ،  
 وـ قـعـ المـفـسـدينـ ، وـ إـرـغـامـ الـمـلـحـدـينـ ، وـ بـثـ السـرـاـيـاـ ، وـ تـبـيرـ الـأـرـزـاقـ  
 وـ الـعـطـاـيـاـ . وـ وزـيرـ يـشـيدـ قـوـاعـدـ مـلـكـ بـحـسـنـ تـدـيـرـهـ وـ جـمـيلـ سـدـادـهـ ،  
 وـ يـعـملـ فـكـرـهـ فـيـهاـ يـسـتـقـرـ بـسـيـهـ نـظـامـ الـمـلـكـ عـلـىـ مـهـادـهـ ، وـ يـأـمـرـ بـتـحـصـيلـ  
 الـأـمـوـالـ مـنـ جـهـاتـ حلـهاـ ، وـ يـقـرـ مـنـاصـبـ الـدـوـلـةـ الشـرـيفـةـ فـيـ الـكـفـلـةـ  
 مـنـ أـهـلـهـ ، وـ يـتـصـفـ الـأـقـالـيمـ وـ الـمـعـاملـاتـ وـ الـأـعـمـالـ ، وـ يـسـكـنـ  
 لمـباـشـرـتهاـ أـمـنـاءـ النـظـارـ وـ مـحـقـقـيـ الـمـسـتـوفـينـ وـ كـفـاـةـ الـعـهـالـ .

و قائد جيوش إن انتدبه للفاء عدو بدر الكثائب، و انهل من دمائهم السمر العوالى ، و علا هامهم باليضر القواضب ، تتبه عاكر تنفر قلوبهم عن الفرار ، ويحلوا من قاتلهم من أعداء الله دار البار ، يدرعون السارية الذواائل<sup>١</sup> ، و يعتقلون السهرية الذوابل ، و يتغلبون المشرفة البوائز ، و ينكبون القسى النواائر ، و يمتنعون من جواد صفا منه أديمه و عيناه و حوا فيه ، و انسع منه جوفه وجهته و مناخره ، و طال منه أنهه و عنقه و ذراعه و قصر منه ظهره و ساقه و عسيبه و امتد عند الخصر باعه . فهو من أكرم الأصحاب و المعنى بقول الفائز :<sup>٢</sup>

و قد أغندى قبل ضوء الصباح و ورد القطا في الغطاط الحاث  
بصافى الثلاث عريب الثلاث قصير الثلاث طويل الثلاث  
و ذكرت ما ورد في فضل الرباط و الجهاد ، وما أعد الله تعالى من الثواب لمن أفقق في الطوارف و التلاد . وبذل الـ كريمين - النفس

(١) « السارية » دروع دقيقة النسج في احكام و « الذوايل » جمع « ذاتنة » وهي الطويلة .

(٢) نقد استئنفي (النويرى) المؤلف عبارته هنا و معلوماته عن الحيل الجديدة مما ذكره أىوب ابن اقرية وقد سأله الحجاج عن صفة الجواب من الحيل فقال : القصير الثلاث ، الطويل الثلاث ، الرحب الثلاث ، الصافى الثلاث . فقال : صفهن . فقال : أما الثلاث الطوال والأذن والعنق والذراع . و أما الثلاث الفصار ؛اظهر و الساق و العسیب . و أما الثلاث الرحبة فالجبهة و المنيخر و الجوف . و أما الثلاث الصافية فالأدیم و العینان و الحافر . و قد جمع بعض الشعراء ذلك في بيت واحد . (نفس البيت الوارد في نص المقدمة) وأورد حكاية أخرى في نفس المعنى عن صعصعة بن صوحان وقد سأله معاوية : أى الحيل أفضل؟ فقال : الطويل الثلاث ... إلى آخر الحكاية (راجع نهاية ٢٠/١٠).

و المال - لحسن المال ، و هجر الحبيبين - الوطن والعمال - بلوغ الآمال .  
و من قاض يحكم بين الناس بالعدل ، و يقدم ذوى النباهة ، الفضل .  
و متول مظالم يردها على أهلها تهربه و سلطانه و سلطته و أعوانه .  
و ناظر حسبة يجري الأمور على قواعدها الشرعية و أوضاعها العرفية  
و قوانينها المرضية - إلى غير ذلك .

« من كاتب ذي رأى صاحب ، وفهم ثاقب ، انقادت له المعان  
بأشهل زمام ، وأغنت صحافته عن صفحات الحسام :  
لولا حظت عين ابن أوس كتبه ما قال : إن الميف منها أصدق ،  
و كاتب خراج ضبط بقلبه الأموال ، و حرر بنياهه الغلال ، و بسط  
الموازين ، و وضع القوانين ، و فصل بين الخراجي و الظلالي ، و ميز ما بين  
الأعمال و التوالى .

« وما لابد لذلك منه من خواص جبت على محنته قلوبهم ،  
و تحفاف عن المضاجع في خدمته جنوبهم . و من معقل شمخ علا الجوزاء  
بأنفه ، و اخذ الثريا و شاحا لعطفه ، و تواري في قرار التخوم اساسه ،  
و لاح للساري ككوكب الظلماء مقابسه . فالارض ندعه ، لأنه ثبت  
علي مناكبها ، و السباء تنازعها فيه ، لأنه تمنطق بكواكبها ، والجبال تقول :  
مني اخذت أحجاره ، و المياه تقول : على استقر قراره ، و جفن السحاب  
يهمع لأنحطاطه عن هذه الرتبة ، و الطير تقول : إن لم أبلغه فقد اتحد به  
من يبني و ينهي نسبه . و ضمنت هذا الفن من المنقول ما يسهل تعاطيه  
على الأفهام ، و وضعه على خمسة أقسام .  
و هذه الأقسام الخمسة هي :

القسم الأول : في اشتقاق كلمة الإنسان و يحوى أربعة أبواب .

القسم الثاني : في الأمثال المشهورة ، ويشتمل على خمسة أبواب :  
 القسم الثالث : في المدح والهجو وغيرها ، وينقسم إلى سبعة أبواب :  
 القسم الرابع : في التهانى والبشائر ، وفيه أربعة أبواب :  
 القسم الخامس : في الملك وما يشترط فيه ، ويتضمن أربعة عشر باباً :  
 لقد تعمدت إلى نقل هذا الفن بشيء من تفصيل لأن هذا  
 الفن أكبر وأطول فنون الكتاب كله ، لأنه يبدأ من الجزء الثاني من  
 الكتاب ويستمر إلى أكثر من نصف الجزء التاسع أى يستغرق من  
 كتاب النهاية ثمانية أجزاء إلا بعض الشيء . و الباب الرابع عشر من  
 هذا الفن استغرق وحده جزئين من الكتاب <sup>١</sup> .

كذلك الحال بالنسبة لفن الثالث الذي يتناول موضوع « الحيوان  
 الصامت » ، ويشتمل على خمسة أقسام أيضاً فقد استهله قائلاً :  
 قد جمعت في هذا الفن - أعزك الله - من أجناس الحيوان  
 بين الكاسر والكافر ، والنافر والناضر ، والصائد والصائل ، والنافق  
 والصاهل ، والحاصل والخالب ، والكانس والسانع ، والراسخ والسانع ،  
 فن أسد انفرد عظماً بنفسه . ترفع عن الإمام بما سواه من جنسه ،  
 إن وطع أرضنا مالت الوحش عن آثاره ، أو قصد جهة نفرت  
 من جواره ، وإن فغر فاه أبرز المدى ، وإن مد خطاه قرب المدى ،  
 ونمر حديد الناب . . . وفهد سريع الوثوب والاختطاف ، وكلب  
 إن طفت النيران فهو جالب الأضياف . وضبع إن رأت قبلاً  
 طافت به ومالت إليه ، وذئب ما رأى بصاحبه دما إلا أغاث عليه - إلى  
 غير ذلك من أنواع الوحش والأرام ، والخيل والبغال والأنعام . . .  
 وأصناف الطير التي تكون تارة محولة وتارة حوامل . . . وما ينوح

و يفرد ، و ما يتلو و يردد . و ميزت كل حوار منها بمحاسنه و مناقبه ، و نبذته بمعايهه و مثاليه ، ولو لا خشية الإطالة لوصفت كل حوار منها برسالة ، ولكن استغنيت بما الفته من منقولي ، عما أصنفه من مقولي ، و علمت أنني أقصر عن حق هذه الرتبة فاحجمت ، وأقف دون بلوغ هذه الخلبة فأمسكت . . . إلى آخر المقدمة حيث قال :

«وضعته على أحسن ترتيب و رتبته على أجمل تقسيم و تبويب ، و هو يشتمل على خمسة أقسام ، . . .

ثم سرد تفاصيل هذه الأقسام كعادته و حسب خطنه و سار في تفاصيلها حسب منهجه على نفس المنوال الذي سبق أن أشرنا إليه ، بحيث يجعل محتويات الفن عiana للباحث و القارئ .

وهكذا نهج النويري في بقية المقدمات الثلاث من الكتاب و اتبع نفس الخطه والمسلك والمرى .

أما النوع الثاني من المقدمات فهي تلك التي يعتمد إلى كتابتها استهلاكا للأقسام والأبواب ، فإنه بعد ما يوضح محتويات هذا الباب يقتبس المقدمة من الكتب التي ينقل منها موضوع هذا الباب الخاص ، فينقلها دون أن يشير إلى كاتبها أحيانا . ومع ذكره أحيانا أخرى ، كما فعل في الباب الأول من القسم الثاني من الفن الثاني ، فإنه نقل المقدمة من بجمع الأمثال للبدانى ولكنه لم يذكره ، و الباب الثالث من هذا الفن ، أو باب أوابد العرب وغيره ، فإنه اقتبس هذه المقدمات من الكتب التي نقل منها العينات ولكنه لم يلح إلها ولا باشارة خفيفة .

أو كما فعل في الباب الأول من القسم الأول من الفن الثاني ، فإنه أشار إلى أمالى ابن الشجري كمصدر لهذه المقدمة . و من أمثله كذلك

كذلك القسم الخامس من الفن الثالث «في اجناس الطير وأنواع السمك»، فانه بعد ما أشار إلى محتويات القسم قال: قال الجاحظ في كتاب الحيوان :

«إن الحيوان على أربعة أقسام : شئ يطير وشئ يعوم، وشئ ينساح وشئ يمشي، إلا أن كل طائر يمشي وليس كل شئ يمشي طائرا» - إلى آخر المقدمة.

وأحبانا بضيف التورى في مقدماته إلى الآيات القرآنية بعض الأحاديث أيضاً التي تطابق الموضوع، مثلاً مقدمته في ذكر ما قيل في الجود والكرم وأخبار الكرام، حيث قال :

«حقيقة الجود بذل المال»، قال الله عز وجل :

«لن تناولوا البر حتى تتفقوا بما تحبون»، وقال تعالى :

«يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون».

و روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

«إن الله استخلاص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدینكم إلا السخاء وحسن الخلق ألا فزيروا دينكم بهما»،

وقال صلى الله عليه وسلم :

«تجاوروا عن ذنب السخى فإن الله عز وجل آخذ

بده كلما عثر وفانع له كلما افتقر».

وقال صلى الله عليه وسلم :

«الجود من الله تعالى بغير دليل يجود الله عليكم»،

ألا إن السخاء شجرة في الجنة أغصانها متبدلة في

الأرض فمن تعلق بعصب منها أدخله الجنة، ألا إن

السخاء من الإيمان والإيمان في الجنة».

أو كما نقل في باب «و ما قيل في الصبر والإقدام»، فأنلا:

قال الله عز و جل:

”يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فَتَهْ فَاثْبِطُوا وَإِذْ كُرِّبُوكُمْ كَثِيرًا لِعِلْمِكُمْ تَفْلِحُونَ وَأَطْبِعُوكُمْ أَنَّهُ رَسُولُهُ وَلَا تَنَازِعُوكُمْ فَفَشَلُوكُمْ وَتَذَهَّبُ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوكُمْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ“.

و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لا تتمنوا لقاء العدو و سلوا العافية فإذا لقيتموه فاثبتوها  
و أكثروا من ذكر الله و إن جلبوا وضجوا فعليكم بالصمت“.

أو كما أورد في مقدمته على الفصل الثاني من الفن الثاني<sup>(١)</sup> فقال:

ضرب الله عز و جل الأمثل في كتابه العزيز في آى كثيرة فقال تعالى:  
”يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضربَ مِثْلَ فَاسْتَمِعُوا لَهُ، وَتَكَرَّرَ ذِكْرُ الْأَمْثَالِ“.

ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

”ضرب الله صراطًا مستقيماً و على جنبيه صراط أبواب  
مفتوحة و على الأبواب ستور مرخاة و على رأس الصراط  
داع يقول: أدخلوا الصراط و لا تعرجاوا“.

وبعد نقل الآيات والأحاديث يفسر معناها أيضاً، إذا كانت الكلمات  
غامضة أو تحمل طابع الشبهة والشك.

و الغريب في الأمر أن النويري مع جلالة فدره و علو كعبه  
في العلوم الدينية أيضاً فقد وصفه معاصره بأنه فقيه بارع، و ناسخ  
البخاري لا يخرج بالاستدلال من الأحاديث الموضعية أيضاً، وإنني  
بعد الدراسة والاستقصاء للآحاديث التي أوردها في كتابه بلغت

(١) نهاية ٢٢٣/٣ .

(٢) نهاية ٣/٢ .

إلى النتيجة أنه إنما حاول جهده المستطاع نقل الأحاديث الصريحة  
ما أخرجه البخاري والمسلم وبعد ذلك الترمذى (باب القدر و تكون  
الإنسان في رحم أمه و مروره من مختلف مدارج التكون) و سن  
البيهق (أحاديث عن الربع) ومع ذلك أورد بعض الأحاديث  
الموضوعة التي لا محل هنا للبحث عنها و فيها . فترى أمام هذه الظاهرة  
أنه إنما يأتى بمثل هذه الأحاديث الموضوعة أو الضعيفة و يستدل بها  
في أماكن و مسائل لا تتناول أى ركز من أركان الإسلام ، أو لا تمس  
بسوء أى أمر من أمور الدين و أصوله المتفق عليها مباشرة أو بصورة  
غير مباشرة . ولذلك لا ينجده ينقل حدثا يعارض مبادئ الإسلام  
أو أركانه أو المسائل والأمور التي اجتمعت عليها كلية المحدثين و الفقهاء  
حول المسائل الدينية . أما باقى الأماكن و الأحوال فإنه لا يرى  
غضاضة في الاستشهاد بها ، و ذلك أن العلماء قد أجازوا بالاستدلال  
بالأحاديث الموضوعة أو الضعيفة طالما لم تكن تناهى نصا قطعا أو مسألة  
متفق عليها وبخاصة في المسائل التي لا صلة لها بالدين ، مثل الأدب  
و مثله من العلوم الأخرى . أو التي لها صلة بالأخلاق أو التي تتصل  
 بالأمور الاجتماعية .

أما المسائل والأمور التي يجد فيها اختلافا بين جماعة  
العلماء و الفقهاء المتضلعين فإنه يتورع أن ينحاز إلى هذا الرهط أو ذاك  
- وإنما يتخذ في هذه المسائل والأمور موقف ناقل محض لا يدلي  
فيها رأيه إطلاقا بل ينقل أقوال كلا الرهطين بامانة و صدق وإخلاص ،  
دون أن يتم رهطا أو يبرر رهطا آخر على حساب الآخر . و خير  
مثال لطريقته هذه ما نقل في الباب السادس من القسم الثالث من الفن  
الثانى - في الغناء و السباع - و ما ورد في ذلك من الحظر و الإباحة<sup>١</sup> .

فقال :

وقد تكلم الناس في الغناء في التحرم والإباحة و اختلفت أقوالهم و تباعدت مذاهبهم و تبأنت إستدلالاتهم . فنهم من رأى كراحته وأنكر استهانه واستدل على تحريمه . و منهم من رأى خلاف ذلك مطلقاً وأباحه و صمم على إباحته . و منهم من فرق بين أن يكون الغناء مجرد أو أضيف إليه آلة كالعود والطنبور وغيرهما من الآلات ذوات الأوتار والدوف والممازف والقصب فأباحه على انفراده و كرهه إذا أضاف إلى غيره و حرم سماع الآلات مطلقاً .

ولكل طائفة من أرباب هذه المقالات أدلة استدل بها ، وقد رأينا أن ثبت في هذا الموضوع بذلة من أقوالهم على سبيل الاختصار و حذف النظائر المطولة فنقول و بالله التوفيق .

و بعد هذا التصریح لموقفه الرزین كناقل حض أمين أورد وجهة نظری كلا الرهضین و أدلة كلتا الطائفین . من التي تحريم الغناء و من التي تبيحه ، مع ما تسوق هذه الطائفة أو تلك من الأدلة الشرعية من النقلية و المقلالية تأبیداً لوجهة نظرها ، تدحیضاً لرأيها دون نقص و اقضاب ، أو تحریف و تصحیف .

فنقل أولاً أدلة الطائفة التي ترى تحريم الغناء ف قال : « فإنهم استدلوا على التحرم بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة و التابعين و الآئمة من علماء المسلمين ، أما دليлем من الكتاب العزيز فهو الله عز و جل (١٩) »

عز و جل : « قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون » و قوله عز و جل : « و إذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه » و قوله سبحانه و تعالى : « و الذين لا يشهدون الزور و إذا مرروا باللغو مرروا كراما » و قوله تبارك و تعالى : « و من الناس من يشتري له الحديث ... الآية » و قوله سبحانه و تعالى : « و استفز من استطعت منهم بصوتك » و قوله تعالى : « أفن هذا الحديث تعجبون و تضحكون و لا تكونوا أتم سامدون » قال ابن عباس : سامدون هو الغناء بلغة حمير . و قال مجاهد : هو الغناء يقول أهل البن : سعد فلان - إذا أغنى ، و بعد ما ساق تفسير بعض الآيات المذكورة آنفا على لسان أمته التفسير مثل ابن عباس و عبد الله بن مسعود ، نقل دليлем من السنة . فروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : إن الله عز و جل حرم القيمة و يعها و تعليمها و الاستئاع إليها ، ثم قرأت : « ومن الناس من يشتري له الحديث » و روى أبو إمام رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما رفع أحد صوته بغناء إلا بعث الله عز و جل شيطانين على منكبه يضران بأعقابهما على صدره حتى يمسك ، ثم أتى برؤيا لأبي الزبير عن جابر ، و رواية عن عبد الرحمن بن عوف حول تحريم الغناء ، لينقل أقوال الصحابة و التابعين في هذا الموضوع فقال : « فقد روى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال : ما تفنيت قط فترا من الغناء و تنجح بتركه » و روى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : الغناء ينبع النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل . و روى أن ابن عمر رضي الله عنهما سر على قوم و هم محربون و معهم قوم و رجل يعن قفال : « ألا لا أسمع و الله لكم ألا لا أسمع و الله لكم » و من التابعين روى عن عبد الله بن دينار قال : من ابن عمر رضي الله عنهما بمحاربة صفينة

تعنى فقال «لو ترك الشيطان أحدا ترك هذه»، ثم نقل قول إبْحَاقِ بن عيسى وقول الشعبي والحكم بن عبيدة والقاسم بن محمد والفضل بن عياض، ونقل في هذا الشأن قول يزيد بن معاوية مع اشتهره بما اشتهر به أنه قال: «يا بني أمية إياكم و الغناه فإنه ينقص الحياة و يزيد في الشهوة و يهدم المروءة و إنه لينوب عن الهمم و يفعل ما يفعله السكر، فإن كنتم لا شك فاعلين جنبوه النساء، فإن الغنا رقة الزنا، وإن لا تقول ذلك فيه على أنه أحب إلى من كل لذة و أشهى إلى نفسى من الماء إلى ذى الغلة الصادى، ولكن الحق أحق أن يقال، ومن أقوال الأئمة نقل قول الشافعى من كتابه «أدب القضاة»، الغنا هومكره بشبه الباطل، وقال: من استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته . قال الفاضى حسين بن محمد: وأما سماعه من المرأة التي ليست بمحرم ، فإن أصحاب الشافعى قالوا: لا يجوز بحال سواء كانت بارزة أو من وراء حجاب و سواء كانت حرمة أو مملوكة ، وبعد ما نقل قوله آخر للشافعى أورد قول مالك بن أنس حيث نقل يقول: إذا اشتريت جارية فوجدها مغنية كان له ردتها بالعيوب ، وقال: وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا إبراهيم بن سعد وحده . وعن أبي حنيفة نقل فائلا: و كره أبو حنيفة ذلك و جعل سماع الغناه من الذنوب قال : و ذلك مذهب سائر أهل الكوفة و ميفان الثورى و حماد بن سلمة و إبراهيم النخعى و الشعبي وغيرهم و لا خلاف بينهم في ذلك . قال: و لا يعرف أيضاً بين أهل البصرة خلاف في كراهة ذلك و المنع منه . ثم نقل قول بعض الزهاد: «و الغناه يورث العناد في قوم ، و بورث التكذيب في قوم و بورث الفساد في قوم .»

و بعد ما أورد بعض الشعر عن الحالة عند السماع إختتم أدلة

الطاقة التي ترى تحريم الغناه لينقل أدلة الطاقة التي ترى إباحة الغناه و الساع والضرب بالآلة، فنقل أقوالهم وأدتهم بعد ما طالع كتّهم وألم بوجهه نظرهم بوضوح فقال : و كان من يتكلّم في ذلك و جرد له تصنيفاً : الشيخ الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي رحمه الله تعالى فقال في ذلك ما نذكر مختصراً و معناه .  
فقال عنه في هذا الشأن قول الله تعالى :

وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأَمِيَّ الَّذِي يَجْدُونَهُ مَكْتُوبًا  
عِنْهُمْ فِي التُّورَةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا مِنْهُمْ عَنِ  
الْمُنْكَرِ وَيَحْلِلُ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيَحْرُمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَ وَيَضْعُ  
عَنْهُمْ أَصْرَارَهُمْ وَالْأَغْلَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا  
بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أَنْزَلْتَ مَعَهُ  
أُولَئِنَّكُمُ الْمَفْلُحُونَ .

فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وسن وشرع وأمر ونهى كما أمر صلى الله عليه وسلم ، فليس لأحد بعده بعد الخلفاء الراشدين الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهم و الاتّباع لستهم أن يحرم ما أحل الله عز وجل و رسوله صلى الله عليه وسلم إلا بدليل ناطق من آية حكمة ، أو سنته ماضية صحيحة ، أو إجماع من الأمة على مقالته . و أما الاستدلال بالموضوعات والغرائب والأفراد من روایة المكذبين و المجرمين الذين لا تقوم برواياتهم حجة ، و بأقوابيل من فسر القرآن على حسب مراده ورأيه فلا يرجع إلى قولهم ولا يسلك طريقهم . إذ لو جاز ذلك لم يكن قول أحد من الناس أولى من قول غيره ، وإنما يلزم بقول من أيد بالوحي و التزيل و عصم من التغيير و التبديل . قال

تعالى " و ما ينفعن عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى فلمنا أنه  
صلى الله عليه وسلم لم يأمر ولم ينه عن أمر إلا بوحى من الله تعالى.  
و كذلك كان صل الله عليه وسلم إذا سئل عن أمر لم ينزل فيه  
وحى توقف حتى يأتيه الوحي و ليست هذه المازلة لغيره فيلزم  
قبول قوله .

ثم ذكر ما استدلوا به على إباحة الغناء من الأحاديث النبوية  
فروى من الأحاديث الصحيحة على إباحة الغناء ما روى عن عائشة  
رضي الله عنها قالت :

دخل على أبو بكر رضي الله عنه و عندى جاريتان من جوارى  
الأنصار تغ bian بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث و ليستا بمعنيتين ،  
قال أبو بكر : أمن مار الشيطان في بيت رسول الله صل الله عليه وسلم ؟  
و ذلك يوم عيد ، فقال له رسول الله صل الله عليه وسلم : " يا أبو بكر ،  
أن لكل قوم عيدا و هذا عيدنا " ثم روى هذه الرواية عنها من  
طريق آخر حيث قال النبي صل الله عليه وسلم لابن بكر : « دعهما ، ثم  
أقى بالرواية التي أقام فيها النبي عائشة لمشاهدة العاب اسودان ،  
كما أورد الرواية الثانية عن طريق آخر أيضا ، ثم نقل قول أبي محمد  
في هذين الحديثين فائلا : " قال أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن  
حرزم رحمه الله عند ذكر هذه الأحاديث " أين يقع إنكار من أنكر  
من إنكار سيدى هذه الأمة بعد نبيها صل الله عليه وسلم : أبي بكر  
و عمر رضي الله عنهما ، وقد أنكر عليه الصلاة والسلام عليهما  
إنكارهما فرجعا عن رأيهما إلى قوله صل الله عليه وسلم ثم أقى برواية

عائشة رضي الله عنها قالت : " كانت جارية من الأنصار في حجرى فزقتها ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسمع غناء فقال : يا عائشة ألا تبتعين معها من يغنى فان هذا الحمى من الأنصار يبحون الغناء " . ثم نقل رواية جابر بن عبد الله في هذا المعنى . ثم ذكر رواية فضالة بن عبيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " الله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن يجهر به ، من صاحب القينة إلى قيته " ، ثم قال : إن الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي رحمه الله قال : " ووجه الاحتجاج من هذا الحديث هو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أثبت أن الله تعالى يستمع إلى حسن الصوت بالقرآن كما يستمع صاحب القينة إلى قيته ، فأثبت دليل الساع إذ لا يجوز أن يقيس على استماع محرم ، قال : ولهذا الحديث أصل في الصحيحين آخر جاه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما أذن الله لشيء ما أذن لمني يتغنى بالقرآن .

فلاحظنا أن التويري اتخذ موقف المحابيد من هذه المسألة المختلف فيها ولو أنه كان شافعى المذهب ومع ذلك لم يدحض رأى الإمام الشافعى أيضا ، لكن لا ينبع بانحيازه إلى المسلك الذى يعتنقه هو وفي ذلك برهان على أنه كناقول أمين محض لا ينحاز إلى رأى معين دون رأى آخر .

و نفس هذا الموقف اتخذه التويري فيما يتعلق بتحريم المحرر وإباحة المطبوخ<sup>١</sup> .

#### طريقة النقل :

وبعد المقدمات التي يستهل بها التويري الفنون والأقسام

و الفصول ، يبدأ بنقل ما يطيب له من الكتب الهامة . و طريقته فيه أن يطالع الكتاب بدقة و تدبر و تفكير ، ثم يختار العينات و النبذات التي يفضلها على غيرها حسب الخطة التي قد أعدها من قبل ، ثم ينقلها في كتابه .

فيبدأ التوبي الم موضوع المنقول بالنشر من الكلام ، فإذا بعد القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف و أقوال الصحابة رضي الله عنهم ، إذا كان الموضوع يقتضى ذلك بما وقف عليه من كلام في آداب أخرى أو لغات أخرى ثم يأتي بأقوال العلماء و الحكام في هذا الموضوع . و عادة يبدأ هذا الجزء من اليونان ، إذ هي منبع العلم و الحكمة و العرفان ، ثم الهند و الفرس ، و ذلك أن هذه الأمم أقدم الأمم و الشعوب علما و حضارة و حكمة و معرفة ، ثم يأتي بنتائج التابعين و العباقرة من أعلام الإسلام و علمائه ، من مفسرين و محدثين و قضاة و فقهاء ، إذا كان الموضوع يقتضي ذلك ، و من أقوال الأدباء و البلغاء و المتضلعين من النحويين و المؤرخين و أصحاب السير و الرحالة و أصحاب الجغرافية و غيرها من العلوم و الفنون ، إذا اقتضت الضرورة ذلك ، ثم يعمد إلى الكتب التي تبحث في هذه الموضوعات فيبدأ النقل منها و الاقتباس حسب الأقسام و الأبواب الخاصة .

فلا يفرغ من إشاع الموضوع ثرا ، و إحياطه من جميع النواحي ، يأتي بالأشعار لمختلف الشعراء استشهادا أو تمثيلا أو تدحيسا لما سبق له أن كتب أو نقله من الكتب و الأسفار .

يختار التوبي الأشعار عادة من مصدر واحد ، يتضمن على شعر غير منع جذاب ، يغرضه المشود من الاستشهاد أو التمثيل

و الاستدلال . و مثال ذلك الأشعار التي نقلها حول « تمثيل الأمثال » من كتاب المتعل للتعالى . أو يعود إلى كتب عديدة أو دواوين فيختار منها الروائع من الشعر حول موضوع بابه من التي تقى بعرضه و مرماه ، مثل ما فعل عند نقل الأشعار « في الفن الثاني القسم الأول في الغزل و « النسب » فإنه نقلها من أربعة كتب مختلفة وهي : العقد الفريد لابن عبد ربه ، و زهر الآداب للحضرى القىروانى ، و الذخيرة لابن بسام ، و ديوان المعانى لأبي هلال العسكرى .

و الجدير بالذكر أن التويرى حاول جهده لاقتباس الأشعار و الاستشهاد بها في جميع الموضوعات التي تطرق إلى النقل عنها و الاقتباس حولها من كتب الفدماه و الأسفار الصخام . و نجح فيه أى نجاح . فلم يترك بابا لعلم أو فن أو معرفة أو مادة إلا طرقه بشعر رقيق ممتع في غاية الجودة و الإتقان ، الرونق و البهاء . فتجده يأتي بالأشعار الغرر في جميع الفنون والأقسام والأبواب بما يليق بها ، حتى أنه أتى بشعر جيد حول السبع و البئم مثل الأسد و النمر و الفهد و كلاب الصيد و السنجاب و الثعلب و الدب و الهر و الخنزير والكركدن و الزرافه و الفيل وغيرها من الحيوانات الأخرى . وكذلك سلك نفس المسلك عند الكلام عن الخيل و البقر و الغنم و البغال و الحمير و الحيات و العقارب . و في أحجام الطيور وأنواع الأسماك ففي كل هؤلاء أتى بشعر لا تقو مقبول . و ليس هذا خسب ، بل إنه جمع شعراً جيلاً في الموضوعات الجنسية أيضاً . و دع عنك ما قدم لنا من باقة رائعة جميلة زاهية الألوان معبرة معطرة من الغزل الرقيق و النسب الحسن البك و النسيج . و بعد إشاع الموضوع من جميع النواحي ، يبدأ الفن الآخر و ينبع في نفس المنهج المذكور آفرا .

أما طريقة في النقل من الكتب والمصادر فهي أنه يذكر المرجع والمصدر أحياناً، فيعرف أنه نقل هذا الباب أو الفصل أو العبارة أو المسألة من الكتاب الفلافي وينتهي نعتاً واضحاً، وأكثر الأحيان لا يذكره كأنجده يذكر المرجع بصراحة تامة حيناً، ويشير إليه إشارة خفيفة حيناً آخر. وكذلك يلح بعض الأحيان إلى المؤلف باسمه الكامل مع كنيته ولقبه، ويكتفى - بعض الأحيان - بذكر اسمه باختصار شديد يشبه الأمر على القارئ، أو يتعرّز عليه الاهتمام إلى الاسم الكامل الصحيح. وكذلك يشير إلى الكتاب أحياناً باسمه الكامل وبعض الأحيان يختصره اختصاراً يتحير القارئ كيف السبيل إلى الإمام باسم الكتاب التام لكي يتتسنى له الرجوع إليه في وقت الحاجة.

الآن، وقد ألقينا نظرة خاطفة على ما اتخذته التویری من مسلك في نقل واقتباس الموضوعات والمواد والمعلومات من مصادر شتى، وبلغنا إلى النتيجة التي أسلفناها آنفاً، مستمدین من الدراسة لمختلف الأجزاء من سفره الضخم هذا، والتقصي لمصادره، و التنقيب عن منابعه، والبحث عما انزوی عن الأنوار من محتوياته، والكشف عما غمض من مكنوناته، والتوضیح لما أبهم من مطالبه، يحدّر بنا أن نقف وقفة غير قصيرة، لنلق نظرة فاحصة، أكثر عمقاً وغوراً من ذي قبل، وبشيء من تفصيل ملحوظ، ضاربين الأمثال لما تضمنه هذا الكتاب، في أقسامه وأبوابه وفصوله، من موضوعات ومواد. وذلك تدعيمًا لما اتخذناه من رأى، وتدحضنا لما بلغنا إليه من نتيجة، حول مسلكه ونهجه، بعد بحث ودراسة مضنيتين، وتجھزم لإذلال الصعوبات والعراقل المعرضة هذا السبيل.

فإن خضنا هذا الخضم الهائل من العلوم والمعارف والفنون المبعثرة هنا وهناك ، في أجزاء هذا الكتاب الذي يشتمل على ثلاثة مجلدا ، ولم يطبع منه غير ثمانية عشر مجلدا ، نجد أن التویری الزم الطرق التالية في الجمع والاقتباس والنقل ، لكي يجعل منه أكداسا مكداة من العلوم والفنون ، ويقدمها في أحسن صورة من التبويب و التقسيم ، تسهلا للاستفادة منها و تيسيرا للاستقاء من مصادرها و منابعها .

#### طريقة ذكر المراجع والمصادر :

١ - ( ذكر المرجع والمصدر بصرامة تامة مع ذكر اسم المؤلف والكتاب كاملا . )

إننا نلاحظ ، ونحن بحث في الكتاب ، أن التویری مع إهماله في أكثر المواضع والأجزاء من الكتاب لذكر المرجع والمصدر ، يعترف بصدر رحب وبصرامة تامة بأنه نقل هذا الفسق أو الباب من كتاب يسميه ، ولمؤلف ينته نعتا واضحًا .

ومن أمثلة ذلك عند نقله في « ذكر بيت الهايكل » ، حيث نقله من « كتاب الملل والنحل » للشهرستاني و « كتاب مروج الذهب » لمسعودی ، فاعترف بنقله من « مروج الذهب » ، فقال : و حکی المسعودی في كتابه المترجم بـ « مروج الذهب و معادن الجوهر » ، أن هذه الطائفة تزعم أن البيت الحرام هيكل زحل .... إلى آخر الكلام المنقول .  
وكذلك ذكر اسم المؤلف واسم الكتاب بصرامة تامة عند نقله لاشتقاق كلمة « الإنسان » و ذلك في الفن الثاني - الباب الأول

حيث قال<sup>١</sup> :

«قال الشريف السيد ضياء الدين أبو السعادات هبة الله المعروف  
بابن الشجري في "أماله" (في المجلس التاسع عشر وهو يوم السبت  
سابع عشر رجب سنة أربع وعشرين وخمسمائة) في شرح قول  
أشهى تغلب :

كانوا أناساً ينفحون فأصبحوا أكثر ما يعطونك النظر الشزر،  
إلى آخر ما قاله ابن الشجري . . . .

لقد نقل النويري من كتاب مجمع الأمثال لليداني هو: أبو الفضل  
أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني اليسابوري (المتوفى ٥١٨ھ)، وقد  
بدأ النقل منه من المثل القائل "شديد على الإنسان ما لم يعود"  
و "الناس أخياf وشئ في الشئ" <sup>٢</sup>. فقد ورد هذان المثلان في  
مجمع الأمثال لليداني بصفحة ٢٤٢ الجزء الثاني ، إلا أن الميداني كتب  
كلمة "إخوان" بدلاً "أخياf" و كذلك توجد بعض الاختلافات  
في بعض الكلمات الواردة في الكتابين .

و كذلك صرحت بنقله من كتاب أبي البركات الجوانى النسابة  
في "الباب الرابع في الأنساب" فيعترف بنقله منه قائلًا :

و قد وقفت على المقدمة التي وضعها الشريف أبو البركات  
الجوانى ، فرفعت له علماً و نصبت له إلى المعالى سلاماً ،

و يبدو أنه قرأ معظم الكتب الموجودة عصره في هذا الفن ،  
ثم بعد ذلك اختار كتاب الجوانى لأنه أتقن أصولها (أى الأنساب)  
و حرر فصولها ، وأورد فيها من الأنساب ما ينفع به الليب ويستغنى بوجوده

(١) نهاية ٢ / ٠٠

(٢) نهاية ٢ / ١٠٨

الكاتب الأرثي . وأكثر منه صراحة قوله على الشري夫 (أى الجوانى) «العمة فيما أورده و العهدة فيما نقلته ، فن تأليفه نقلت و على مقالاته اعتمدت» ، وفي ذلك إشارة خفية إلى عدم تحمل مسؤولية الصدق من الكذب في سرد الأنساب ، فان التويرى لا يعتبر نفسه أكثر من جامع و ناقد لأقوال المؤلف ، ولذلك فاته من الطبيعي أن يلقى العهدة عليه و يتبرأ من المسئولة و ذلك دأبه في نقل هذه المواقف ، و سنعرض لها بعد . ثم بدأ ينقل منه بقوله : قال السيد الشريف تقى الدين النقاش أبو البركات أسعد بن علي بن معمر الحسيني الجوانى النسابة رحمه الله : «ان جميع ما بنت عليه العرب في نسبها أركانها ، و أستمدت عليه بنيانها عشر طبقات» إلا أن التويرى غير ترتيب الجوانى و سرد النسب من أصله أى آدم عليه السلام ، فالجوانى بدأ النسب من محمد صلى الله عليه وسلم لينحدر به إلى آدم عليه السلام ، و ذلك خلاف الواقع فيها يتعلق بابتداء النسب و النسل ، فإنه من المحقق أنها يبدأ من سيدنا آدم . و سار معظم النسب و تمسكوا به<sup>(١)</sup> . ولذلك فان التويرى استحسن على هدى من مطالعته و ما بلغ إليه من التتابع أن يجحد عن طريق الجوانى و يسلك فيه مسلكه المفضل فكتب يقول «فوجده (أى الجوانى) بدأ فيها (أى المقدمة) بذكر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نعم بآبائه ، و شرح جملة من نسبه الظاهر و أبناءه ، فرأيت

(١) نهاية ٢ / ٢٧٦ .

(٢) لقد أبدعت نظرية جديدة أخرى تقول «إن آدم ليس هو مبدأ النسل الإنساني وأصله بل هو كبيورث الفارسي» انظر التفاصيل في مجلة «إسلام و عصر جديد» الاردية الصادرة في الجامعه الملة الإسلامية ، دلهى الجديدة .

أن أسرد النسب من أصله ، وأبدأ بأدَم عليه السلام ثم بنسله ، وأجعل العمدة على سرد عمود النسب المتصل بسيد البشر ، وأذكر من ذلك ما اشتهر عند أهل الأنساب وانتشار ، إلى أن انتهى إلى اسمه الشريف فأجعله خاتمة النسب <sup>١</sup> .

أما مقدمة الجوانى هذه فاسمها ”أصول الأحساب و فصول الأنساب“ ويسمى ”تحفة الأنساب“ ويسمى ”تحفة ظريفة و مقدمة لطيفة و هدية منيفة في أصول الأحساب و فصول الأنساب“ والجوانى هو : أبو البركات سناء الدولة أسعد بن علي بن المعمري بن عمر بن علي ابن النسابة أبي هاشم الجوانى النسابة (الحسيني) ولد في جمادى الثانية ٥٢٥ و توفي ٥٨٨ هجرية ، و كتابه مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٩٠١٥ تاريخ <sup>٢</sup> .

وهنالك أمثلة كثيرة تدل على أن التورى اعترف بنقله بصرامة تامة ، و ذكر اسم الكتاب مع مؤلفه و وجه تفضيله على باقى الكتب الأخرى المتداولة في هذا الفن .

فن أمثلته قوله : ” قال أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ الرَّبِّ صَاحِبِ الْعَدْ

(١) نهاية / ٢٧٧ .

(٢) لقد وجدنا بظاهر الورقة الثانية من هذه المخطوطة (رقم ١٩) الكلام الآتى بخط السيد محمد منتضى الحسيني الزبيدي الهندى شارح القاموس : وهو أبو البركات سناء الدولة أسعد بن علي بن المعمري بن عمر بن علي النسابة أبي هاشم الحسن بن النسابة (أبي العباس أحمد بن النسابة أبي الحسن علي بن إبراهيم بن أبي جعفر محمد بن المحدث أبي الحسن الحسيني بن محمد الجوانى بن عبد الله الأعرج الحسيني ، و مالكى المذهب ، ولد ليلة الأربعاء سالخ جمادى الآخرة سنة ٥٢٥ و توفي سنة ٥٨٨ . و لاصنف ولد اسمه محمد و كنيته أبو عبد الله ، تولى نقابة الأشراف ب مصر بعد أبيه و توفي بعد أبيه باثنتين و ثلاثة سنين .

(٣) نهاية / ٠٠ .

(٤) الرومانى

الفرد، في كتابه يرفعه إلى وهب بن منبه أنه قال : قرأت في التوراة أن الله عز وجل خلق آدم وركب جسده من أربعة أشياء<sup>١</sup> ، أو مثل قوله « قال الشعالي رحمه الله في ذكر تفصيل أسماء التراب وصفاته<sup>٢</sup> » ، ثم أورد الأسماء التي أتى بها الشعالي في كتابه « فقه اللغة » ، وكذلك ذكر أسم كتبه في مكان آخر فقال<sup>٣</sup> : « قال الشعالي في كتابه المترجم بـ « فقه اللغة » وأسنده إلى أئمتها ..... وأصغر ما ارتفعن الأرض النiske ... الخ » .

أو كقوله في « شروط الإمامة الشرعية العرفية » : فقد ذكر منها الشيخ الإمام أبو عبدالله الحسين بن الحسن بن محمد بن الحليم الحليبي الجرجاني الشافعى - رحمه الله في كتابه المترجم بـ « المنهاج » ، ملحة واضحة البيان حسنة البيان أكتفينا بإيرادها سواها ..... الخ<sup>٤</sup> .

ومن أمثلة ذكر أسم المؤلف والكتاب ، اعتراه بنقله من كتاب ( الآداب السلطانية ) للأوردى ، « باب ذكر كتابة الديوان و قلم النصرف وما يتصل بذلك » ، فقال<sup>٥</sup> بعد ما فرغ من النقل « هذا ما قيل في تسميته على ما حكاه الماوردى في الأحكام السلطانية » .  
ومن أمثلة ذكر أسم المؤلف مع الكتاب أيها ما نقله في « ذكر ما قيل في الفرد » حيث قال<sup>٦</sup> « و حكى المسعودى في كتابه المترجم

(١) نهاية ١ / ١٩٤ .

(٢) نهاية ١ / ٢١١ .

(٣) نهاية ١ / ٦ .

(٤) نهاية ٨ / ١٩١ .

(٥) نهاية ٩ / ٣٣٧ .

بس در مرجع (الذهب)، أن القراءة في أماكن كثيرة من المعمورة ..... الخ  
و كذلك ذكر أسم المسعودي وكتابه هذا في عدة أماكن من (القسم الثاني)  
من الفن الثالث، أيضًا في الوحش والطباء، وكذلك ذكر المسعودي  
وكتابه بوضوح تام في (القسم الأول من الفن الرابع في النبات)، حيث  
بدأ القسم قائلاً: قال المسعودي في كتابه المترجم بـ (مرج الذهب)  
ومعادن الجوهر) إن آدم عليه السلام لما أهبطه الله تعالى إلى  
الأرض ..... الخ .

وفي نفس هذا الباب ذكر البكري وكتابه (المسالك والممالك)،  
بوضوح فقال: قال أبو عبيد البكري في كتابه المترجم بـ (المسالك  
والممالك) : إن إسحاق بن العباس بن محمد الهاشمي حكى عن أبيه أنه  
تصيد يوماً ناحية صنعاء فأصابته السهام ..... الخ ، (صفحة ٥)، وفي نفس  
القسم اعترف بنقله من (فقه اللغة) للثعالبي في ترتيب النبات ، فأول ما يبدأ  
 فهو بأرض ، ثم جيم ..... الخ .

و كذلك عند وضعه (الباب الأول من القسم الخامس من الفن  
الرابع - في المسارك وأنواعه)، فقد قال<sup>(١)</sup> وهو يبدأ هذا الباب : قال  
محمد بن أحمد بن الخليل بن سعيد التميمي المقدسي<sup>(٢)</sup> في كتابه المترجم

(١) نهاية : ٣٠٢/٩ .

(٢) نهاية : ٤/١٣ .

(٣) نهاية : ١٢/١ .

(٤) قد ورد اسم هذا الرجل مع إضافة (الخليل) في هذا الجزء من النهاية  
إلا أنه غير موجود فيها ذكره التویري في صفحة ٧٠ من هذا الجزء . فقال:  
محمد بن أحمد سعيد بن سعيد التميمي المقدسي في كتابه المترجم . . . . .

بـ «جipp العرس وريحان الفوس» : المسك أصناف كثيرة ..... الخ  
صفحة ٢ . وكذلك قال : «قال أحمد بن أبي يعقوب : أفضل المسك  
التبى ، ... الخ ، ونقل منه جميع ما ورد في هذا القسم ذاكرا اسمه في  
مختلف الموضع ، مثلا قال في «الباب الثاني من القسم الخامس من  
الفن الرابع - في العنبر وأنواعه ومعادنه» : قال محمد بن أحمد التبيى :  
حدثى أبي عن أبيه عن أحمد بن يعقوب أنه قال : العنبر أنواع  
كثيرة ... الخ (صفحة ١٦) .

وكذلك أورد اسمه الكامل وأسم كتابه كاملا في نهاية  
٧٠ / ١٧ في «الباب الثامن من القسم الخامس من الفن الرابع في  
عمل الرامك والمسك من الرامك» . وكذلك أورد اسمه الكامل  
مع اسم كتابه هذا بوضوح في نهاية ١٢ / ١٥٨ في «صفة لبانة تمضغ  
تزيد في الباه ... الخ» ، حيث قال «قال شهاب الدين عبد الرحمن بن  
نصر الشيرازي صاحب كتاب (الإيضاح) : هذه الbane كان يستعملها  
بعض ملوك مصر ، و الجدير بالذكر أن «الباب العاشر من القسم  
الخامس من الفن الرابع» ، فإنه ملخص من كتاب «الإيضاح» المذكور .  
تلك هي نبذات قصيرة أوردها حول اعتراف التويرى  
بالنقل والاقتباس من كتاب ومؤلف ، يذكر اسمها وينتهي بها نعتا واضحًا

= الخ وكذا ذكره اقتطع في كتابه «إخبار العلماء بأخبار الحكاء» صفحة ١٠٠  
طبع أوروبا ، و ابن أبي أصيبيعة في كتابه «عيون الأنباء» نهاية ٢/٨٧ وقال في  
ترجمة هذا الطبيب : إن مقامه كان أولاً بالقدس ونواحيها ثم انتقل إلى الديار  
المصرية وأقام بها إلى أن توفى رحمه الله تعالى ، وكانت له معرفة جيدة  
بالنبات و Maherاته وفي الكلام فيه ، وكان متميزاً أيضاً في أعمال صناعة الطب  
والاطلاع على دوافعها ، ويستفاد من كلامه أنه كان في القرن الرابع (المجرى).

بدون غموض وإبهام . وقد يطول بنا المقام لو أردنا سرد جميع الأماكن  
والمواضع من كتابه حيث سلك هذا النهج فانها كثيرة متعددة بعد .  
ولذلك نكتفي بذلك مثل هذه الأماكن مع الإشارة إلى الأجزاء من  
كتابه مع الصفحات المنقولة فيها المقتبسات وأهمها ما يلي .  
فقد ذكرهما في نهاية ١٤٧ / ٤ ونهاية ١٢٩ / ٥ ونهاية ٣٣ / ٩  
ونهاية ٣٣٧ وغيرها .

ونجد النويري أشد الناس حرضا على التصريح باسم واضح  
الكتاب مع كنيته ولقبه ، وذكر الكتاب باسمه الكامل عند ما ينقل  
الموضوعات والمواد التي تضطجع إلى الأمور والمسائل الدينية وبخاصة  
إذا كانت هذه المسائل من التي توجد فيها اختلافات بين مختلف  
الطوائف الإسلامية أو العلماء . ففي مثل هذه الأماكن نجد يظهر نفسه  
كناقل مχض أمين وذلك لكي لا يتورط في مسألة اختلافية ، عسى  
أن يجرح مشاعر طبقة أو يمس باحساسات طبقة أخرى ، فلا ينحاز إلى  
حزب ولا يميل إلى عالم ، بل يكتفى في مثل هذه المواقف بذلك  
آراء كلا الحزبين ونقل مذهب كلتا الطبقتين بصدق وأمانة ، ويقف  
منها موقف المحايد الذي لا يميل ولا يجتمع ، وذلك لأنه يعتبر نفسه  
جامعا لأشتات المعارف والعلوم وناقلًا لما ورثناه من التراث العلمي  
والديني والفكري ، الذي تركه لنا آباؤنا القدماء ، والذى من حقه علينا  
أن نحافظ عليه ونحسن به ، دون إبداء الرأى حول ما اخذه من  
سلوك أو آثروا من مذهب على المذاهب المختلفة الراجحة .

وخير مثال لسلوكه هذا ما أسلفنا من القول حول قوله لموضوع  
الساع والخمر وتحريمها وبيانهما فلا حاجة لنا لإعادته في هذا المكان .  
و كذلك يتخذ النويري موقف الناقل الأمين المχض في  
الموضوعات

الموضوعات التي تتعلق بالصحابة و العلماء و الشخصيات البارزة من أصحاب الدين و الحكم و السلطة و الجاه و العز. ففي هذه الحالات أيضا يصرح بنقله من الكتب مع ذكر أسمائها و أسماء مؤلفيها بصورة كاملة . و خير مثال لهذه الظاهرة باب ذكر من سمع الغناء من الصحابة و التابعين رضي الله عنهم ، حيث قال : قد روى أن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم سمعوا الغناء ، ثم ساق خبر النعيمان بن بشير الانصاري الخزرجي رضي الله عنه قائلا : « روى أبو الفرج الأصفهاني في كتابه المترجم بـ الأغاني ، بسند رفعه إلى السائب المخزومي و غيره قال : دخل النعيمان بن بشير المدينة في أيام يزيد بن معاوية و ابن الزبير فقال : والله لقد أخفقت أذناي من الغناء فأسمعوني فوجهوه إلى عزة الميلاد المغنية المدينة الشهيرة ، فيطلبها إلى مجلسه ، فلما تأبى أن تحضر لنقل بدنها و صعوبة نقلها يحضر هو بنفسه مجلسها ، فتغنىه من شعر قيس بن الخطيم في أمه عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة وهي لا تعرفه ، و منها شعره :

أجد بعمره غيانها فتهجر أم شانها  
وعمره من سروات النساء تنفح بالمسك أرداها

فلم تزل تغنى هذا اللحن حتى اصرف<sup>١</sup> .

ومن الصحابة الذين ساق عنهم خبر الاستماع إلى الغناء : حسان بن ثابت الانصاري . و ساق رواية عن أبي الفرج الأصفهاني قصة سماعه الغناء من عزة الميلاد بوليمة اجتمع فيها رهط من المهاجرين و الانصار حيث أكلوا و شربوا ، لتقدم إليهم عزة الميلاد و هي إذا شابة ، و كان حسان قد كف بصره - فضربت بمزهراها و تغنت بشعر

(١) الأغاني ج ١٤ / ١٢١ مطبوعة بولاق ، القاهرة .

حسان حيث يقول :

ذلا زال فصر بين بصرى وجلق عليه من الوسى وجود او وايل  
فطرب حسان وجعلت عيناه تضمان على خديه وهو مصنوع .  
ئم ساق حدثا اخر لسماعه الغناء حيث غنته جاريتان و هما  
« رائفة » و « عزة » ، فأخذتا من هريراها و ضربتها ضربا و غنتا بقول حسان  
ابن ثابت :

انظر خليلي بباب جلق هل تؤنس دون البلقاء من اجد  
قال : فأسمع حسان يقول : قد أراني هناك سمينا بصيرا وعيناه تدمعن ،  
فإذا سكنا سكن عنده البكاء وإذا غتنا يبكي .

و كذلك ذكر في رواية بسنده إلى عباد بن عبد الله بن الزبير  
عن شيخ من قريش أنه قال : كنا نحن جماعة وفينا عبد الرحمن بن حسان  
ابن ثابت ، مجتمعين عند قينة فإذا حسان بن ثابت يستأذنا ، فكرهنا  
وجوده في هذا الملمس ، فقطن إليه عبد الرحمن وقال : إذا كنتم تريدون  
أن ينصرف فأمرروا الجارية تغنى :

أولاد جفنة حول قبر أليهم قبر ابن مارية الكريم المفضل  
يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المفضل  
فعنده الجارية فوالله لقد بكى حتى ظننا أنه سيلفظ نفسه .

ثم قال (أى حسان) : أفيكم الفاسق ؟ لعمري لقد كرهتم مجلدى اليوم  
و قام فانصرف ، وهذا الشعر هو مما امتدح به جبلة بن الأبيهم ، منه  
قوله في مدح آل جفنة :

يحض الوجوه كريمة أحبابهم ثم الأنوف من الطراز الأول  
ئم ساق رواية عن أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي خروها  
أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أذن لرباح بن المعترف بالغناء واستمع

إله و هم محرمون<sup>١</sup> .

ونقل قول الغزالى قائلًا : « وقال الإمام أبو حامد الغزالى رحمة الله عن أبي طالب المكى : سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر ، و عبد الله بن الزبير ، والمغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم - وقال : قد فعل ذلك كثير من السلف صحابي و تابعى باحسان .

وفيما يتعاقب من سمع الغناء من الأئمة والعباد والزهاد ،<sup>٢</sup> فإن النويرى سلك نفس المنهج لذكر أخبار السباع نافلاً الأسناد والروايات بكل دقة و تصریح . وقد نقل معظم هذه الأخبار من الأغانى لابى انفوج الاصفهانى ، فروى قصة سماع الغناء لكل من الإمام الشافعى حيث سمع جارية تغنى :

خليلى ما بال المطايا كأنها زراها على الأعقاب بالفوم تنكص  
فقال الشافعى : مثلوا بنا نسمع ، فلما فرغت قال الشافعى لإبراهيم :  
أيضرتك هذا ؟ قال : لا ، قال افالك حس . وقد روى هذه الحكاية  
نقلًا عن الحافظ أبى الفضل محمد بن طاهر بن على المقدسى رحمة الله .  
وبعد ما ساق رواية عن صالح بن أحمد بن حنبل ، كيف أنه  
سمع الغناء فطرد ولم ينه منه ابنه . بل قال لابنه : يا بى ! إذا كان  
مثل هذا فنعم الكلام . ساق قصة طريقة لاجتماع كبار الأئمة في  
مجلس غذاء فكتب يقول :

وروى أبى الفضل أيضًا بسند رفعه إلى مصعب الزهرى أنه  
قال : حضرت مجلس مالك بن أنس فسألته أبومصعب عن السباع فقال مالك :  
ما أدرى أهل العلم بذلك لا ينكرون ذلك ولا يقعدون عنه ولا ينكرون

(١) نهاية : ١٩٠/٤ .

(٢) نهاية : ١٩١/٤ .

إلا غي جامل أو ناسك عراق غلبيط الطبع. وقال أيضاً: أخبرنا محمد التميمي بغداد قال: سأله الشريف أباً على محمد بن أحمد بن أبي موسى الهاشمي عن السباع فقال: ما أدرى ما أقول فيه، غير أن حضرت دار شيخنا أبي الحسن عبد العزيز بن الحارث التميمي سنة سبع وثلاثمائة في دعوة عملها لأصحابه، حضرها أبو بكر الأبهري شيخ المالكية، وأبو الفاسد الداركي شيخ الشافعية، وأبو الحسن طاهر بن الحسن شيخ أصحاب الحديث، وأبو الحسن ابن سمعون شيخ الوعاظ والزهاد، وأبو عبد الله محمد بن مجاهد شيخ المتكلمين وصاحب أبو بكر الباقلي في دار شيخنا أبي الحسن التميمي شيخ الحنابلة فقال أبو علي: لو سقط السقف عليهم لم يبق بالعراق من هنئ في حادثة شبه واحدة منهم وهم أبو عبد الله غلام نام، وكان هذا يقرأ القرآن بصوت حن، وربما قال شيئاً، فقيل له: قل لنا شيئاً، فقال لهم: هم يسمون:

خطت أناملها في بطن فرطاس رسالة بغير لا بفاس  
أن زر فدينك لي من غير محشم فان حبك لي قد شاع في الناس  
فكان قوله ملأ أدى رسالتها ففلى لأمني على العينين والرأس  
قال أبو علي: فبعد أن رأيت هذا لا يمكنني أن أفي في هذه المسألة  
بحظر ولا إباحة.

ومن الزهاد والعباد والعلماء من سمع اعناء أبو السائب المخزوبي.  
فلاق خبراً رواية عن أبي الفرج الأصفهاني كيف أنه عفا عن غلامه  
وكان قد بعثه ليتسع له ما يفتر عليه فتأخر إلى المساء بسبب عناء  
سمعه وأنفنه، فلما عاد إلى السائب، وقص عليه سبب تأخره، طلب  
منه أن يفتحه الصوت الذي تعلمه، وفواهه لمن كنت أحست لأحبنك

وإن كنت أستاذ لاضربتك ، فاندفع يغنى بشعر كثير :

ولما علوا شعراً تبيّنت انه بقطع من أهل الحجاز علانق  
فلا زلن حسرى ظلعاً لم حلنها إلى باد ناه قليل الأصادق  
فلم يزل يغنيه و يستعيده إلى السحر . ثم قال لابنه : يا بني !  
خذ جبتي هذه وأعطي خلقك ليكون الصباء فضل ما يديها . فقال له :  
يا أبا ! أنت شيخ و أنا شاب و أنا أقوى على البرد منك . فقال له  
يا بني ما ترك هذا الصوت للبرد على سيرلا ما حيت .  
ثم أورد قول الغزالى فكتب يقول : قال الغزالى في  
”إحياء علوم الدين“ : كان ابن مجاهد لا يحب دعوه إلا أن يكون  
فيها سماع .

وهكذا استمر في نقل الروايات بالأسانيد وأقوال الشيوخ  
إلى أن نقل<sup>١</sup> ”ذكر من غنى من الخلفاء وابنائهم ونسبت له أصوات  
من الغناء نقلت عنه“ فذكر المرجع وصاحبها بوضوح فقال : كان من  
غني من الخلفاء - على ما أورده أبو الفرج الأصفهانى في كتابه المترجم  
بالأغانى - ونسبت له أصوات ، جماعة منهم عمر بن عبد العزىز ،  
فروى له بعض الشعر قد غنى فيها من شعر جرير والأشهب بن رميلة .  
ثم نقل روايات لمن غنى من خلفاء الدولة التماسية (صفحة ١٩٧) ،  
وكذاك لأبناء الخلفاء الذين لهم صنعة ويد في هذا الفن (صفحة ٢٠١) ،  
وذكر من غنى من الأشراف و العلماء رحهم الله (صفحة ٢٢١) ،  
وهكذا استمر ناقلاً مع ذكر الكتاب والأسانيد المروية بها الأخبار  
المتعلقة دون أن يدى رأيه في أي موضوع .

و ملخص القول أن التويرى في مسألة السماع قد أورد آراء

كلا الطبقتين بكل وضوح مسداً آرائهم إلى أقوال علماء الفضلاء مثلاً يقول "وقد تكلم أبو حامد محمد بن محمد الغزالى الطومى رحمة الله على الساع في كتابه المترجم "بأحياء علوم الدين" وبين دليل الإباحة، وذكر بعد ذلك آداب الساع وآثاره في القلب والجوارح فقال: ... ثم أخذ النقل والاقتباس من كتاب "إحياء علوم الدين" (١٥٧) . فلاحظنا أنه في هذه المسألة الحساسة لم يكتف بذكر اسم المؤلف فحسب بل ذكر كتابه أيضاً بكل وضوح لأنه لا يريد أن يتحمل التبعية على عاتقه ، لأنه ليس في هذا المجال يعمل عمل عالم أو فقيه أو مفت و يحتاط التويرى أشد الاحتياط في مثل هذه الواقع ، فلا يترك شبهة إضافة الزيادات من نفسه أيضاً ، فعادة يشير إلى الزيادات بأنها من المراجع نفسها ، مثل قول<sup>١</sup> هذا ملخص ما أورده رحمة الله تعالى وفيه من الزيادات ما هو منسوب إلى الشعري والغزالى على ما يدناه في موضعه .

وكذا يحرص أشد الحرص أن يذكر المؤلف والكتاب بكاملها في العلوم التي تتعلق بالأنساب والتاريخ والجغرافية والحيوان والنبات كما أسلفنا الكلام حوله في الصفحات السابقة .

ومن أوضح أمثلة لذكر المؤلف والكتاب المنقول عنه ومصدر هذا الكتاب الأخير ما نقله "في ذكر كيفية ما يصنعه الكاتب في كل واقعة ، حيث قال<sup>٢</sup> : ولذكر كيفية ما يصنعه الكاتب في واقعة على معنى ما أورده أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المخزومي المعروف بابن الصيرفي في مختصره الذي ترجمه ، بمختصر المكاتبات البديعية فيما يكتب

(١) نهاية ٤ / ١٥٧ .

(٢) نهاية ١٩ / ١٩ .

من أمور الشريعة، الذي قال فيه أنه اختصره من كتابه المترجم  
«بجامع العقود في علم المواريث».

وأحياناً يذكر التويري مراجعاً من الكتب والمؤلفين باشارة  
خفيفة بصعب على المرء الوصول إلى الاسم الصحيح إما للاشتباه في  
الاسم أو المماثلة. فيضيع الباحث من وقته وجهده شطراً كبيراً في  
البحث عنها وتأكد من صحتها وتحقيقها تحقيقاً يزيل الشبهة  
والمماثلة والغموض. ويحدث هذا كثيراً عند اختصاره لاسم المؤلف  
وخاصية إذا كان له لقب وكنية يعرف بها ويشتهر.

ومثاله عند نقله وأما ما يحتاج فيه إلى مواحة القرينة المحلولة  
بمثلها أو ما يناسبها فيقول<sup>١</sup>: «فكان قال المولى شهاب الدين محمود في  
تقليد... الخ»، ثم نقل في هذا الصدد ما طاب له النقل من كتابه.  
وشهاب الدين محمود هذا هو: شهاب الدين أبو الشاء محمود بن سليمان  
الخلي الحنفي، صاحب ديوان الإنشاء بدمشق، توفي سنة ٧٢٥.  
وكتابه الذي نقل منه هو: كتاب حسن التوصل إلى صناعة الترسيل  
صفحة ٩٢. فبحض ذكر المولى شهاب الدين لا يمكن للباحث أن  
يهتمد إلى الاسم الصحيح الكامل وكتابه المقصود منه العينة، إلا بعد  
بحث مرض طويل ورجوع إلى فهارس وفائدات للمؤلفين والجامعين،  
وذلك أمر عسير يتطلب الجهد والمشقة.

ومن أمثلته كذلك ما أورده في ذكر رؤيا الملك وتعبيرها وما  
كان من أمر يوسف وولايته في «الباب الرابع من القسم الثاني»،  
من الفن الخامس»<sup>٢</sup>.

(١) نهاية ٧ / ١٨٤.

(٢) نهاية ١٣ / ١٤٣.

فقال النويرى : قال الثعلبى : قال أهل الكتاب : لما نمت ليوسف ثلاثة سنّة استوزره فرعون مصر - وبعد سطرين يواصل نقله قائلاً : و حكى الثعلبى أن الملك عزل الوزير و ولى يوسف .. الخ الحكاية ، قال : سمعت رسول الله صل الله عليه وسلم يحدث حدثاً لم اسمعه إلا مرتين أو مرتين لم أحدث به ، سمعت منه أكثر من سبع مرات ..... فاكتفى النويرى في هذه الموضع وغيرها أيضاً من هذا الجزء بذكر لقب صاحب الكتاب المنقول عنه الموضوع وهو «الثعلبى»، ولم يذكر اسمه الكامل مما يختار الباحث ويلتبس عليه الأمر في هوية هذا الرجل . فان الذين يلقبون « بالثعلبى » قد يكونون كثيرين . ولذلك فان الباحث ، بعد بحث مرض طويل ، يتمكن من العثور على اسمه الكامل وهو : أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابورى المعروف « بالثعلبى » ( المتوفى ٤٢٧ ) . أما كتابه الذى نقل منه الموضوع فهو : « يواقيت البيان في قصر القرآن » أو قصص الأنبياء المسمى به « العرائس » ، وقد طبع الكتاب في عام ١٣٠١ الهجرى بالمطبعة البهية - القاهرة . والجدير بالذكر أن النويرى نقل من هذا الكتاب في معظم القصص المتعلقة بالأنبياء الواردة في هذا الجزء من النهاية .

و من أمثلته ما أورد من المؤلفين الذين نقل عنهم في « القسم الرابع من الفن الثاني - في التهانى و البشار و المرافق و النوادب والزهد و التوكل والأدعية »<sup>١</sup> .

فقد ذكر النويرى في هذا القسم أسماء مثل « الحدونى أخي صاحب التذكرة »، و الوزير الفقيه أبي القاسم محمد بن الجد الأندلسى ،

(١) نهاية ٥ / ١٢٣

و أبي المكارم بن عبد السلام من شعراء الخريدة .  
 و من أمثله أيضاً ما أورده في ذكر ما قبل في السلاح  
 وأوصافه ، حيث قال<sup>(١)</sup> : وقال العتبى : بعث عمر بن الخطاب رضي الله  
 عنه إلى معد يكرب أن يبعث إليه بيته المعروف به الصمصامة ، فبعث  
 إليه به ... الخ ، فذكر "العتبى" فقط دون الإشارة إلى اسمه الكامل  
 وهو : محمد بن عبد الله<sup>(٢)</sup> وكتابه "التاريخ اليميني" ، وكذلك ذكره ،  
 "قال الماوردي"<sup>(٣)</sup> أما الماوردي هذا فهو : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب  
 البصرى وكتابه المنقول منه العينة هو "الأحكام السلطانية" ، ومن  
 أمثله قول التويرى "ذكر ما يأتى به القاضى ويذره في حق نفسه" ،  
 حيث قال<sup>(٤)</sup> : قال الحليمي : إذا دعا الإمام رجلاً إلى القضاء فيبني له  
 أن ينظر في حال نفسه وحال الناس الذين يدعى إلى النظر في  
 مظالمهم .

اما الحليمي هذا فهو : الشيخ الإمام أبو عبد الله الحسين بن الحسن  
 ابن محمد بن حليم الحليمي الجرجانى الشافعى . أما كتابه المنقول منه النص  
 فهو : كتاب المنهاج .

و من أمثله أيضاً قول التويرى<sup>(٥)</sup> في "ما قبل في القتال في  
 البحر" ، قال العسكري في "ديوان المعانى" ، و العسكري امم كثير  
 الاشتباه لأن هناك عسكريين اثنين وجداً في عصر واحد ، يتفقان اتفاقاً

(١) نهاية ٦ / ٢٠٠

(٢) راجع مقدمة كتاب "مروج الذهب" للسعودى صفحة ٤ .

(٣) نهاية ٦ / ٢٠٤

(٤) نهاية ٦ / ٢٥٨

(٥) نهاية ٦ / ١٩٧

غريباً في بعض أجزاء أيهما و ما :  
الأول هو :

الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل بن زيد بن حكيم المشهور  
بالعسكري « أبو أحمد » المتوفى سنة ٣٨٢ هجرية .

الثاني هو :

الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران المشهور  
بالعسكري « أبو هلال » المتوفى سنة ٣٩٥ هجرية .

ولذلك فإن الباحث يتحير أيهما يعني التويري عند النقل . أما  
صاحبها فهو العسكري الثاني المشهور بابي هلال « والجدير بالذكر أن  
التويري نقل منه كثيراً من الأشعار حول مختلف الموضوعات وبخاصة  
في الغزل والنسف .

لقد نقل التويري موضوعات كثيرة من كتاب « قوانين الوزارة »  
و « الآداب السلطانية » للأوردي ، ولكن في معظم الأحيان اكتفى  
بذكر اسم المؤلف فقط كقوله « قال الماوردي » ، وكذلك الحال بالنسبة  
لنقله من كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ، فقد نقل منه أشياء كثيرة  
ولكنه نادراً ما يذكر كتابه المنقول عنه النص . و سار نفس المنهج  
عند نقله من كتاب الأغانى لابي الفرج الأصفهانى .

و من أمثلته أيضاً ما أورده من كتاب « المؤتلف والمتناقض في  
أسماء نقلة الحديث » فقد اكتفى بعد ما فرغ من النقل أن قال « هذا مختصر  
ما فيه عبد الغنى » ، وبهذا الاسم المختصر لا يمكن لباحث عادى أن يعرف  
أن مؤلفه هو « عبد الغنى بن سعيد المصرى » وقد اختار من الكتاب  
ما طاب له من الأسماء . وكذلك قوله « أقوال الشيخ رحمه الله تعالى

فـ كتابه أخيل والوان أخيل أدهم، الخ وهذا الشیخ هو: الإمام الحافظ شرف الدين عبد المؤمن الدمياطي المصرى المتوفى ٥٧٠ هجرية، مؤلف كتاب «فضل أخيل» مطبوع حلب ١٣٤٩ هجرية . و من أمثلته قوله النويري<sup>١</sup> «قال ابن قتيبة و ابن الأجدالى: إذا كان الفرس أبیض الظهر، أما ابن قتيبة فأدیب معروف و كتابه المقول منه هنا هو أدب الكاتب، ولكن الأجدالى شخصية غير معروفة للغاية، و هو أبو اسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن عبد الله المعروف بابن الأجدالى الطرايسى . و كتابه هو : كفاية المتحفظ و نهاية الملفظ .

و من أمثلته أيضاً صفحة ٧٠ (١١) و صفحة ١٢٠ وكل أجزاء السيرة النبوية من الجزء ١٦ إلى ١٨ وذلك في الفن الخامس والأخير من كتاب نهاية الأربع .

و في الكتاب أمثلة كثيرة تدل على اختصار اسم المؤلف أو الجامع أو الاقتصاد أحياناً على ذكر كنية المؤلف أو لقبه فقط مما يحتاج الباحث إلى معرفة اسمه الكامل ثم البحث عن الكتاب الذي نقل منه إذا كان صاحب تصانيف كثيرة، مثل الجاحظ الذي يمتاز بين أدباء عصره بكثرة وكتبه تعددتها وتنوعها ، أو ابن قتيبة الذي صنف في كل علم وفن تقريباً وقد نقل منها النويري الشيء الكثير، مثل نقله من كتاب الحيوان للجاحظ في عدة أقسام من كتابه مثل التفاصيل و المعلومات عن النار<sup>٢</sup> وفي عدة مواضع في ذكر الحيوان . و من كتاب ابن قتيبة كتاب الميسر و القداح جزء ٣ و كتاب «عيون

(١) نهاية ١٠ / ١٣ .

(٢) نهاية ١١ و ٤ و ٥ و ٦ .

الأخبار، في ج ١، وعدة أماكن أخرى. وكذلك الحال بالنسبة لنقله من كتاب «الأدب الكبير» لابن المقفع، فاكتفى بذكر اسمه دون كتابه.

ومن أمثلته أيضا قوله<sup>١</sup>: وقال ابن قتيبة: الدوائر مائة عشرة دائرة تكره منها "المفعة" فإن هذا الاقتباس منقول من كتابه "أدب الكاتب" صفحة ١٥ مطبوع مصر، ومن أمثلته كذلك ما نقله في نفس هذا الجزء صفحة ٣٢٢ حيث قال "وقد حكى صاحب كتاب مباحث الفكر ومناهج العبر في كتابه قال: رأيت في بعض الجاميع المجهولة أن في بعض البحار شاء شعراء تكون في البر مع البهائم.... الرعن الخ" ولم يذكر اسم صاحب الكتاب وهو جمال الدين الوطواط ومن أمثلته ج ١١ صفحة ١ "الوراق". و هنا نختتم قولنا عن هذه الظاهرة خيفة أن يطول بنا الكلام إذا ما عمدنا إلى سرد شواهد وأمثلة أخرى من الكتاب وهي كثيرة جدا يفهم بها سفره الضخم هذا.

لا يذكر المرجع إطلاقا:

إن النورى مع ذكره لراجع من المؤلفين والكتب، سواء كان مختصرا أو مفصلا، كما أسلفناه، لا يذكر مراجعته ومصادره معظم الأحيان، وتجلى هذه الظاهرة في الموضوعات التي تتعلق عادة بالأسماك الأدية من الكتاب، مثل النقل لعيارات أدبية، من خطب ومقالات ونماذج الإنشاء الديوانية منها والأدية، والأشعار التي أتى بها كشواهد أو تمثيلا لمنقولاته حول مختلف الموضوعات والمواد.

<sup>١</sup>(١) نهاية ١٧ / ١٠ .

و طريقته هي هذه أيضاً من الصعوبات الكاداء في الوصول إلى المراجع والمصادر الحقيقة التي لا يمكن التوصل إليها إلا بعد جهد و مشقة بالغتين، و بعد التنقيب عن بطون الكتب و مراجعتها مراجعة دقيقة مضنية .

و يروق لنا أن نقدم النماذج لهذه الظاهرة ، و نأنى بالشواهد على ما أسلفنا من القول حول طريقته هذه . من مختلف أقسام الكتاب والأبواب ، و ذلك على سبيل الاستدلال لا الحصر ، فان مثل هذه المواقع كثيرة مبعثرة هنا وهناك ، في طيات هذه المجلدات الضخمة . فن المتذر للره إحصاء مثل هذه الأماكن لتضخم الكتاب و تعدد أقسامه وأبوابه ، بالإضافة إلى ما تتطلب هذه العملية من جهد وقت ، فنقول :

كتب النويري في صفحة ٢٥ من نهاية الأربع الجزء ، في باب أما ما ورد في الشيب يقول : ” قال قيس بن عاصم رحمة الله عليه : الشيب خطام المنية و قال غيره : الشيب نذير الموت ” .

و قال : قد ورد في بعض التفاسير في قوله تبارك و تعالى ” و جاءكم نذير ” قيل : هو الشيب ، إلى قول عبد الملك بن مروان ” شيني ارتقاء النار و توقع اللعن ” .

فإن النويري أورد هذه المقتطفات من العقد الفريد لابن عبد ربه الجزء الثاني و لم يذكر هذا المرجع على الإطلاق .

و كذلك ذكر ” صفة البلاغة ” حيث يقول ” قبل لعمرو بن عبيد : ما البلاغة ؟ قال : ما بلغك الجنة و عدل بك عن النار ، قال السائل : ليس هذا أريد ، قال : فا بصرك مواقع رشك و عواقب غبك ، قال : ليس هذا أريد .. الخ ” .

فإن هذا الكلام كله أورده من العقد الفريد الجزء الأول

أيضاً صفحة ٢٨٢ لفظاً و حرفاً دون تصرف و من غير ذكر المرجع ، اللهم  
إلا بعض الكلمات والألفاظ في سياق الكلام .

و كذلك الحال عند نقله<sup>١</sup> لـ "صفة الإمام العادل" التي  
كتبها الحسن بن أبي الحسن البصري بناء على طلب من عمر بن  
عبد العزيز أوردها أيضاً من العقد الفريد بنفس الجزء صفحة ١٩ .  
نقل النويري بالإضافة إلى هذه العينات اقتباسات كثيرة في  
مواضع متفرقة من كتابه من كتاب العقد الفريد بأجزائه ، ولم يشر  
إليها ، فنها :

ذكر من انتهى إليهم الجود في الجاهلية و ذكر شيء من  
أخبارهم .

حيث بدأ بمقيدة ثم "ضرب المثل بحاتم و كعب" و الكلام  
بعده ، فإنه نقله من العقد الفريد الجزء الأول مع بعض الاختلافات  
في سرد بعض التفاصيل حول أخبار الأصحاب منقوله من الأغاني دون  
أن يشير إليه أيضاً .

و كذلك "ما قيل في الاعطاء قبل السؤال"<sup>٢</sup> و الذي قال  
فيه : "قال سعيد بن العاص : قبح الله المعروف" فإنه نقله أيضاً من  
العقد الفريد الجزء الأول صفحة ١١٨ . و كذلك الحال بالنسبة "للقسم  
الثالث من الفن الثاني" الباب الأول - في المدح ، و الباب الثاني -  
في الهجاء ، فإنه نقل البابين من العقد الفريد الجزء الثالث صفحة ٣٩٢  
إلى صفحة ٣٩٥ .

أما "الباب الثالث من" القسم الثالث من الفن الثاني -

(١) نهاية ٦ / ٤٧ .

(٢) نهاية ٣ / ٢١٨ .

فـ المجنون و النواذر و الفكاهات و الملح<sup>١</sup> ، فـ انه أيضا منقول من العقد الفريد الجزء الرابع - كتاب المؤلفة الثانية في "الفكاهات و الملح" صفحـة ٣٤ (الطبعة الأزهـرية) . و هذه هي النسخـة التي أشرنا إليها في هذا المقال ) .

و قد وقع بعض الاختلافـات بين كلمـات التـويري و العـقد ، مثل قول التـويري ، "فـان اـكرهـتها أـنصـبـتها" ، و وردـت هذه الجـلة في العـقد الفـريد "فـان اـكرهـتها أـنصـبـتها" و المعـنى لا يـقـع فيـه أـى خـلل بـأـية الجـلتـين ، و كذلك قول التـويري "حامـض الـوجه" فقد وـردـ فيـ العـقد الفـريد "جاـحظ الـوجه" و إـنـما يـقـال "جاـحظ العـينـين" كـالأـدـيب المشـهـور "جاـحظ" (راجـعـ اللـغـات) .

اما "ذـكر مـراحـات رـسـول الله صـلـى الله عـلـيه و سـلـمـ" فـان مـرجعـ التـويرـي فـيهـ كـتبـ الأـحـادـيثـ الـنبـويـةـ وـ خـاصـةـ التـرمـذـيـ وـ أـبـو دـاـودـ ، إـلاـ أـنـهـ لمـ يـذـكـرـهاـ إـطـلاـقاـ .

وـ فيـ الجـزـءـ السـادـسـ منـ النـهاـيـةـ صـفـحةـ ٥ـ ، نـفـلـ التـويرـيـ الـبـابـ الثـانـيـ منـ القـسـمـ الـخـامـسـ منـ الفـنـ الثـانـيـ منـ العـقدـ الفـريـدـ الجـزـءـ الـأـوـلـ صـفـحةـ ٥ـ ، وـ كذلكـ الـحـالـ بـالـنـسـبـةـ لـلـبـابـ الـخـامـسـ منـ القـسـمـ الـخـامـسـ منـ الفـنـ الثـانـيـ فـصـلـ "فيـما يـحـبـ عـلـى الـمـلـكـ لـلـرـعـاـيـاـ" مـأـخـوذـ منـ العـقدـ الفـريـدـ الجـزـءـ الـأـوـلـ صـفـحةـ ١٣ـ وـ ماـ بـعـدـهاـ وـ كذلكـ "ذـكـرـ ماـ قـيلـ فـيـ حـسـنـ السـيـرـةـ وـ الرـفـقـ بـالـرـعـيـةـ" <sup>٢</sup> فـانـهـ أـورـدـهـ منـ العـقدـ الفـريـدـ الجـزـءـ الـأـوـلـ لـفـظـاـ وـ حـرـفاـ إـلـاـ جـلـةـ وـاحـدةـ . وـ كذلكـ الـبـابـ السـادـسـ - فيـ

(١) نـهاـيـةـ : (الـجـزـءـ الـرـابـعـ) .

(٢) نـهاـيـةـ ٦ / ٣٣ .

(٣) نـهاـيـةـ ٦ / ٤١ .

حسن السياسة و الملك . . . الخ .<sup>١</sup> منقول من العقد الجزء الأول ، مع بعض الاختلاف في الفاظ طلب الوليد بن عبد الملك إلى الحجاج ابن يوسف أن يكتب سيرته إليه .

أما " ذكر من اشتهر بالمزاح من الصحابة رضوان الله عليهم " و الذي ابتدأه بأشهر المزاحين بين الصحابة و هو نعيمان البدرى حيث سرد قصة مزاحه مع سوبيط ( هو بدرى أيضا ) و كان مسؤولا عن الزاد في مسيرة أبي بكر إلى بصرى ، فطلب نعيمان منه أن يطعمه شيئا فرفض إلا بعد إذن من أبي بكر فباء ( أي سوبيط ) من أناس و أوهم لهم أن غلامي هذا دعاء وقد يقول : أنا حر ، فلا تبالوا بقوله ، فأتى المشترون إلى سوبيط و وضعوا في عنقه حلا و استاقوه وهو يصرخ ويصيح " أنا حر ، أنا حر ، و هو كذاب " و لكنهم لم يهتموا بقوله و ذهبوا به . جاء أبو بكر فأخبر بالقصة فذهب إليهم و رد إليهم القلائص التي كان نعيمان قد أخذها ثمن سوبيط و رده إلى القافلة . و لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بهذه القصة ضحك منها حولا . ف بهذه القصة و القصص الأخرى في هذا الباب منقوله من كتاب " أخبار الظراف و المهاجنين " لابن الجوزى ، ولكن التويرى لم يذكره إطلاقا .

و من أمثلة عدم ذكر التويرى المرجع ما نقله في " فصل في الوزارة و أصحاب الملك " فاكثره منقول من كتاب " قوانين الوزارة "

(١) نهاية ٦ / ٤٣ .

(٢) نهاية ٤ / ٤

(٣) نهاية ٦ / ٤٢ .

لناوردى، أما ”وصايا أصحاب السلطان“ في نفس الجزء السادس فانها مأخوذة من ”الأدب الكبير“ لابن المقفع.

و كذلك فصل في ”وصف أعضاء الإنسان“ و فصل ”ظهور الشيب“ و الفصول في ”أسماء شعر الإنسان“ و ”ما قيل في الحواجب“ و ”ما قبل في العيون و وصفها“ و فصل ”ترتيب الصمم“ و غيرها من فصول كثيرة منقولة من كتاب ”فقه اللغة“ للتعالى افظا و حرفا دون الإشارة إليه .

قال : الوزير أبو المغيرة ابن حزم عند ما عرضت عليه رسالة بديع الزمان في الغلام الذى خطب إليه و رده بعد أن عذر قال<sup>(١)</sup> :

ورد كتابك يشد صالة ودنا ويرفع خلق عهتنا و يطلب ما أفاءه جريرتك إلينا و ذهبت به جنابتك علينا ، أيام غصنك ناصر ، و بدرك زاهر ، لا نجد رسولا إليك غير لحظة تخرق حجاب الدموع .... الخ .

نقل النويرى هذه الرسالة بتلائمها ضمن فصل ”ما وصف به العذار على طريق الدم“ في الفن الثاني - الباب الأول ، و لكنه لم يذكر أو يشر إلى أنه نقلها من كتاب ”الذخيرة في محسن أهل الجزيرة“ لابن بسام الجزء الأول صفحة ١١٧<sup>(٢)</sup> .

ثم إن النويرى أورد الكتاب المشهور الذى كتبه سيدنا على رضى الله عنه إلى مالك بن الحارث الأشتر عند ما ولاه مصر ، و الذى

(١) نهاية ٤ / ٨٧ .

(٢) الذخيرة في محسن أهل الجزيرة ، لابن بسام - مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٤٨ أدب .

يتضمن نصائح وأصولاً غالبة القدر و القيمة<sup>١</sup> نقله من كتاب ”نهج البلاغة“ للسيد الشريف الرضا الجزء الثاني ص ٨٩ دون الإشارة إلى هذا الكتاب القيم المشهور . ومن أمثلته كل القسم الرابع<sup>٢</sup> وغيرها .

لقد نقل التویری نخبة مختارة ممتعة من الشعر الجيد الرصين في مختلف الأقسام ، والأبواب وللكتاب الشعراه مختلف العصور من تاريخ الأدب العربي و مختلف الصفات من الشعراه تمثيلاً أو شاهداً لموضوع أو مادة ، ولكنه لم يذكر إطلاقاً من أى مصدر اتّخَبْ هذه الأشعار أو إلى أى مرجع رجع لاختيار هذه المقتطفات مما يصعب على الباحث معرفة مصادرها و مراجعتها . وقد أتى بهذه الأشعار ابتداءً من الفن الأول واستمر فيه إلى الفن الرابع ، أى من الجزء الأول من كتابه نهاية الأربع إلى الجزء الخامس عشر من الكتاب . وقد نقل معظم هذه الأشعار من كتاب ”ديوان المعانى“ لأبي الهلال العسكري و كتاب المتصل ، للشعالي و ذهر الآداب ، للحضرى الفيروزى ، و العقد الفريد ، لابن عبد ربه ، و كتاب ”مباهج الفكر و مناجح العبر“ ، بجال الدين الوصاط ، و ”الذخيرة“ ، لابن بسام ، و ”ذم الموى“ ، لابن الجوزى و من كتاب ”بنتيمة الدهر“ للشعالي من مواضع متفرقة و خاصة أشعار المغاربة و يشير إليهم بعض الأحيان بقوله ”من شعراه البنتيمة“ دون الأفصاح عن اسم الكتاب الكامل وكذلك يشير بعض الأحيان إلى بعض الشعراه من ”الذخيرة“ ، لابن بسام بقوله من ”شعراء الذخيرة“ ، دون ذكر الاسم

(١) نهاية / ٦ . ١٩

(٢) نهاية / ٥ و نهاية / ١٥١ و ١٩٩ و ١٩٠ و ٩ و ٢٤٤ و ٣٤٤ و ٣٨٤ وغيرها .

الكامل . كما أنه ذكر اسم أبي الهمال العسكري ضمنا في ص ٢٦١ من نهاية ٢ . حيث قال بعد نقل البيت الثاني لأحمد بن إسحاق الطلقاني :

لقد حلت الحمى بساحة خدره فأبدلت الفاحس بسوسن الغض

قال أبو الهمال العسكري : و الأصل في ذلك قول عبد بي الحساس و نقل في كتابه " ديوان المعانى " بسند رفعه قال : كتب عبد الله بن عامر إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه أني اشتريت لك عبدا حبشا شاعرا ، فكتب إليه عثمان : لا حاجة لي فيه ، فان قصارى الشاعر منهم أن يهجو أعراضهم و يشبب بكريتهم فاشتراء بنو الحساس فرق يوما و هو ينشد :

ما ذا يريد السقام من قر كل جمال لوجهه يتسع  
فاعدا هذه الإشارات الحقيقة واللمع الضمنى إلى المصدر ،  
لم يبال التورى أن يذكر مصادره و مراجعه لهذا الديوان الكبير الذى  
زين به كتابه « النهاية » .

تلك هي نبذات قصيرة قدمناها على سبيل المثال لندل على أن التورى ينقل من الكتب ما يحتاج إليه من الموضوعات و المواد و المقالات والأحاديث و الشعر ، لفظا و حرفا في معظم الأحيان ، و مع بعض التصرف و التعديل بعض الأحيان ، و لكنه لا يذكر المرجع بالتفصيل ، أو لا يشير إليه بكلمة مما يخفي إلى القارئ أن التورى هو الذي تجشم مشقة كتابتها بعد إتقان الدراسة و المطالعة ، كما هو دأب المؤلفين والمصنفين ، و لكنه لما يخوض غمار البحث و التنقيب يجد لشدة دهشه أن هذه النبذات و المقتطفات و المقطوعات إن هي إلا مقتبسات و منقولات من كتب مختلفة متعددة ، تبحث في الموضوع المعين الذي عمد التورى إلى النقل و الاقتباس حوله في كتابه .

ينقل لفظاً و حرفاً دون تصرف :

و بصفته الناقل المحسن يعمد التویرى إلى بعض النبذات من كتاب انتجه لموضوع فينقلها لفظاً و حرفاً دون التصرف فيها بكلمة. ومثال ذلك ما أورده من كتاب «أدب الكتاب»، لأبي بكر محمد بن يحيى الصولى في النهاية الجزء السابع ص ١٤ فصل «وما قيل في حسن الخط و جودة الكتابة»، ومدح الكتاب حيث يقول: سئل بعض الكتاب عن الخط: متى يستحق أن يوصف بالجودة؟ قال: إذا اعتدلت أقسامه، و طالت ألفه و لامه، و استقامت سطوره... فلقد وردت هذه الكلمات بعينها في كتاب «أدب الكاتب» للصولى ص ٥٠ لفظاً و حرفاً.

وكذلك ما أورده في ذكر «ما قيل في حسن السيرة و الرفق بالرعاية»، إذ يقول<sup>١</sup>: قال الله تعالى: «ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفعوا من حولك»، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير كله... و الكلام الذي بليه... فإنه نقله لفظاً و حرفاً من «العقد الفريد» - الجزء الأول صفحة ٢٢. دون تصرف فيه أو تغيير.

و من أمثلته «رسالة الثقيقة»، التي بعث بها أبو بكر الصديق إلى علي رضى الله عنه عند توليه الخلافة، نقل التویرى هذه الرسالة من رسائل أبي حيان التوحيدى و لقد أتى بها لفظاً و حرفاً دون التعليق عليه بحرف مع العلم أن هذه الرسالة مشكوك فيها و مطعون عليها<sup>٢</sup>.

(١) نهاية ٦ / ٤١

(٢) بجمع الدكتور إبراهيم الكيلاني هذه الرسائل و نشرها في دمشق عام ١٩٥١.

وكذلك سلك نفس المسلك عند نقله للفنون المختلفة من الكتب، و الموضوعات الدينية ، كما أشرنا إليها سابقاً عند الكلام عن الحر و الساع و غير ذلك من الموضوعات الدينية الحالصة فانه يراعي فيها الأمانة التامة . و فيما يتعلق بالفنون ، فأخذ مثلاً في ديوان الإنشاء ، الذي تناوله في النهاية ج ٨ و ج ٩ ، فتجده هنا أيضاً أنه يلتزم الأمانة و الصدق في النقل ، فيقتبس العينات و النصوص بغاية من الدقة و الأمانة التامة دون تصرف أو تغيير أو تعديل أو تحرير .

فقد نقل النورى في هذين الجزئين من كتابه نماذج مختلفة للرسائل الديوانية ، وأمضا رائمه من الإنشاء الراهن من لدن القاضى الفاضل محى الدين أبي على عبد الرحيم البىانى<sup>١</sup> إلى صديقه منشى عصره وفريد زمامه تاج الدين عبد الباقى بن عبد المجيد البىانى .

و من الجدير بالذكر أن النورى قبل نقل رسائلهم الإنسانية يعدد خلاف عادته في كتابه هذا إلى التعريف بهؤلاء المنشئين بما يليق بهمائهم اللائق في فن كتابة الرسائل الديوانية و الإنشاء الرسمى المأثور في ذلك الزمان . فثلا يقول قبل نقل رسالة القاضى الفاضل السالفة الذكر وهو يعرفه إلى القراء قائلاً :

«أبي على عبد الرحيم ابن القاضى الأشرف (أبي المجد على) بن الحسن بن الحسين بن أحمد اللخمى الكاتب المعروف بالبىانى - رحمه الله - إليه انتهت صناعة الإنشاء و وقفت ، و بفضله أفرت أبناء البیان و اعترفت ، و من بعمر علمه رويت ذوى الفضائل و اغترفت ، و أمام فضلها أفت

(١) هو أبو على عبد الرحيم البىانى اللخمى ، كاتب الديار المصرية و صاحب الطريقة الفاضلية و الكتابة البدوية ، ولد بمدينة عسقلان سنة ٢٩٠ و توفى

البلغة عصاها ، و بين يديه استقرت بها نواها ، فهو كاتب الشرق و الغرب في زمانه و عصره ، و ناشر الولية الفضل في مصره و غير مصره ، و رافع علم البيان لا محالة ، و الفاصل بغير إطالة ... كل فاضل بعد الفاضل فضله ، وكل قد عرف له فضله ، و ستفت إنشاء الله من كلامه على السحر الحلال ، و تروي صداقك من الفاظه بالعذب الزلال .

ثم نقل رسالته التي كتب إلى النظام أمير حلب حيث قال<sup>١</sup> :

ورد كتاب المجلس السامي - حرس الله به نظام المجد ، و أطلق فيه لسان الحمد ، و دامت مسامعه مصالحة بيد السعد ... الخ الرسالة ، فنقل هذه الرسالة بتهامها دون تصرف . ثم نقل بعض الأجرة التي كتبها القاضي الفاضل و بعض رسائله الأخرى .

و فيما يتعلق بإنشاء ابن عبد المجيد البهانى ، فقد عرفه أولاً بهذه الألفاظ :

هو الذي أتقن صناعة الأدب في غرة شبابه ، و برع على من اكتهل في طلبها و شاب في الترقى إلى رتبها ، فما ظنك بأترابه ، و جارى ذوى الفضل في الأقطار اليمنية .. و بعد الاستمرار في التعريف به إلى صفحة تقريراً من كتابه . . يقول : وقد قدمنا من كلامه في هذا الكتاب ما باسمه ترجمناه و لفظاته نسبناه ، مما توقف عليه في موضعه ، فنورد له في هذا الباب غير ما تقدم بإراده و تأثر ، و نأخذ لتصنيفنا من بلاغته بالنصيب الأوفى و الحظ الأوفر . ثم نقل نموذج إنشائه بقوله<sup>٢</sup> :

«فن إنشائه كتاب عن الخليفة المستكفي بالله أمير المؤمنين أبي الريء سليمان ملك اليمن - عمله تجربة لخاطره عند ما رسم بكتابته

(١) نهاية ٨/٢٠٠ . . (٢) نهاية ٨/١٥٢ - ١٥٨ .

ابناؤه بأن قال :

” أما بعد حمد الله مات القلوب السليمة هداها ، و مرشد العقول  
إلى أمر معادها و مبتداها . . . ، إلى آخر هذه الرسالة التي تستمر إلى  
أكثـر من ست صفحـات من الكتاب ، فقد أورـدـها من غير تصرف  
أو تغيـير . ”

و سار نفس المنهج عند نقلـه العهـود و المـواـثـيق الرسمـية ،  
و كـيفـيـة كتابـة الضـهـانـات و العـهـود و غـيـرـها من الـكتـابـات الرـسـمـية ، و الـتـي  
أورـدـها في الجـزـء التـاسـع من كتابـه « النـهاـيـة » .

ولقد نـقـلـ النـورـى لـنفسـهـذاـالـمـنـشـىـ المعـاصـر ” تـاجـ الدـينـ  
عبدـالـبـاقـىـ بنـ عبدـالـمـجـيدـالـيـاهـىـ رسـالـةـ أـشـأـهـاـ فـيـ سـنـةـ سـتـ أوـ خـمـسـ

(٢) هو الأديـبـ الـبـارـاعـ تـاجـ الدـينـ أبوـ الـمحـاسـنـ عبدـالـبـاقـىـ بنـ عبدـالـمـجـيدـ بنـ  
عبدـالـلهـ ، ولـهـ بـكـةـ المـشـرةـ ، فـيـ رـجـبـ سـنـةـ ٦٨٥ـ . وـ كانـ إـمامـاـ فـاضـلاـ  
أـدـيـباـ بـلـيـغاـ . قـدـمـ الـقـاهـرـةـ ثـمـ رـحـلـ إـلـىـ دـمـشـقـ وـ أـقـامـ بـهـ مـدـدـةـ سـبـعـ سـنـينـ  
يـقـرـىـ الـطـلـبـةـ وـ الـقـامـاتـ الـحرـرـيـةـ وـ الـعـرـوـضـ وـ غـيـرـذـكـ منـ عـلـومـ الـأـدـبـ . ثـمـ  
سـافـرـ إـلـىـ الـيـمـنـ وـ أـقـامـ بـهـ مـدـدـةـ وـ وـلـىـ الـوزـارـةـ وـ عـزـلـ وـ صـوـدرـ ، ثـمـ عـادـ  
إـلـىـ الـقـاهـرـةـ وـ وـلـىـ التـدـرـيـسـ بـالـشـهـادـ التـفـيـسـ وـ شـهـادـةـ الـبـيـارـسـتـانـ الـمـنـصـورـىـ .  
ثـمـ تـوـجـهـ إـلـىـ طـرـابـاسـ وـ دـمـشـقـ فـلـمـ تـنـلـ مـدـدـهـ وـ عـادـ إـلـىـ الـقـاهـرـةـ وـ مـاتـ بـهـ  
سـنـةـ ٧٤٣ـ . وـ لـهـ عـدـةـ تـأـلـيـفـاتـ مـنـهـاـ : مـطـرـبـ السـمـعـ فـيـ شـرـحـ حـدـيـثـ أـمـ  
زـرـعـ وـ لـقطـةـ العـجـلـانـ الـخـتـصـرـ فـيـ وـقـيـاتـ الـأـعـيـانـ ، وـ هـمـلـ تـارـيخـاـ لـلـنـعـاهـةـ  
وـ اـخـتـصـرـ الصـحـاحـ . وـ سـمـعـ مـنـهـ الـبـرـزـالـيـ وـ الـذـهـبـيـ (وـ ذـكـرـاهـ فـيـ مـعـجمـيهـاـ)  
وـ اـبـنـ رـاعـمـ وـ خـلـانـقـ . وـ كـتـبـ عـنـهـ الشـيـخـ أـبـوـ حـيـانـ وـ أـنـيـ عـلـيـهـ كـفـيرـاـ .  
( رـاجـعـ شـذـرـاتـ الـذـهـبـ فـيـ أـخـبـارـ مـنـ ذـهـبـ لـابـنـ الـعـادـ الـحـنـبلـ وـ الـمـنـهـلـ  
لـلـصـافـىـ ) .

و سبعائة ، و يقول النويرى عنها : و سمعتها من لفظه و نقلتها من إملائه و هي <sup>١</sup> :

”يقبل اليد العالية الفلانية، لا زالت ترسل إلى الأولياء سحائب كرمها، و تقلد الأوداء قلائد نعمها، ولا برح المرهفان حاشيتها و خدمها، حتى ينوب القلم عن صليل مرهفها و الصمصاص عن صرير قلتها ، لتساوي في الإنفاذ مواقع كلمها و مرايم كلامها ، ولا قوى ظاهرها قبلة القبل و غاية الآمال ، و باطنها مورد السكرم و مصدر الأموال“ .

إلى آخر الرسالة التي تستمر إلى ثلاثة صفحات من الكتاب ، وهذه  
الرسالة هي الفريدة من نوعها إذ نقلها قاتلا أنه سمعها منه و نقلها لفظا  
و حرفيا تسجيلا لما ذكر أحد أصدقائه و مشاركيه في المهنة ، وهي مهنة  
كتابة الرسائل الديوانية .

و هناك رسالة ثانية من نفس هذا النوع الا وهى للوالى الفاصل العالم الاديب البلين شهاب الدين أبي الشاه محمود بن سليمان الحلبي الكاتب ، والرسالة تتعلق بالخيال ، عملها تجربة و رياضة لخاطره ، فيقول النويرى ولم يكتب بها ، سمعتها من لفظه و نقلتها من خطه ، و هى :

”أَدَمَ اللَّهُ إِحْسَانَ الْجَنَابِ الْفَلَانِيِّ وَلَا زَالَ الْأَمَالُ فِي  
أَمْوَالِهِ مُحْكَمَةً، وَالْأَمَانِيُّ كَالْمَحَمَدِ فِي أَبْوَابِهِ مُخَيْمَةً، وَالْمَعَالِيُّ كَالْعَوَالِيِّ  
إِلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ مُسْلِمَةً، وَالْمَكَارِمُ تَغْرِيهُ فِي النَّدَى حَتَّى يَذْلِلَ مَا حَبَبَ

•  $\nabla \circ / 1 + \tilde{a}_2 \ln(1)$

• ٤٠ / ١٠ نهایة (٢)

إليه من الخيل المسؤمة ” ... إلى آخر الرسالة<sup>١</sup>.

فقد نقل هذه الرسالة دون تصرف و تغيير في الكلام ، ما بلق الضوء و يؤكد الرأى أنه يتحاشى من التصرف و التبديل ، ولو كان في صورة التهذيب و التقويم ، في مثل هذه الموضوعات التي لها صلة وثيقة بفن معين ، خاصة إذا كانت العينة من أهم شخصية من الشخصيات المشهورة في هذا الفن المخصوص .

و من أمثلة نقل العينة بحملتها دون التصرف ، ما نقله عن نفس هذا المنشىء أى شهاب الدين محمود بن سليمان الحلبي الكاتب ، صاحب كتاب « حسن التوصل إلى صناعة الترسيل » من رسالة عن رمي البندق قائلًا<sup>٢</sup> : وقد أوردتها بحملتها ، لحسن الثناءها و اتساق نظامها و جودة ترتيبها و بدبيع تهذيبها . وهي : الرياضة - أطال الله بقاء الجناب الفلافي ، و جعل حبه كقلب عدوه واجبا ، و سعده كوصف عيده للسار جالبا وللضار حاجبا ... الخ .

فهنا لم يتصرف النورى في الرسالة لأنها حسنة الالئام بدبيعة التهذيب و الترتيب ، فلا حاجة إلى التصرف و التغيير فيها .

و هكذا يجده يلزم جانب الأمانة الشديدة في نقل الرسائل الديوانية ، و النماذج ، و الأنماط الإنسانية الرابحة في تلك الحقبة من الزمن وفي ذلك الهيكل من التنظيم الإداري . و هنا نختتم هذه العجالة لكي نلقى نظرة خاطفة على الفنون الأخرى من التي نقلها في الهاية .

قراء ينقل المعلومات عن البيانات المختلفة في « الفن »

(١) راجع هذه الرسالة في كتاب « حسن التوصل إلى صناعة الترسيل » ، لمنشى هذه الرسالة ، مطبوعة بالمطبعة الوهبية بمصر ، سنه ١٨٨١ م .

(٢) نهاية : ١٠٠ / ٣٢٨ .

الرابع،<sup>١</sup> من مصادر شتى وينقل من مؤلفين عدديين لهم نصيب وافر من العلم والمعرفة بالنبات، ويراعى فيه دقة الأamaة فلا يمس العينات والاقتباسات بتصرف أو تعديل أو ترميم . وذلك لأنه ضليل المعرفة سطحي العلم بهذا الفن ولذلك لم يتصرف فيه أى تصرف . وقد اعتمد النويرى في النقل في هذا الفن على الشيخ الرئيس أبي على بن سينا الفيلسوف وأبي الأطباء الشهير في كتابه "القانون" فنقل منه أكثر المعلومات ولو أنه نقل أيضاً من كتاب «الفلاحة النبطية» لكتبه «أبي بكر بن وحشية» - كاتب غير معروف - كما نقل من «فقه اللغة» للتعالى أسماء الحضروات والنباتات و مختلف مدارجها من البذر إلى أن تصبح شجراً أو شجيرات . و الجدير بالذكر أن النويرى في هذا الفن قد اختصر كتاب القانون كله ولكن بكل أمانة ودقة .

فإن ألقينا النظر على ما نقله في الجغرافية نراه نقل العينات بدون التصرف والتعديل من كل من «مروج الذهب» لسعودى، و«المسالك والمالك» لأبي عيد البكري، ونفس الكتاب لابن حوقل، و«نزهة المشتاق إلى اختراق الآفاق» للادرسي ، و«نقويم البلدان» لأبي الفداء، فينقل من كل هؤلاء المؤلفين وغيرهم أيضاً بكل أمانة وصدق دون التصرف<sup>٢</sup> .

و سار نفس المنهج فيما يتعلق بالتاريخ، فقد نقل في نفس هذا الجزء من تاريخ البلاد والأصنفاع وتاريخ وأحوال المعاقل والخصوص والفلائع، نقاً عن تاريخ مكة للأزرق، وتاريخ مصر

(١) نهاية : ١١٠

(٢) راجع نهاية ١ / ٣٠٠

للحسن بن إبراهيم : و السيرة لابن هشام . و الكامل لابن الأثير ، و الروض الأنف للسهيلي ، في مواضع متفرقة من الكتاب بدون التصرف والمس بالكلام المخصوص في هذه الكتب .<sup>١</sup>

و ذلك هو دأبه في السيرة النبوية أيضاً ، بل و يلتزم في هذا الموضوع الحساس جانب الحذر الشديد و يتمسك بمبدأ الحياد التام . و حير مثال له ما نقله حول اختلاف أقوال النسائيين بين كون المحمول معد بن عدنان أو عدنان نفسه .

فنقل أولاً عن السهيلي قائلًا : قال السهيلي : « أوحى الله تعالى إلى أرميا أن أحل معد بن عدنان على البراق إلى أرض العراق ، فاني مستخرج من صلبه نبياً اسمه محمد فحمل معه معداً و هو ابن اثني عشرة سنة ، وكان معه بنى إسرائيل إلى أن كبر و تزوج امرأة اسمها معانة . »

قال أبو الريحان بن سالم « و يقال المحمول عدنان ، والأول أكثر . قال : وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنه : إن الله تعالى بعث ملكين فاحتملوا معداً ، فلما رفع الله تعالى يأسه عن العرب رداه إلى موضعه من تهامة فكان يمكّن و نواحيها مع إخوانه من جرمهم . » و بعد أن نقل التويري قول الزبير بن بكار قصة انجازه بنو معد على عسكر موسى ، و دعائهما عليهم ، و قول الله في عدم استجابة دعائهما « يا موسى دعوت على قوم فيهم خيرٌ في نبي آخر الزمان » . قال التويري موضحاً موقفه من هذا الاختلاف :

« و في هذه الرواية ما فيها من المنافة لحد تقول من أنه كان مع أرميا ، ومن قال إنه كان على عهد عيسى عليه السلام و الله

أعلم بالصواب وإليه المرجع، هكذا تبرأ النويرى من الانغماض في هذا الاختلاف وإظهار رأيه تأييداً لهذا القول أو لذاك لكي يبق على حياده وأمانته بأكمل وجه.

ولكن ليس معناه أن النويرى يتلزم جانب الحياد في جميع المسائل المختلفة فيها بل نجده ينحاز ويصحح بعض الأقوال في مسألة خلافية إذا كانت تمس بالعقيدة الثابتة بالحديث الصحيح ويحاول في نقله أن يأتي بأقوال المؤيدين لهذه العقيدة وأقوال من يحمل مشكلة وقوع اختلاف في مثل هذه المسائل الهامة، وأحسن مثال لطريقته هذه القول بأن كنانة تزوج زوجة أبيه بعد وفاته على طريقة الجاهلية وأنجبت له النضر بن كنانة وبهذه الزبحة أصبح نسب النبي فاسداً و الحال أن النبي صل الله عليه وسلم قال: "ما زلت أخرج من نكاح كنناح الإسلام حتى خرجت من أمي وأبي" قال: "ومن اعتقاد غير هذا فقد كفر وشدد في هذا الخبر" ، قال: "والحمد لله الذي طهره من كل وصم وظهر به" ، فقد اعتمد في نقل السيرة الشريفة على كل من الجوانى النسابة، طبقات ابن سعد، و دلائل النبوة للبيهقي (مخطوط بدار الكتب المصرية ٢١٢ - حديث) و سيرة ابن هشام و كتاب المعارف لابن قتيبة و الطبرى ، و نقل منهم بكل أمانة و دقة، دون التغيير والتبدل ، (راجع نهاية الأربع الأجزاء ١٧٠٦ - ١٨٠٦) وهو الجزء الأخير المطبوع من هذه الأسفار .

فلاحظنا أن النويرى بصفته الناقد لنرائنا من العلوم و الفنون و المعرفة و الحكمة القديمة، قد التزم الأمانة بكمالها في مثل هذه الفنون

(١) نهاية ١٦: ١٥ /

الحسامة من تراثنا الضخم الراهن ، والمعثر في مختلف بطون الأسفار ، والمضرر في طيات مختلف المؤلفات و المصنفات ، المخطوطة منها والمطبوعة أني تسنى ذلك له ، لكن لا ينهم بالتعريف و التصحيف ، و التغيير و التبدل ، فيما بلغت إليه يداه من تراثنا القيم الثمين . يتصرف . . . ولكن ينفع و يهذب المنقولات و المقتبسات .

وليس معنى ما أسلفناه من القول حول عدم تصرف النويرى في منقولاته ، وما أبديناها من رأى حول عدم تغيير النويرى للعينات و المقتبسات ، أنه لا يتصرف إطلاقا ، بل ، يتصرف ، ولكن بصفة المنفع للنصوص والمذهب للختارات ، وذلك لكن يقدمها في صورة رائعة جذابة ممتعة ، تميل إليها النفوس و الأهواء ، و تتجه بها القلوب والأقداء ، و تتلذذ منها المشاعر و الأحساس ، و تترنح بها العواطف والخواطر ، و تستفيها الأذواق و المبول . أليس القائل « وما أوردت فيه (أى كتاب نهابة الأرب) إلا ما غالب على ظى أن النفوس تميل إليه ، وأن الخواطر تشتمل عليه ،؟ ( مقدمة الكتاب صفحة ٢٦ ) .

وكذا ، فإنه تحقيقا لمرماه هذا ، يتصرف أحيانا في المنقولات و المقتبسات ، و تصرفه هذا يتجلى أحيانا في تغيير الترتيب الذي وضعه صاحب الكتاب ، لكن يوافق خطة النويرى من موضعه لهذه المقتبسات في كتابه ، و خير مثال لهذه الظاهرة نقله الأنساب من النسابة الجوانى ، فإن الجوانى - كما علمنا - سرد النسب من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

إلى أن انحدر به إلى سيدنا آدم عليه السلام . ولكن النويرى قلب الترتيب . فجعله من آدم لوصله إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، كما هو المأثور ، وكما أشرنا إليه في غير هذا المكان من مقالنا .

وأحياناً يقدم شيئاً ويؤخر شيئاً آخر من المقولات في كتابه . وخير مثال لهذه الظاهرة نقله من كتاب « ذم الهوى » لابن الجوزي . فقد أورد ابن الجوزي في كتابه هذا خمسين باباً بترتيب خاص ، ولكن النويرى عند ما وضع باب « الغزل والفسيب والهوى والعشق » ، قدّم بعض أبواب ابن الجوزي على بعض وأخر بعضها عن بعض ، كما حذف بعض الأبواب وبعض المواد الواردة فيها حسب خطته .

وأحياناً يحذف التفاصيل وأحياناً يختصرها ويوجزها . وخير مثال لهذه الطريقة ما نقله من الأخبار والحكايات والواقع من كتاب « الأغاني » لأبي الفرج الأصفهانى ، حول مختلف الأشخاص ، من المغنيين والمطربين والشعراء والعلماء والخلفاء والقضاة وأولياء الأمور . فالنويرى ، إلى جانب تنقيح وتهذيب العينات والأخبار ، يصحح بعض بياناته أيضاً ، مثل سرد الاسم أو اللقب أو الولاء خطأ ، وكذلك عند نقله للامثل من كتاب الميدانى وغيره .

وأحياناً يختار النويرى العينات حول موضوع من كتاب واحد ، ويوزعها في أجزاء مختلفة من كتابه ، وبين مختلف أقسامه وأبوابه

وفصوله . ومثاله نقله الموضوعات من كتاب «العقد الفريد» لابن عبد ربه ، فلقد نقل منه نبذات كثيرة ، كما علمنا من قبل ، ولكنه وزعها في كتابه حسب خطه المرسومة . لذلك يجد شيئاً ذكره ابن عبد ربه مثلاً في الجزء الأول من كتابه نقله التوييري في الجزء الخامس من كتابه ، والذي ذكره ابن عبد ربه في الجزء الرابع من كتابه يجد متسعًا من كتاب التوييري في الجزء الأول مثلاً .

و كذلك الحال بالنسبة لنقله من كتاب «فقه اللغة» للتعالى ، و اتبع نفس الطريقة في نقله المعلومات عن «الحيوان» ، في الفن الرابع من كتابه ، فاستنق التوييري معظم معلوماته عن الحيوان والبهائم والحيوال والماشية و حتى الأسماك و الحيوانات المائية الأخرى من كتاب «مباحث الفكر و مناهج العبر» ، بحال الدين الوطواط الوراق الكتبى ، ولكنه لم يتبع ترتيب الوطواط بل أدرج بينه معلومات حصل عليها من مصادر أخرى غيره مثل «كتاب الحيوان» للجاحظ حيناً و «كتاب مدرج الذهب» لاسعدي حيناً آخر .

و أحياناً يحذف التوييري الجمل و يشطب الكلمات بالإضافة إلى التفاصيل الغير ضرورية ، من الكتب المنقولة منها الموضوعات . و خير مثال لهذه الظاهرة «ذكر ما قيل في الجود و الكرم و أخبار الكرام» ، و لنقف وقفة قصيرة لنلق نظرة عاجلة لنقف على طريقة هذه . و الباب المشار إليه هو أقصر باب نسبياً .

«استهل التوييري هذا الباب بذكر حقيقة الجود فقال: هو

بذل المال، ثم أورد بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، بالإضافة إلى قول علي بن عبد الله وأقوال بعض الحكماء، إلى أن نقل من «العقد الفريد»، الجزء الأول فقال: «و قال أبو محمد بن عبد ربه: أو لم يكن في الكرم ... الخ»، منقولاً من صفحة ١١٢، إلا أنه اختصر بعض الأشياء وزاد بعضها، فحذف الحديث الثاني الوارد في «العقد الفريد»، حيث يقول: «و في الحديث المأثور: الخلق عباد الله فأحب الخلق إلى الله أفعىهم لعياله»، ثم نقل منه الكلمات التالية: «و قال الحسن والحسين لعبد الله بن جعفر: إنك قد أسرفت»، (العقد الجزء الأول ١١٣) . فحذف التويري «قال الحسن والحسين لعبد الله بن جعفر»، ثم استمر في نقله إلى الآية الكريمة، أما جملة القائلة: «و قال أكثم بن صبيح حكيم العرب»، فإنه ليس موجود إلى الأشعار التالية. ثم استأنف نقله من «العقد الفريد»، قائلاً: «و كتب رجل من البخل ... الخ»، ثم حذف كلمة خالد بن عبد الله القسري، وقول الحطيئة، وذكر قول سعيد بن العاص الذي أورده «العقد الفريد»، واستمر في نقله من «العقد الفريد»، لفظاً وحرفاً إلى الشعر القائل:

من ظن بالله خيراً جاء مبتداً  
والبخل من سوء ظن المرء بالله  
وحذف بعده كل ما أورده «العقد»، إلى أن استأنف نقله من «وقيل  
لأبي عقيل البليغ العراقي»، إلى «أن اسمه لم يقع في حد قط»، ولم  
يذكر الكلام الذي ورد في «العقد»، بعده بما فيه الأشعار.  
ثم قال التويري: «و قال أسماء بن خارجة، والكلام كله بعد،

إلا أن «العقد» بعد ذكر هذا الاسم بالتأييث قال : «وقالت أسماء بنت خارجة ، ( العقد صفحه ١١٥ ) وهو الصحيح لأن أسماء من الأسماء العربية التي تؤثر دانها ، لم نسمع عنه أنه اسم ذكر .

ثم حذف النويري حوالي صفحه من «العقد الفريد» الجزء الأول، ليستألف نقله منه من حكاية إبراهيم المهدى حيث يقول «وقال إبراهيم بن المهدى : قلت لرجل من أهل الكوفة من وجوه أهلها » .

أما قصة طلحة بن عبد الله بن عوف الذهري، من أجود قريش في زمانه ، عند ما قالت له امرأته : «بأن إخوانك يأتون إليك إذا كثروا مالنا و يهجرونك إذا عسرنا فقال : يأتيونا في حال القوة عليهنّ و يتربكونا في حال العجز عنهم »، و حكاية شيخ أتى سعيد بن سالم فادى قدمه بزوج عصاء فلم يقل شيئاً ، خوفاً من أن يستحي فلما ذكر حاجة ، فلم ترد في «العقد» ، وقد نقلها من مصدر آخر .

و من أمثلته أيضاً ذكر من انتهى إليهم الجود في الجاهلية ،  
فإن النويري سلك نفس النهج في هذا الباب أيضاً .

و من أمثلته تهذيب و تغيير بعض الكلمات محل البعض  
«فصل في عوارض العين» ، نقل الفصل من «فقه اللغة» للثعالبي ، غير  
أنه اختصر بعض المصطلحات ، مثلاً قال الثعالبي : «امدرت عينه ،  
إذا لاحت لها سمادير ( وهي ما يتراءى لها من أشباه الذباب وغيره  
عند خلل يتخاللها ) حذف منه «خلل يتخاللها» ، وكذلك لم ينقل ما ورد

(١) نهاية : ٤٠٧ و العقد ١١٦ .

(٢) نهاية : ٤ / ٤٠٤ .

(٣) نهاية : ٤ / ٤٠٤ .

• في الفقه ، عن الأصمعي .

وواصل نقله من « الفقه » حتى نهاية « فصل كيفية النظر » ،  
بالفاظه ، إلا أنه حذف من الفقه « عن أبي عمرو » ، كما زاد بعد القرآن  
كلمة « العزيز » ، وكذلك ترك « عن أبي عمرو » ، أيضا قبل نقله فان  
نظر إلى أفق الملال كما زاد بكلمة « للبلاته » ، واستمر في النقل من  
الفقه إلى صفحة ٤٢ ، لينقل « وما قيل في أدواه العين » ، وأوله « العمص » ،  
أن لا تزال العين ترمس و لقد زاد التوييري على الفقه فأورد شعر  
النابغة استشهادا لكلمة « العائز » ، وهو الرمد الشديد فنقل يقول :

وبات وأنت له لبله كليلة ذى العائز الارمد

فلم يذكر الشعالي هذا الشعر في كتابه ، ولقد افاض الشعالي في شرح  
كيفية « وزم العين » ، ولكن التوييري حذفه كله ، واقتصر بذكر معناه .  
ذلك هي أمثلة وجيدة أوردناها شاهدا على طريقة تصرف  
التوييري في منقولاته . فلاحظنا أن التوييري في تصرفه و تهذيبه  
للنقولات يضع نفسه موضع المذهب والمنقح فقط ، لا موضع  
المحرف أو المصحف . فإنه لا يحرف في الأصل ، ولا يدخل فيه شيئا  
من عنده وبحيث يتغير المعنى أو يقابل المراد والمطالب ، وإنما يضع  
مكان كلمة براها أنساب وأجمل وأوضح للمعنى المقصود ، وهذا  
أيضا في الموضوعات الأدبية فقط ، كما لاحظنا في تمثيلنا طريقة  
هذه عند نقله من الشعالي .

وليس بدعا من رجل كالتوييري أن لا يرى أساسا في مثل هذا  
التهذيب أو التبدل في الألفاظ مادام المعنى لم يتغير ، فإن له فيه مثلا

من روایة الحديث بالمعنى عند بعض أئمّة الحديث و الفقهاء . فان كان من المسموح برواية الحديث بالمعنى دون الاقتصر على اللفظ ، فإنه يكون أنس و أولى في بعض الأحيان ، خاصة في العلوم الأدبية ، إذ كان المعنى ليتضح كثيراً بوضع لفظ محل لفظ . أليست الألفاظ اداة للتعبير عن المعنى بأوضح وأكمل وضع ؟ و ذلك هو السبب في أن النورى لا يرى غضاضة في مثل هذه المواقف في أن يهذب أو ينفع أو يبدل كلمة أو لفظاً أو تعبيراً أو جملة ويضع محلها بديلاً أنس و أجمل وأوضح منها . فان النورى لا يرى بدلاً الخصر والاستيعاب لما بنقله من الكتب والمصادر . وقد ألمح إليه في بعض مواقف كتابه فقال ، و هو يوضح موقفه من نقله الأسماء من كتاب " المؤتلف و المختالف " أثناء نقله الحديث لمؤلفه عبد الغنى بن سعيد المصرى ، قال : " هذا مختصر ما فيه عبد الغنى - رحمه الله " ، وفيه زيادة في مواقف نبهنا عليها ، ولم يكن الغرض باراد ما أوردناه من المؤتلف و المختلف استيعابه و حصره إنما كان الغرض التنبيه على ذلك ، و أن الناس يحتاج إلى ضبط ما يرد عليه من هذه الأسماء و أمثلتها ، و تقييدها و الإشارة عليها ، وقد أخذ هذا الفصل حقه " . و هكذا فاتنا لاحظنا أن النورى كان يعتمد إلى الزيادة على المتصوّص لللادة والاستفادة . و من الملاحظ أن النورى يسلك هذا المسلك ، ليس عفواً بدون فكر و رؤية ، بل يضع لطريقته خطة مرسومة محكمة التنسيق دققة التنظيم و الترتيب . فما هي هذه الخطة ؟ ذلك ما تناوله بالبحث و الدراسة في الصفحات الآتية أدناه .

## خطة التويرى في كتابه :

لما ينبع التويرى هذا المنهج ، و يتبع هذه الخصوّة حسب خطة مرسومة و نهج معين حكم التنسيق و التنظيم ، يضعه بعد فكر و رؤية و تدبر بالغ ، فلقد رأى في تأليفه هذا أن يوزع الفنون والأقسام و الأبواب و الفصول و الذيول (أنى احتاج إلها) في ترتيب جيد الحبّك متين النسج دقيق النظم و النسق ، بحيث يسهل تناوله و الاستفادة منه بأحسن طريق يمكن . فلم يجمع كل رطب و يابس قرأه أو وصلت إليه يداه ، دون أن يفكّر فيه من ناحية جودته و بالاستفادة منه و الإفاده حسب تقسيمه في الفنون والأقسام المعينة . و ذلك لكي لا يدخل شيئاً في شيء لا يوافقه أو فنا في فنٍ يغايره ، كما فعله الجاحظ و ابن قتيبة من الأدباء و المنشئين قبله في كتبهم و أسفارهم المتعددة . فانهم (أى القدماء من المؤلفين بسبب نظرتهم إلى الأدب بأنه الأخذ من كل شيء يطرف ) كانوا يخلطون بين فن ، و فن و علم و علم . فحكمه بمحابيها يتنا من الغزل ، و نادرة لطيفة بمحابتها خطبة بلية ، و فصص في البخل بمحابتها أخبار عن الخوارج وهكذا ١بل انحد التويرى فيه منهجاً يضاهى منهجاً منهج العصر الحديث في توظيف التأليف و تنسيقه تنسيقاً لأنقاً منظماً - فكان التويرى ينتخب فناً خاصاً من الفنون ليطالعه فيجمع الكتب المتعلقة به أولاً ، ثم يطالعها مطالعة دقيقة وافية ، و بعد ذلك يضع لهذا الفن أو القسم أو الباب خطة مرسومة واضحة

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة القلقشندي في كتابه « صبيح الأعشى » صفحة ١٨ ، طبع المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة و الطباعة و النشر

سنة ١٩٦٤ .

حقيقة ، يثبت فيها ترتيب كتابه وكيفية نقله من هذا الكتاب بحيث يأتي كل نبذة في محلها ويتنبأ بها حيث يقتضي المقام إثباتها ، حسب طول الفن أو القسم أو الباب أو قصره ، ثم يبدأ النقل ، فيبدأ نقله مثلاً من كتاب معين ، ويستمر فيه إلى كلام أو بحث خاص يحب نقله ، ليترك هذا الكتاب ليواصل نقله من كتاب آخر ، وقد اتّخَب فصلاً منه فعلاً من قبل لنقله في كتابه ، وفي موضع خاص منه ، فيشبعه نقلًا واقتباساً ، وبعد ما ينتهي من نقله من هذا الكتاب العينة أو المقتبس في الفصل الذي يريد ، ينتقل إلى كتاب ثالث ، ليستأنف نقله منه إلى أن ينتهي الباب من كتابه النهاية .

وخير مثال لطريقته هذه ما أورده في القسم الخامس "في الملك وما يشترط فيه وما يحتاج إليه وما يجب له على الرعية ، وما يجب للرعيَّة عليه ، ويتصل به ذكر الوزراء وقادة الجيوش وأوصاف السلاح وولاة المناصب" .

ذلك هي خصائص المرسومة وضعها للقسم الخامس من كتابه ، لكي يسهل له جمع المعلومات والمواد وتحديد الفصول والصفحات حسبها من ناحية ، ومن ناحية أخرى لكي لا ينسى شيئاً أو يخالف شيئاً بشيء لا يلائم أو لا يليق به . وبعد ما تم له هذا كلُّه ، يبدأ بالنقل .

فوضع الباب الأول من هذا القسم في «شروط الإمامة» ، حسب خطته ، وقسمها في قسمين ، أحدهما «الإمامنة الشرعية» ، وثانيةها «الإمامنة العرفية» . واستهل الباب «بالإمامنة الشرعية» ، واختار لهذا الفصل كتاباً وجده أحسن الكتب وأقومها وأغزرها في هذا الموضوع في حسن الجمع والاختيار وإجاده الاختيار والاتّخاب مع مراعاة

أصول الإيجاز والاختصار . و هو كتاب أبي عبد الله الجرجاني  
فقال : « أما الشروط الشرعية فقد ذكرها أشيخ الإمام أبو عبد الله  
الحسين بن الحسن بن محمد بن الحليم الحليمي الجرجاني الشافعى رحمه الله  
في كتابه المترجم بـ « المنهاج » لمعة واضحة البيان و حسنة التبيان  
اكتفينا بإرادتها عما سواها ، و اقتصرنا عليها دون ما عدتها ، بلعها أكثر  
الشروط بإيجاز اللفظ و إصابة الغرض على ما ستفت عليه إن شاء  
الله تعالى » .

و بعد هذا التعارف البسيط للكتاب و وجه تفضيله على سائر  
الكتب في الموضوع يبدأ النقل منه . فقال : « قال الحليمي : إذا أراد  
أهل الاجتهاد نصب أمام حين لا إمام لهم أول شرطه أن يكون من  
قريش ، و ثانية أن يكون عالمًا بأحكام الدين من الصلاة وأخذ الصدقات  
ومصارفها وقضايا و الجهاد المسلمين و قسم العنائم و النظر في حدود  
الله تعالى إذا رفعت إليه فقيها أو يدرأها و غير ذلك » .

و استمر في النقل من هذا الكتاب فأورد منه « اشتراط النسب »  
لللام و « اشتراط العلم » و « اشتراط العدالة » ، إلى أن نقل منه  
خمسة فصول وبعض الأقوال لل فلاسفة و الحكماء حول الشروط العرفية  
و الاصطلاحية لللام ، إلى أن ختم هذا الباب بقوله : بعض « الفرس » :  
احترم الملوك من غالب جده هزله . و فهر رأيه هواء و عبر عن ضميره  
بفعله ، ولم يخدعه رضاه عن خطأه و لا غضبه عن كيده .

ثم وضع الباب الثاني من الفصل الخامس من الفن الثاني - صفات

(١) توفي سنة ٤٠٣ ، راجع كشف الظنون لللام به .

(٢) نهاية ١/٦ .

(٣) نهاية ٦/٥ .

الملك وأخلاقه وما يفضل به على غيره، وذكر ما نقل من أقوال الخلفاء والملوك الدالة على علو هممهم وكرم شيمهم.

وابتدأ هذا الباب بنقله من كتاب «العقد الفريد» لابن عبد ربه، فقال: قال أحمد بن عبد ربه: "السلطان زمام الأمور ونظام الحقوق وقوام الحدود"، واستمر في نقله من هذا الكتاب باختصار وإيجاز حيث أني بخصوص وأما ما يفضل به الملك على غيره وأما فضيلة الآلات وذكر شيء من الأقوال الصادرة من الملوك والخلفاء وغير ذلك من الكلام ليختتم هذا الباب بكلام المنصور: يتحمل الملوك كل شيء إلا نلامة: القدح في الملك وإفشاء السر و التعرض للحرم<sup>١</sup>. إلى الباب الثالث من الفن الثاني الذي ينتهي بأقوال الحكماء والأرباء وآخرها قول الشعبي حيث قال: "قال لي ابن عباس: إني أرى هذا الرجل - يعني عمر بن الخطاب - يستفهمك ويقدمك على الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإني موصيك بخلال أربع: لا تغشين له سراً، ولا تخبرن عليه كذباً، ولا تطوعنه نصيحة، ولا تغتابن عنده أحداً، قال الشعبي فقلت لابن عباس: كل واحد خير من ألف، قال: أني والله ومن عشرة آلاف".

ومن هنا أخذ ينقل من كتاب «الأدب الكبير»<sup>٢</sup> و«رسائل البلغاء» لابن المقفع فقال: "وقال ابن المقفع: من خدم السلطان فعليه بالملازمة من غير معانبة، وقال: إن سأل السلطان غيرك فلا تكون المجيب عليه" إلى آخر هذا الفصل، فلقد أورد جميع هذه الأقوال

(١) نهاية: ٦/٦.

(٢) نهاية: ٦/١٦.

(٣) الأدب الكبير - لابن المقفع صفحة ٤٠، تحقيق الأستاذ زكي باشا.

من كتاب ابن المقفع "الأدب الكبير".

وفضلاً عن هذه الأقوال فإن النورى أورد جميع الوصايا وطرق ملازمة الملوك وغيرها من كتاب ابن المقفع "الأدب الكبير" و"رسائل البلغاء" ففي الباب الرابع من الكتاب إلى أن أورد كتاب سيدنا على رضى الله عنه الذى أرسله إلى مالك بن الحارث الأشتر حين ولاد مصر، وقال: لم أر فيها طالعه من هذا المعنى أجمع للوصايا ولا أشمل من عهد كتبه على بن أبي طالب رضى الله عنه إلى مالك بن الحارث الأشتر، حين ولاد مصر. ثم نقل هذا العهد بتلاته وهو طويل<sup>١</sup>. وأتى به من كتاب "نهج البلاغة" للشريف الرضى، الجزء الثاني طبع بيروت صفحة ٨٩.

نعم عاد فاستأنف نقله من كتاب "العقد الفريد" و"عيون الأخبار" لابن قتيبة، و"أدب الدين والدنيا" للأوردى. وذلك في الباب الخامس من القسم الخامس من الفن الثاني - فيما يحب على الملك للرعايا والباب السادس، في حسن السياسة وإقامة المملكة و يتصل به الحزم والعزم والباب السابع، في المشورة وإعمال الرأى والاستبداد (صفحة ٦٩) والباب الثامن، في حفظ الأسرار والمحاجب، الذى ينتهى بذكر ما قيل في النهى عن شدة المحاجب (صفحة ٩٠) والذى ختمه بقول جعفر المصرى:

و تفضل على بالإذن إن جئت فما مخفف في اللقاء  
ليس لي حاجة سوى الحمد والشكراً فدعني أقربك حسن الثناء  
ولمك لما يبدأ الباب التاسع، فاتنا بمحده قد انتقل إلى كتاب آخر ليأخذ منه ما أورده حول "الوزراء وأصحاب الملك"<sup>٢</sup> وهذا

(١) ابتدأ هذا العهد من صفحة ١٩ وانتهى بصفحة ٣٤.

(٢) نهاية ٦ / ٩٢.

الكتاب هو أدب الوزير المعروف به قوانين الوزارة وسياسة الملك،  
للماوردي<sup>١</sup> فإنه نقل منه صفات الوزراء وحاشية الملوك وما يحب عليه  
من الإمام بالثقافة والعلم والدين والمرودة والأخلاق، إلى غير ذلك  
من الصفات التي أوردها الماوردي في كتابه هذا . واستمر في  
نقله من هذا الكتاب، يختصر تارة ويلخص أخرى، حتى شخص  
الكتاب كله تقريباً، وذلك ابتداء من الباب التاسع فا بعده<sup>٢</sup>، ثم  
عاد أدراجه إلى ابن المفعول ولكن في كتاب له جديد وهو  
”الادب الكبير“ من حيث نقل وصايا أصحاب السلطان حيث  
ابتدأه قائلاً : قالت الحكمة : إذا نزلت من الملك بنزلة الثقة فاعزل عنه  
الكلام الملق، ولا تكثُر من الدعاء له في كل كلمة .... الخ .  
وبعد ما أورد ما لزم حول الوزراء وحاشية الملوك ساق  
لما يحتاج إليه قواد الجيوش والأمراء من الأوصاف . وإيفاء لهذا  
الغرض يمود بنا مرة أخرى إلى نفس المصنف الذي ابتدأ منه نقله في هذا  
الباب . وهو الشيخ الخليمي الجرجاني الشافعى وكتابه المنهاج . وذلك  
في الباب العاشر من القسم الخامس من الفن الثاني من النهاية . حيث  
يُبتدئ الباب قائلاً : قال الشيخ الإمام أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن  
محمد بن حليم الخليمي الجرجاني الشافعى في كتابه المترجم به المنهاج ،  
ما يختصره و معناه : إذا أنقذ الإمام جيشاً أو سرية فينبغى أن يؤمر  
عليهم رجلاً صالحًا أميناً محتملاً .... الخ ، ويستمر في الاختصار منه  
إلى صفحة تقريباً<sup>٣</sup> .

(١) الماوردي هو : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب .

(٢) نهاية : ٦ / ١٤٣ .

(٣) نهاية : ٦ / ١٥١ .

و بعد ما ينتهي منه يقدم لنا كتابا آخر جديدا وهو في هذه المرة «الأحكام السلطانية»، مؤلفه الماوردي السالف الذكر. فبقول في فصل «واما ما يلزم قائد الجيش»: فقال أبو الحسن الماوردي في كتابه المترجم بـ«الأحكام السلطانية»، ما معناه أن أمير الجيش يلزم ستة أحكام (صفحة ١٥٢) ونقل هذه الأحكام بتأمها من هذا الكتاب إلى ١٧ صفحة من النهاية. إلا أنها بعد اختلافا واضحأ بين الكتيبتين في وضع عنوان الفصل. فيما قال الماوردي «الباب الرابع في تقليد الإمارة على الجهاد»: القسم الأول في تسخير الجيش حيث يقول: القسم الأول في تسخير الجيش، وعليه في السير بهم سبعة حقوق أحدهما الرفق بهم ... الخ («الأحكام السلطانية» ٢٤) نقل التورى هذا الفصل تحت عنوان «واما ما يلزم قائد الجيش»، قال أبو الحسن الماوردي<sup>١</sup>، إلى أن بدأ النقل من «الأحكام السلطانية» كما ورد الفصل فيه، مع اختلاف بسيط في الحديث الذي أورده الماوردي قائلاً: قال النبي صلى الله عليه وسلم: هذا الدين المتين ... الخ. أما التورى فإنه قال: إن هذا الدين - زيادة وإن، وكذلك توجد بعض الاختلافات البسيطة بين «الأحكام السلطانية» وبين النهاية. واستمر في النقل من هذا الكتاب إلى صفحة ١٦٧ من النهاية الجزء السادس، لخص فيها جميع ما كتبه الماوردي في هذا الموضوع<sup>٢</sup>.

ليعود بنا مرة أخرى إلى الخلبي في كتابه «المنهاج»، من حيث يأتي بفصل: «واما وصايا أمير الجيش» قال الخلبي: «ويا مأرب الإمام

(١) نهاية: ٦ / ١٥٢.

(٢) «الأحكام السلطانية» لـماوردي، طبع مطبعة الوطن، القاهرة ١٩٩٨، بحريقة.

(٣) نهاية: ٦ / ١٦٧.

أمير السرية و الجندي بتقوى الله ، يتعلله مختارات من «العقد الفريد» ، مثل قوله : و كتب عمر بن عبد العزيز إلى الجارح <sup>١</sup> فإنه منقول من العقد الفريد صفحه ٤٩ (الطبعة القديمة) إلى أن يعرفنا بكتاب آخر وهو «الإمامية والسياسة» لابن قتيبة فينقل منه قصة دهاء معاوية قائلاً : كان معاوية بن أبي سفيان من الدهاء ، له أخبار في الدهاء تدل على بعد غوره وحدة ذهنه ..... ثم قصة يزيد ابنه بتزويمجه من زينب بنت إسحاق زوج عبد الله بن سلام القرشي ... <sup>٢</sup> فلقد أتى ابن قتيبة بهذه القصة في الجزء الأول من كتابه صفحه ٣٠ طبع سنة ١٩٠٤ مطبعة النيل بمصر . إلا أن النويري كتب اسم خصي معاوية «رفيق» ، أما في «الإمامية والسياسة» فإن اسمه ورد فيه «رفيف» ، و جميع نسخ الكتاب التي توجد بمكتبة جامعة القاهرة وعددها مت نسخ تذكر كلها اسمه «رفيق» . كما أن النويري أورد اسم المرأة التي أحبتها يزيد «زينب بنت إسحاق» ، إلا أن ابن قتيبة يذكر اسمها بـ «أرينب بنت إسحق» . وفيما نعتقد أن «زينب» ، أنساب من «أرينب» ، لأن هذا الاسم ، فضلاً عن كونه غريباً عن اللغة والسمع ، فإنه تصرير لـ «أرب» ، وهو لا شك مؤنث ، ولكن نادراً ما سمعنا امرأة سميت في الماضي أو تسمى الآن باسم أرينب و خاصة إذا كانت من صهيون أسرة عربية .

و استمر في نقله من هذا الكتاب من أحوال معاوية ودهائه حوالي عشر صفحات ليتهي نقله من «الإمامية والسياسة» بقصة دهاء معاوية للانتقام من الطريق الذي لطم أحد القرشيين وهو في أسرا الروم فاستجده بمعاوية ، فاحتال معاوية للقبض على هذا الطريق بواسطة أحد

(١) نهاية : ٦/١٧٧ .

(٢) نهاية : ٦/١٨٠ .

قواده بالشفر الرومي ونجح فيه . فلما وقف الطريق المعتمد أمامه طلب القرشى و قال له : اعمل معه ما عمل معك . فقام القرشى و لطم الطريق انتقاما لما عمل معه . و ختم النويرى اقباسه قائلا :

و هذه الواقعة محاسنها تستر مساوئي ما تقدمها .<sup>١</sup>

و بعد ما نقل بعض الأشعار حول نعوت العساكر ، نقلها من دواوين مختلف الشعراء و خاصة من العقد الفريد ، مثل قول الشاعر :

كأن الأفق محفوف بنار      و تحت النار آساد تزير  
و قول الآخر :

و يوم كأن المصطلين بحره      وإن لم يكن جر وقوف على جر  
و ما قال البحترى :  
حر السيف كأنما ضربت لهم      أيدى القبور صفائحا من عسجد  
و قال النابغة الجعدي :

تبعدوا كواكب و الشمس طالعة      لا سور نور ولا الإظلام إظلام  
و من أحسن ما قال محمد بن أحمد بن عبد ربه قوله :  
و معتزك تهز به المايا      ذكور الهند في أيدي ذكور  
لوامض يصر الأعمى سناها      و يعمى دونها طرف البصیر  
تحوم حولها عقاب موت      تحطفت القلوب من الصدور  
و خافية الذائب قد أنافت      على حراء ذات شبا طبری  
بيوم راح في مربال ليل      فاعرف الأصيل من البکور  
و عين الشمس ترنو في قتام      رنو البکر من خلف الستور  
فكם قصرت من عمر طويل      وكم طولت من عمر قصير  
و غيرها من الشعر الجزل في هذا الموضوع .

(١) الأحكام السلطانية لاوردي ، طبع مطبعة الوطن ، القاهرة ١٢٩٨ م.

ثم رجع إلى «فقه اللغة» للثعالبي لينقل منه ترتيب الجيش وأسماء في القلة والكثرة<sup>١</sup>، ثم عاد كرمة أخرى إلى الحليمي الجرجاني في كتابه «المنهاج»، في فصل «ذكر ما ورد في المراقبة»<sup>٢</sup>، فنقل منه ما طاب له النقل، وبعد ما نقل «ذكر ما قبل في السلاح وأوصافه»، (صفحة ٢٠٠) من كتاب «العقد الفريد»، الجزء الأول صفحة ٩٠، و«عيون الأخبار» لابن قتيبة (صفحة ١٢٨) والأغاني ج ١٤ / ١٢٧، أني بقصة عمر رضى الله عنه عند ما سأله عمر بن معد بكر عن السلاح، فأجاب عليه، ثم سأله عن السيف: ما تقول فيه؟ فأجاب عمر، قائلاً: «هنا لك فارعنة أملك من الشكل»، فإنه يوجد بعض الاختلاف بين عبارة التويري والكتب المنقول منها القصة، فاورد ابن قتيبة في كتابه «عيون الأخبار»، (صفحة ١٢٨) الجملة المذكورة هكذا، قال: ثم فارعنته أملك عن الشكل، بزيادة «ثم»، بدل «هنا لك»، وقال الأغاني وهو يسرد هذه القصة: «قال عنه: فارعنته لأملك الهيل»، (ج ١٤ / ١٣٦) أما العقد الفريد (صفحة ٩٠) فإنه أورد هذه الجملة بقوله: «قال: هناك لا أم لك يا أمير المؤمنين، فضربه عمر بالدرة».

وبعد ما انتهى من الإقتباس من هذه الكتب ينتقل إلى كتاب آخر لم يقدمه إلينا من قبل، إلا وهو كتاب «خزانة السلاح»، من حيث نقل «ما قيل في السيف من الأسماء والنعوت، وأنه يختلف الأسماء والنعوت والأوصاف للسيف مرتبة على حروف المعجم حيث بدأها قائلاً: فن ذلك «إبريق»، وهو الشديد البرق... الخ، ليأتي

(١) نهاية ٦ / ١٨٩ .

(٢) نهاية ٦ / ١٩٩ .

بعده بأشعار قيلت في السيف، ومن أحسنها ما قاله البحترى وهو  
يصف السيف :

يتناول الروح البعيد منه عدوا ويفتح في القضاة المقل  
ماض وإن لم تمضه يد فارس بطل، ومصقول وإن لم يصل  
يغشى الوعى فالترس ليس بمحنة من حده الدرع ليس بمغل  
مصنع إلى حكم الردى فإذا مضى لم يلتفت وإذا قضى لم يعدل  
( إلى آخر الآيات ) وكذلك قول عبد الله بن المعتز :

ولي صارم فيه المنايا كوانن فما ينتصى إلا لسفك دماء  
ترى فوق متنه الفرد كأنه بقية غيم رق دون سماء  
ومن أحسن ما قيل فيه قول أحمد بن عبد ربه :

و ذى شطب تقضى المنايا بحكمه وليس لما تقضى المنيمة دافع  
فرند إذا ما اعتن للعين راكد وبرق إذا ما اهتز بالكف لامع  
يسلس أرواح الكاهان إسلامه ويرتاع منه الموت والموت رائع  
وكذلك أقوال كل من ابن الرومي و طغرائي والتعمري ولوب وغيرهم  
آخرين ، الذين تستمر أقوالهم في هذا الموضوع من صفحة ٢٠٩ إلى  
٢١٤ ، وقد نقل هذه الأشعار من العقد الفريد والأغاني ( ومن صفحة ٢٢٠  
إلى صفحة ٢٢٢ ) أيضا نقل بعض الأشعار المختلفة الشعراه حول مختلف  
الأسماء للأسلحة ) .

وبما ان التويرى من شئ الوسائل بالمهنة آثر أن يدرج في  
كتابه رسالة عن أوصاف السلاح أيضا ، إتماما للفائدة و جمعا للعلومات  
كلها عنها ، طلب إلى معاصره و مؤلفه تاج الدين البهانى أن يكتب  
رسالة في هذا الشأن ، فقال : « وقد كتبت إليه أنتمس رسالة من  
كلامه في أوصاف السلاح ، و ذلك في شهور سنة سبع و سبعينه »

وقد سبق له أن نقل منه بعض الرسائل التي أشرنا إليها في بحثنا السابق) فكتب هذا الأخير يقول:

أمرتني - أعزك الله، وأعلى مراتب السعود جدودك - أن أبعث إليك بشيء من كلامي يتضمن وصف سلاح متنوع الأجناس، مرهوب بالسطو والباس فامتثلت مرسومك وبدرت إلى ذلك، لما يتوجه على من حقوقك الواجبة، ومن مفترضات خدمتك الازمة، وانشأت لك هذه النبذة مرتجلة فيها، ورتبتها على التهيئة لمراتب القتال وقدمت الدراع، وتلوته بالقوس وأعقبته بالرمح وختمه بالسيف، فمن ذلك في وصف درع.

ثم كتب عن كل من الدرع والقوس والرمح وأخيراً بالسيف كما وعد به للنويري. ونقل هذه الرسالة النويري بتمامها مع الشهر الوارد فيها، وبه ينتهي الباب العاشر من الكتاب، فإذا انتهى الباب العاشر، إذا بنا نحمد أنفسنا مرة أخرى إزاء كتاب «الأحكام السلطانية»، للأوردي، في الباب الحادى عشر، وضعه «في القضاة والحكام»<sup>١</sup>، وبدأ نقله من هذا الكتاب بقوله «لا يجوز أن يفلد القضاة إلا من اجتمع فيهم شرط»، إلا أن الماوردي عد هذه الشروط بسبعة فقط، وسبب الاختلاف بينهما هو أن النويري عد «صفة البلوغ»، صفة على حدوده «الذكورية»، صفة منفردة بذاتها، ولذلك أصبحت شروطه «نحوية»، بينما عد الماوردي صفة البلوغ و«الذكورية» صفة واحدة، ولذلك زاد بعد الشروط بسبعة فقط<sup>٢</sup>، فقد قال الماوردي في كتابه وهو يبحث عن شروط القضاء: «أن يكون

(١) نهاية ٢٤٨/٦.

(٢) راجع «الأحكام السلطانية»، صفحة ٦٦.

رجلاً، وهذه الصفة تجمع بين صفة البلوغ والذكورية .

أما دليل النويري لاعتبار الذكورية و البلوغ صفتين منفردين ، فإنه يقوم على قول الله عزوجل و قول النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقول النويري مستمدًا من هذين المصدرين الآلهيين : « أما الذكورية فلقوله عزوجل : ” الرجال قومون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ” ، قيل : المراد بالفضل هنا ، العقل والرأي » . وما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” النساء ناقصات عقل و دين ” ولنقض النساء عن (رتب) الولايات <sup>١</sup> .

كان الماوردي قد كتب بعد « عن » ، كلية « رتب » ، إلا أن النويري لم يأت بهذه الكلمة في نصه . وقد أضافها إلى النص المطبوع من الكتاب مصححوه ، كما أشاروا إليه .

وفيما يتعلق بمحاجته في عدم البلوغ صفة منفردة ، فإنه يقول في هذا الصدد : ” وأما البلوغ فلان غير البالغ لا يحرى عليه قلم ولا يتعلق بقوله على نفسه حكم ، فكان أولى أن لا يتعلق به على غيره ” ولكن الماوردي لم يذكر هذا الحديث في كتابه .

استمر النويري في نقله من هذا الكتاب إلى العلم بأحكام الشريعة حيث كتب يقول : فالعلم بها يشتمل على معرفة أصولها وفروعها .. ثم أورد أصول الأحكام في الشرع وهي أربعة : العلم بكتاب الله ، ثم العلم بالسنة ، ثم العلم باقاویل السلف ، ورابعاً العلم بالقياس الموجب لرد الفروع المنسكوت عنها إلى الأصول المنطوق بها والمجمع عليها .

(١) نهاية : ٦ / ٢٤٨

لينتقل مرة أخرى إلى كتاب الحليمي الجرجاني لينقل منه ”بما يحب على الملك من تولية الحكم إلى الرجال المثقفين“ فقال نافلا عنه: ”ينبغى للإمام أن لا يولي الحكم بين الناس إلا من جمع إلى العلم السكينة والثبات وإلى الفهم الصبر والحلم ... إلى آخر ما قال فيه . فإذا كان هذا في القعود معهم فكيف بافراهم والاستحسان لهم (صفحة ٢٥٢) .

ثم رجع إلى ”الأحكام السلطانية“ في ذكر الألفاظ التي تتعقد بها ولادة القضاة والشروط . واستمر في النقل منه إلى خمس صفحات ونصف، حيث يختتمه بكتاب عمر إلى أبي موسى الأشعري حين ولاده القضاة والذى قال فيه: أما بعد، فإن القضاة، فريضة محكمة وسنة متّعة .. الخ (والكتاب معروف) ليعود بعده إلى الحليمي الجرجاني مرة أخرى في ”ذكر ما يأتيه القاضى ويذره فى حق نفسه“ ثم كرر إلى الأحكام السلطانية، واستمر في نقله منه من ”الباب الثاني عشر من القسم الخامس من الفن ثالثى فى ولادة المظالم“ وهى نيابة دار العدل“ فنقل منه ”ذكر من نظر فى المظالم فى الجاهلية والإسلام“، و”ذكر ما يحتاج إليه ولادة المظالم فى جلوسهم لها“، و”ذكر الفرق بين نظر ولادة المظالم ونظر القضاة“، و”ذكر ما ينبغي أن يعتمد ولادة المظالم عند رفعها“، و”ذكر توقيعات متولى المظالم وما يتربى عليها من الأحكام“، وكذلك ”الباب الثالث عشر من القسم الخامس من الفن الثاني“ في ”نظر الخسبة وأحكامها“، وفيه ثلاثة فصول تشتمل على خمسين صفحة من كتاب النهاية .  
( هنا ينتهى الجزء السادس من النهاية )

ولتأخذ مثلا آخر لنهاه هذا من موضوع آخر تعرض له في الجزء السابع من كتابه . و ذلك هو " الباب الرابع عشر - في الكتابة وما تفرع من أصناف الكتاب " .

فبعد التوسيع إلى أول كتاب أنساب في هذه الموضوعات ولمؤلف يمتاز بين أقرانه بسعة النظر و غزارة العلم و بلوغ الغاية القصوى من تضلعه في العلوم و الفنون . الا و هو كتاب " العقد الفريد " ، مؤلفه ابن عبد ربه . فاقتبس منه أول ما كتب في هذا الباب من تعريف و وصف للبلاغة و ما يتعلق بها ، حتى استمر في النقل منه إلى حوالي عشر صفحات . ليبدأ فصلا جديدا بعنوان " أما صفة الكاتب وما ينبغي أن يأخذ به نفسه " . فأخذه من كتاب آخر و مؤلف آخر و هو " كتاب الآثار " ، مؤلفه إبراهيم بن محمد بن الشيباني ، فوافي حقه من النقل و الاقتباس من هذا الكتاب إلى أن يبدأ في الكتابة عن " آلات الكتابة " ، فلم يجد أحسن مؤلف فيه ، غير " زهر الأداب " ، للحضرى القىروانى <sup>(١)</sup> فنقل من هذا الكتاب من الجزء الثاني صفحة ٢٠٦ ، و استمر في النقل منه يختصر نارة و يلخص أخرى ، حتى أتى على جميع ما كتبه الحضرى عن الكتابة و الفلم .

و لما يبدأ في الكتابة عن " ما قبل في حسن الخط و جودة الكتابة " ، يرجع إلى مؤلف جديد في كتاب له جديد أيضا ، وهو " أدب الكتاب ، لاصولى " <sup>(٢)</sup> فبعد ما أخذ وصف جودة الخط من " زهر الأداب " ، للحضرى القىروانى أخذ ينقل صفة جودة الكتابة من

(١) أبو الحسن الحضرى القىروانى المتوفى ٤٨٨ بالأندلس .

(٢) نهاية : ٧ / ١٤ .

(٣) الصولى هو أبو بكر محمد بن يحيى الصولى .

• أدب الكتاب ، للصونى هذا .

ولما أراد الكتابة عن " ما يحتاج إليه الكاتب "، عمد إلى كاتب جديد لم تألفه من قبل ، وقد وجد أحسن مؤلف في الموضوع وهو : شهاب الدين أبو الثناء محمود بن سليمان الحلبي الحنفي<sup>١</sup> فتناول كتابه " حسن التوصل إلى صناعة الترسيل "، ونقل منه كل ما يحتاج إليه الكاتب في صناعة الكتابة و حسن القيام بها .

و ما أن ينتهي من النقل أو الاقتباس من هذا الكتاب ما يطيب له ذلك ، حتى يميل إلى كتاب آخر جديد لم تألفه إلى الآن و المؤلف معروف من أساطير الأدب العربي وليس غريبا علينا ، وهو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، أما كتابه فهو " المحسن والآضداد " فكتب منه حول " كون الكتاب نعم الذخر و العقدة " و بعد عدة أسطر من نقله من هذا الكتاب نجد اختلافا بسيطا بين النويري و بين الجاحظ . فلقد كتب النويري يقول " فتى رأيت بستانًا يحمل في رده " و ردت هذه العبارة في كتاب " المحسن والآضداد " هكذا ، و بعد ما رأيت بستانًا يحمل في رده ، و كذلك كتب النويري " تقلب في (١) الحلبي هو : شهاب الدين أبو الثناء محمود بن سليمان الحلبي الحنفي المنوف سنة ٧٢٥ و كان صاحب إنشاء بدمشق . و كتابه يبحث عن الفول في المبدأ و النهاية و النقاد و النهايات و أصول البلاغة و النبيان و البداع و سائر الفنون التي تتعلق بالكتابة و صناعتها .

(٢) و الجدير بالذكر أن نفس عبارة النويري وردت في كتاب " الحبوان " ج ١ / ٢٩ تحقيق عبد السلام محمد هارون مطبوع مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، مصر .

(٣) نهاية ١٨ / ٧ ) و صفحة ٠

حجر" بينما أوردها الجاحظ "تنقل في حجر" الا أن هذه العبارة وردت في كتاب الحيوان للجاحظ "تنقل في حجر" قال التوبي موصلاً نقله من "المحاسن والآضداد" واحضر لما استحفظ من أميين ومن الأعراب المغاربة ... إلى "وفي أياديه الجسم" اعلم نجد هذه العبارة في المحاسن والآضداد، وإنما أخذها من كتاب "الحيوان" ج ١، ومن بابه "نعت الكتاب" ، ومن هنا يتجلّى أن التوبي كان قد وضع أمامه الكتاين معاً عند نقله في هذا الباب ليكون أولى للغرض وأكمل لغاية المشودة . وبعد هذه الجملة يتفق نص الكتاين لينفرداً فيما بعد من جملة "ولا أعلم جاراً أمن ولا خليطاً أنصف ... إلى ما حست الحياة بك" (المحاسن صفحة ٦)

أما الشعر الذي كتبه التوبي ضمن "محاسن الكتابة و انكتب" وهو :  
 أنا هواها قبل أن أعرف الموى فصادف قلباً فارغاً فتمكنا  
 فإن الجاحظ أورده ضمن "محاسن الخطابات" (صفحة ١١) وليس  
 ضمن ما أورده التوبي . وبعد الأخذ من المحاسن والآضداد، رجع  
 التوبي مرة أخرى إلى ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد - الجزء  
 الثاني ، ليقتبس منه قول الحسن بن وهب "يحتاج الكاتب إلى حلال  
 ...." فقال التوبي وهو ينقل منه "بعد إشاع الحروف" إلا  
 أن العبارة الواردة في الفريد هي "يقدر إتساع الحروف" وكذلك  
 نقل من كتاب العقد الفريد ، كتاب على بن الأزهري إلى صديق له  
 يطلب منه أفلاماً و بعد ما يمضي إلى أشواط معلومة في النقل من

(١) نهاية : صفحة ١٩ .

(٢) نهاية : ٧ / ٢٠ .

(٣) نهاية : ٧ / ٢٠ .

♦ العقد الفريد ، يعود كرة أخرى إلى شهاب الدين الحلبي الحنفي ، في كتابه المذكور سابقاً و هو كتاب « حسن التوسل إلى صناعة الترسّل » وأخذ ينقل منه في فصل « ذكر ما يحتاج الكاتب إلى معرفته »، فبدأ الويرى اقتباسه من هذا الكتاب من الصفحة الأولى ، واستمر فيه تلخيصاً و اختصاراً إلى نهاية الفصل المذكور . و عند ما يضع « ذكر ما يتبعن على الكاتب استعماله و الحافظة عليه »<sup>(١)</sup> يأخذنا مرة ثالثة إلى « العقد الفريد - الجزء الثاني »، من حيث ينقل إلى آخر هذا الفصل ولكن باختصار شديد ليباشر نقله من جديد من كتاب « حسن التوسل »، و الجدير بالذكر أنه هنا يذكره باسمه الكامل . فقال : قال المولى الفاضل شهاب الدين .... الخ ، نقل من كتابه إلى صفحة ٩٣ ، واستمر فيه حتى لخص الكتاب كله اللهم إلا بعض الفصول رآها غير ضرورية لخطته و نهجه ، أما في ذكر شيء من الرسائل المنسوبة إلى الصحابة<sup>(٢)</sup> فيقدم لنا كتاباً جديداً و مؤلفاً جديداً أيضاً . أما الكتاب فهو « ثلاثة رسائل »، و أما المؤلف فهو أبو حيان التوحيدى<sup>(٣)</sup> فادرد منها رسالة الثقافة التي يقال بان علياً رضي الله عنه لما تختلف من بيعة أبي بكر رضي الله عنه أرسل إليه أحدها خدنه في هذه المسالة ، وهي شديدة اللهجة ، و مع ذلك فانها نموذج رائع لأدب راق . وقد وردت بعض الاختلافات بين النهاية و النص . أما كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى معاوية بن أبي سفيان فانه اقتبسه من « نهج البلاغة ».

(١) نهاية : ٧ / ١٨٥ .

(٢) نهاية : ٧ / ٢١٣ .

(٣) رسائله الثلاث تشتمل على رسالة الثقافة و رسالة في علم الكيمياء و رسالة الحمام تحقيق إبراهيم الكيلاني .

الجزء الثاني طبع بيروت صفحة ١٧ . أما خطبة زياد ابن أبيه المنقوله في نهاية ٧ / ٢٣٨ ، فانها منقوله من «البيان والتبيين» أيضا . ثم بأخذنا مرة أخرى إلى ابن عبد ربه في كتابه «العقد الفريد» لينقل منه كلام أم الخير بنت الحريش البارخية ، ويوجد بين الكتابين في بعض المواضع اختلافات كبيرة في النصوص . فثلا قال التورى : إن الأكاس استقرروا عمر الدنيا فرفضوها واستبطئوا مدة الآخرة فسعوا لها ، بينما قال صاحب «العقد الفريد» : الا أن أولياء الله استصرروا عمر الدنيا فرفضوها واستطابوا الآخرة فسعوا لها ، <sup>١</sup> وكذاك استمر التورى في نقل الخطبات الأخرى مثل خطبة حاجاج بدیر الجامع وغيرها و ذلك من «البيان والتبيين» للجاحظ و «العقد الفريد» . وهذا إلى آخر هذا الباب فإنه مليء باقتباسات و عينات من كتب عديدة تلائم خطته و توافق نهجه .

وكذاك الحال بالنسبة للباب الثالث - من القسم الرابع من الفن الأول في طول الأرض و مساحتها<sup>٢</sup> و الباب الخامس من القسم الرابع من الفن الأول في الجبال و غيرها<sup>٣</sup> و الباب السادس من القسم المذكور و غيرها من الأبواب المتعلقة و الواردة في الجزء الأول من الكتاب فماها منقوله كلها من الكتب الآتية أدناه :

١ - «سروج الذهب» ، لمسعودي

٢ - «تقويم البلدان» ، لأبي العدا

٣ - «الملل والنحل» ، للشهرستاني

(١) (صفحة ٢١٨) .

(٢) نهاية : ١ / ٢٩٩ .

(٣) نهاية : ١ / ٢٠٩ .

- ٤ - «مباحث الفكر و مناهج العبر»، للوطواط
- ٥ - «معجم البلدان»، لياقوت الموى
- ٦ - «كتاب الخراج»، لأبي قدامة بن جعفر
- ٧ - «المسالك و الممالك»، لأبي عبيد البكري
- ٨ - «نزهة المشتاق إلى اختراق الآفاق»، للادرسي
- ٩ - «التبيه و الإشراف»، لابن رسته
- ١٠ - «التاريخ البيهقي»، للعنبي

١١ - «كتاب الهند»، للبيروني، وغيره من المؤلفين الآخرين وكتبهم.

و انتهج النويري نفس هذا المنهج في بقية الفنون الثلاثة<sup>١</sup> أيضاً إلا أنه اقتصر على كتابين أو ثلاثة كتب رئيسية في النقل حول الموضوعات المدرجة فيها . و ذلك أن هذه الفنون الثلاثة تحوى موضوعات تعتبر فنوناً تناولها عدد أقل من المؤلفين العرب مقارنة بالفنين السابعين ، لأن المؤلفين العرب لم يعبروا إليها اهتماماً كثيراً لقلة وجود مجال البحث فيها لندرة وجود هذه الأشياء في الجزيرة العربية . فلذا خذ مثلاً الفن الثالث الذي يبحث عن الحيوان الصامت وقد أورد فيه النويري ذكر جميع أنواع الحيوانات من السبع ومن حنسها و من الوحش و الظاء و ما يتصل بها ، و الحيل و أوصافها و نعمتها ، و الحيات و المقارب و سرمهها ، و سباع الطير و أنواعها ، و السمك و مختلف أنواعها ، فإن هذه الحيوانات تعوزها الجزيرة بصفة خاصة و لذلك فإن النويري لم يحدد كتاباً قيمة في هذه الموضوعات لينقلها في موسوعته ، و لذلك إقتصر في النقل في هذا الفن على كتاب

(١) الفن الثالث في الحيوان و الفن الرابع في النبات و الفن الخامس في التاريخ .

واحد وهو « مباهج الفكر و مناهج العبر »، مؤلفه جمال الدين الوطواط الوراق الكببي ولو انه نقل حيناً آخر من كتاب « الحيوان » للجاحظ، و « مروج الذهب » للسمودي أيضاً . أما الحبلى و صفاتها و نعمتها، و التي ينفرد العرب بين الأمم والشعوب في تراثتها و الحفاظ عليها و إنشاعها، و تمتاز في الفروسية و ركوب الحبلى فان العرب كتبت عنها كثيراً، فذكر صاحب « كشف الظنون » في حديثه عن علم الحيوان ، ستة كتب ل المؤلفين العرب فضلاً على « كتاب الفرس » ، الاصمعي ، و هذه الكتب الأربع هي :

كتاب الحبلى : لابن قتيبة ( ٢١٣ - ٢٧٦ ) .

أيضاً : لابن الأعرابي ( ١٥٠ - ٢٣١ ) .

أيضاً : لابن عبيدة ( ١١٠ - ٢٠٩ ) .

أيضاً : لأبي جعفر محمد بن حبيب البغدادي ( ٤٠٠ - ٤٤٥ ) .

أيضاً : لأبي حمل محمد بن هشام الشيباني ، المتوفى ٢٤٥ ولأحمد بن حاتم .

إلا أن النويري اعتمد في نقله عن الحبلى و هو كثير مقارنة بالحيوانات الأخرى ، على كتاب واحد ، وهو : كتاب « فضل الحبلى » ، مؤلفه الإمام الحافظ شرف الدين عبد المؤمن الدمشقي المصري المتوفى سنة ٧٠٥ هجرية ، وقد اعترف بنقله من هذا الكتاب حيث ذكر يقول : و قال الشيخ - رحمه الله تعالى - في كتابه « فضل الحبلى » و ألوان الحبلى أدهم ، ( نهاية ١٠ صفحه ١١ ) و الجدير بالذكر أن الدمشقي هذا استقى معلوماته عن الحبلى من كتاب آخر كتاب « آلات الجهات و أدوات الصافات الجياد » ، لصاحبه سليمان بن بين بن خلف ، أعتقد أن النويري مع حرصه الشديد على مطالعة جميع الكتب الموجودة في فن خاص والاستفادة منها للتقليل والاقتباس ، لم يقتصر له أن يطالع الكتب العديدة التي كتبتها

العرب حول الخيل ، إما العدم وجودها في تلك الحقبة المضطربة من التاريخ و أما لجهله عنها ، ولذلك نراه يقتصر على القليل من الكتاب المذكور فقط بصفة رئيسية . أما بقية الحيوان فإنه يعتمد على « مباهج الفكر و مناهج العبر » للوطواط بصفة خاصة .

ولستنا نعنى من قولنا عن فلة وجود كتب عربية خالصة عن الحيوان أن العلماء العرب لم يتناولوا هذا اتفن كتابة و فعلا على الإطلاق ، بلي ، كتبوا وأكثروا فيه إلى حد ما . فقد ذكر صاحب كشف الظنون ، و صاحب وفيات الأعيان و بغية الوعاة و نزهة الآباء ، و صاحب فهرس ابن النديم ، و معجم الأدباء ، كتابا عديدة حول مختلف الحيوانات و ذكرروا حوالها كتبنا منها :

كتاب الإبل : لكل من المؤلفين الآتية أسماؤهم فيما بلي :  
الأصمي ( ١٢٢ - ٢١٦ ) و أبي حاتم السجستاني ( ٠٠ - ٢٤٨ ) و أبي عبيدة ( ١١٠ - ٢٠٩ ) و الضر بن شمبل ( ١٢٢ - ٢٠٣ ) و أبي زيد الكلاب<sup>١</sup> و أحمد بن حاتم الباهلي ( ٠٠ - ٢٣١ ) .  
كتاب الخيل : كما ذكرنا سابقا .

كتاب الغنم و الشاة : لكل من :

أبي الحسن الأخفش ( ٠٠ - ٢١٥ ) و للضر بن شمبل السابق الذكر و للأصمي « السالف » ذكر .

كتب الوحوش : لكل من :

الأصمي و أبي زيد أستاذ الجاحظ ( ١١٩ - ٢١٥ ) و أبي

(١) الكلابي : هو يزيد بن عبد الله بن الحرار أبي بدوى ، قدم بغداد أيام المهدى ، وأقام بها أربعين سنة و مات بها ، وكان شاعرا من بنى كلاب ( ابن النديم نقل عن مقدمة عبد السلام عبد هارون على كتاب الحيوان للجاحظ ) .

حاتم السجستاني .

وَدِبَابُ الظِّيرِ : لِكُلِّ مِنْ :

أَيْ حَاتِمُ السِّجْسَتَانِيِّ وَالضَّرِّ بْنُ شَيْبَلِ وَاحْمَدُ بْنُ حَاتِمِ الْبَاهْلِيِّ  
كَتَبَ الْبَازِيِّ وَالْحَامِ وَالْحَيَاةِ وَالْعَقَارِبَ : لَابِي عِيَّدَةَ،  
وَكِتَابٌ فِي النَّحْلِ وَالْحَشَرَاتِ لَابِي حَاتِمِ السِّجْسَتَانِيِّ وَكِتَابٌ فِي النَّحْلِ  
وَالْعَسلِ الْلَاّصِمِيِّ<sup>١</sup>.

إِلَّا أَنْ هَذِهِ الْكِتَبَ أَكْثَرُهَا كَتَبَ لِغَةً وَمَعَاجِمَ . فَيَقُولُ عَبْدُ السَّلَامِ  
مُحَمَّدُ هَارِبُ بْنُ مُحَقَّقٍ ، كِتَابُ الْحَيَاةِ ، لِلْجَاحِظِ : وَلَكِنْ هَذِهِ الْكِتَبَ  
كُلُّهَا تَقْرِيَّا تَنْتَاوِلُ هَذِهِ الْحَيَاوَاتِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْلُّغُوِيَّةِ ، فَهُنَّ بِمَثَابَةِ  
مَعْجَنَاتِ لُغَوِيَّةٍ خَاصَّةٍ بِمَا أَفْتَ لَهُ . فَهُنَّ لَا يَتَبَعَّثُ فِي طَبَعِ الْحَيَاوَاتِ  
وَخَصَائِصِهِ بَعْثًا ، وَلَا تَعْنِي بِذَاقَتِهِ وَغَزَائِرِهِ وَأَحْوَالِهِ وَعَادَاتِهِ ،  
وَإِنَّمَا تَجْعَلُ هُمَّهَا الْأَدَلُ وَالثَّانِي هُوَ الْلُّغَةُ ، أَمَّا الْبَحْثُ الْعُلَمَى فَهُوَ عَلَى  
سَبِيلِ الْاسْتِطِرِادِ وَمَشَابِعَةِ الْنَّقْوَلِ<sup>١</sup>.

وَثُمَّ ظَاهِرَةً أُخْرَى أَكَادَ الْمُعْلَمَ إِلَيْهَا لِحَا وَهِيَ أَنْ هَذِهِ الْكِتَبَ  
مُسْتَقَاءَ مَعْظُمُهَا مِنَ الْكِتَبِ الْبِيُونَيَّةِ الَّتِي تَرَجَّمَتْ فِيهَا بَعْدَ إِلَى الْلُّغَةِ  
الْعَرَبِيَّةِ ، فَالْبِيُونَانِيُّونَ لَهُمْ فَضْلُ السَّبِقِ فِي تَأْلِيفِ الْكِتَبِ حَوْلِ الْحَيَاوَاتِ  
مُثْلِهِ كِتَابُ الْحَيْرَانِ ، لِدِيمَقْرَاطِيُّسَ ، وَذَكَرَ فِيهِ صَبَانَعَهُ وَمَنَافِعَهُ ، وَكِتَابُ  
الْحَيَاةِ ، لِأَرْسَطِاطِالِيُّسَ نَقْلَهُ ابْنُ الْبَطْرِيقِ مِنَ الْبِيُونَانِيِّ إِلَى الْعَرَبِيِّ ،  
وَلِأَرْسَطِاطِيُّسَ أَيْضًا كِتَابٌ فِي نَعْتِ الْحَيَاةِ الْغَيْرِ النَّاطِقِ وَمَا فِيهِ مِنْ

(١) نفس المرجع السابق .

المنافع والمضار<sup>١</sup> .

و ذلك هو السبب الثاني فيما نعتقد لعدم نقل النويرى من هذه الكتب ولو كانت في متناول يد ، لأنه لا يبحث في كتابه هذا عن الحيوان من الناحية اللغوية ، إلا إماما ، بل إنه يركز اهتمامه على أن يأتى في هذا الفن مقتبسات و منقولات تلقى الضوء على طبائع الحيوانات و خصائصها و عزائمها و أحوال حياتها و مظاهرها و عاداتها و مألاوفاتها و مساكنها و مكامنها و مضارها و منافعها ، و القصص و الحكايات الغريبة و التوارد و الفكاهات ، مما تشبه الأساطير ، و تدخل بعضها في الأباطيل و نسج الخيال و الأوهام ، ولا شك فيه أنه نجح فيه أى نجاح .

وبما أن هذه المعلومات التي أوردها النويرى في كتابه عن الحيوان ، قد استقها جامعها أيضا من مصادر ثانوية ، ولذلك نجد فيها بيانات كثيرة عن عدد من الحيوانات ، ليست من الصحة في شيء ، و ذلك في ضوء التجارب و المشاهدات و المألفات عن هذه الحيوانات . ولنذكر على سبيل المثال قول النويرى نفلا عن « مباحث الفكر و مناهج العبر » - وهو مصدره في هذا الفن ، في عادة الأسد حيت نقل يقول : « إذا شبع (أى الأسد) من فريسته تركها ، ولم يعد إليها ولو جهده الجوع » ، وهذا خلاف المشاهد و المغرب و المألف ، فعادة العودة إلى الفريسة ثانية الظاهرة الكبرى بالنسبة

(١) وإيه أشار بالحافظ في كتابه الحيوان بقوله « قال صاحب المنطق » وتهكم في بعض الاحيان في أقواله معارضا مفندا به حينا آخر .

(٢) كشف الظنون للجذبي ج ١ / ٤٠٦ .

(٣) نهاية ٩ / ٤٢٩ .

للاسد على الأقل في الهند، فان الأسد حسب مشاهدتنا وتجربتنا بعد ما يشبع من فريسته يسوقها إلى مكان غير الذي افترسها فيه، حيث تــكثــر الأــجــام والأــعــشــاب ويختفيــها فيها، ليــعود إــلــيــها لــأــكــلــ مــنــها ثــانــيــةــ . و بــســبــبــ عــادــتــهــ المــالــلــوــفــهــ هــذــهــ يــعــدــ الصــيــادــوــنــ عــنــدــنــاــ إــلــىــ الــبــحــثــ عــنــ فــرــيــســهــ اــفــتــرــســهــ الــأــســدــ فــيــ الــغــاــبــةــ ، فــاــنــ بــلــغــ إــلــيــهــمــ خــبــرــ اــفــتــرــاســهــ لــمــاــشــيــةــ مــنــ الــمــوــاــشــىــ الــتــىــ تــرــعــىــ فــيــ الــغــاــبــاتــ أــوــ مــنــ الــوــحــوــشــ الــتــىــ تــســكــنــهــ ، يــحــاــلــوــنــ الــبــحــثــ عــنــ الــمــكــاــنــ الــذــىــ يــكــوــنــ قــدــ أــخــفــاــهــ فــيــهــ ، فــيــعــمــلــوــنــ فــوــقــ شــجــرــةــ قــرــيــةــ مــنــ الــفــرــيــســةــ مــثــلــ أــرــجــوــحــةــ ، يــصــعــدــوــنــ إــلــيــهــ وــيــخــتــفــوــنــ فــيــهــ وــمــعــهــمــ بــنــادــقــهــمــ وــأــســلــحــتــهــمــ ، وــيــنــتــظــرــوــنــ مــقــدــمــهــ . وــعــادــةــ يــعــودــ الــأــســدــ إــلــىــ فــرــيــســهــ بــعــدــ ســاعــةــ أــوــ ســاعــتــيــنــ مــنــ مــغــبــ الشــمــســ ، فــلــمــاــ يــرــوــنــهــ يــطــلــقــوــنــ عــلــهــ الرــصــاصــ فــيــرــدــوــنــهــ قــتــلــاــ .

وــكــذــلــكــ مــنــ عــادــةــ الصــيــادــيــنــ عــنــدــنــاــ اــنــ يــرــبــطــوــاــ جــرــوــ جــامــوســ فــأــصــلــ شــجــرــةــ بــمــوــضــعــ مــنــ الــغــاــبــةــ تــكــثــرــ فــيــ الــأــســدــ أــوــ تــنــرــدــهــ طــلــبــاــ وــرــاهــ الــفــرــيــســةــ ، فــاــنــ اــفــتــرــســهــ الــأــســدــ يــأــتــوــنــ فــيــ مــســاــءــ الــبــومــ التــالــيــ ، وــيــتــســلــقــوــنــ الشــجــرــةــ الــتــىــ كــانــوــاــ قــدــ رــبــطــوــاــ بــهــاــ الــجــرــوــ ، وــيــخــتــلــفــوــنــ فــيــ الــأــرــجــوــحــةــ الــمــعــدــةــ مــنــ قــبــلــ وــالــمــعــلــقــةــ فــوــقــهــاــ ، وــيــنــتــظــرــوــنــ مــقــدــمــهــ ، فــاــنـ~ـ جـ~ـاءـ~ـ وـ~ـاــنـ~ـهـ~ـمـ~ـكـ~ـ فـ~ـيـ~ـ نـ~ـهـ~ـ الشـ~ـرـ~ـيـ~ـةـ~ـ أـ~ـطـ~ـلـ~ـقـ~ـوـ~ـاــ عـ~ـلـ~ـهـ~ـ الرـ~ـصـ~ـاصـ~ـ فـ~ـقـ~ـتـ~ـلـ~ـوـ~ـهـ~ـ ، وـ~ـهـ~ـ أـ~ـنـ~ـجـ~ـحـ~ـ وـ~ـأـ~ـسـ~ـهـ~ـ طـ~ـرـ~ـيقـ~ـةـ~ـ لـ~ـصـ~ـيدـ~ـ الــأــســدــ عــنــدــنــاــ .

وــكــذــلــكــ نــقــلــ النــوــيرــيــ يــقــوــلــ «ــ وــأــكــلــ اللــحــمــ الجــيــفــ اــحــبــ إــلــيــهــ مــنــ أــكــلــ اللــحــمــ الغــرــيــضــ الغــصــ »ــ وــهــذــاــ خــلــافــ الــوــاقــعــ وــالــمــشــاهــدــ عــلــىــ الــأــقــلــ عــنــدــنــاــ فــيــ الــهــنــدــ . فــاــلــأــســدــ عــنــدــنــاــ دــائــماــ تــفــضــلــ اللــحــمــ الطــرــىــ الطــازــجــ ، وــلــذــلــكــ بــعــدــهــ يــأــكــلــ بــقــرــمــ شــدــيدــ وــبــقــدــرــ كــبــيرــ مــنــ الــفــرــيــســ

بعد اصطدامها مباشرةً . و عند ما يعود إليها ثانيةً فإنه عادةً بفضل المضام  
ويكسرها ليجرد اللحم المفضل لديه منها أولاً مُباكله .  
و كذلك قوله ” وإن رماه أحد ولم يصبه شد عليه ، فإن  
أحده لم يضره ، وإنما يخدشه ثم يخلبه كأنه منْ عليه بعد الظفر به .  
و هو إذا شم أثر الصيادين عفا أثره بذلك ”<sup>(١)</sup> .

وهذا من وهم الخبر . فان الأسد الحريع احضر السابع  
لكلها وأشدتها اوترناً وانتقاماً من جرحه فيمزقه ارباً إذا ظهر به .  
فإن لم يظفر على الصيد . فإنه بهجم كل أسنان يصاده في هذه  
الحالة ويقتسه وينهشه نهشاً . ولذلك من المحظوظ في المهد رسماً  
إصابة الأسود بالجراح . فان جرح صياد اسداً و هرب منه ، يجب  
على الصياد ان يخطر به المسئلين في العاية ليكونوا على الخذر والانتباه  
و إن أمكن قتله ، لكي لا يصبح خضراً محفداً للماشية التي زرعى في الغابة  
و الناس الذين يستغلون فيها من قاطع الأشجار و الحرمس المكلفين  
بحراستها ، ولكي لا يتحول إلى مفترس الإنسان إذا كانت جروحه  
خطرة ، يعجز بها عن الهجوم و الوثوب و الاصطدام .

و من غريب ما أورده الويرى في موضوع الأسد قوله ” و الأسد  
لا يدنو من المرأة الطامث ” و ليت شعرى هل جربه امرأة حانقة  
أبداً؟ كلا ، إنه أيضاً من الأباطيل و الأوهام التي يرويها الرواة نفسكها  
و من غير تبريره ولا دليل .

و كذلك أجدى غير مصدق لقصة بعض الغوارمة بالشام<sup>(٢)</sup>

(١) نهاية / ٤٣١ / ٩

(٢) « غور الشام » بين البيت المقدس و دمشق و هو من شخص عن ارض  
دمشق وأرض البت المقدس و لذلك سمي الغور ، وفيه نهر الأردن ، -

كيف أنه تمكن من أسد راجض بنهر الأردن و ظهره إلى الماء و ذنبه فيه ، قبض الغوراني على اذنه و ضربه بسكين كان معه فقتله ، وهذا أيضا من نسج خيال الرواية وأكاذيب الرحالة . فان الأسد ، هذا السبع الضارى الفتاك الهائل ، عظيم الأساس و الشدة ، هل يخضع و ينقاد بمثل هذه السهولة . ليقتل إنسان و بسكتن عادى ؟ كلا ، فالواقع أن ضربة من مخلبه ، منها كانت خفيفة ، كافية لتردى المرء قتيلا فقد الروح . فإنه من المغرب ، المشاهد أن ضربة قاصمة و عنيفة من مخلبه ، تطير بعض الأحجان برأس الغنم ، فطير في الهواء ، كانه ورقة يابسة في مهب الريح . فكيف بك إذا أصابت هذه الضربة إنسانا وهو أضعف خلق الله بنيانا و جسما .

و كذلك لا نكاد نصدق بيانه نقلأ عن المسعودي حيث قال عن « الفيل » : « و الفيل إذا ورد الماء الصافى كدره قبل أن يشربه كادة الخيل <sup>١</sup> ، فاما فيما يتعلق بالخيل فلستنا بمحيرين له و خبرين بعادته ولكن فيما يتعلق بالفيل فانتا جربنا مرارا أن الفيل لا يقدر الماء قبل شربه أبدا . وقد شاهدنا ذلك مرارا أثناء ركوبنا إياه فى سفريات الصيد فى الغابات . و في مواكب الرقة و خاصة عند اغتساله فى نهر بقرب مزارعنا ، فلاحظنا أنه يشرب دائما من موضع النهر الذى لا يقدر فيه ولا عشب ولا شجيرة من هذه الشجيرات التى تكثر فى الأنهر الضحلة ، بل إنه يكدر الماء ، ولكن عند ما يستحم و يغسل و يلعب فيه .

---

ـ و بلاد و قرى كثيرة ، على طرفه طبرية و بحيرتها ، وأشهر بلاده بisan » بعد طبرية . و الغوارنى سبة إلى الفور . هامش الكتاب صفحة ٢٣٢ .

و كذلك اشتكى كثيرا فيما رواه التويري ببيان «الإمام الحافظ أبي نعيم محمد بن عبد الله الأصفهاني»، في كتابه الموسوم بـ«حلية الأولياء»، و الذي ذكر فيه هذا الأخير، رواية عن محمد بن الحسن، قصة أبي عبد الله القلansi عند ركوبه البحر و انكسار السفينـة به، و قسمـه أن لا يأكل لحم الفيل إذا نجاه الله من هذه المصيبة، وكيف أنه نجا من الموت لعدم أكله لحم ولد الفيل الذي أكله أصحابه الآخرون، فقتلتهم الفيلة، وهي تفتقد ولدها، بعد ما شتم كل واحد منهم، فتدس بقدميها من أكل من لحم ولدها، و تركته بعد ما شته أيضا، بل و أركبـه ظهرها و أوصـلـه إلى مكان آمن فيه المزارع و العمران و بلغـت إلى هذا المكان بعد مسيرة ليلة واحدة فقط، مع أن هذا الموضوع كان يقع على مسافة ثمانية أيام مع المشـى العادي .<sup>١</sup>

فهذه القصة أيضا من الخرافات و الأوهام الخيالية و من الطرافـ و الغرائب التي اعتاد الرحالـة في ذلك الزـمن سردـها أمام الجـهـلة و الغـفلـة من الناس ، في الأسـمار و المحـالـس ، و أستـغربـ كيف أجاز التـويرـي نفسه نقل مثل هذه الخـرافـة . و ما ذلك إلا أن التـويرـي نـاقـلـ أمـينـ ، يـنـقـلـ الأـشـيـاءـ دونـ النـظـرـ فيـ صـحـتهاـ وـ إـمـكـانـهاـ ، وـ خـاصـةـ إـذـاـ كانـ المـوـضـوعـ ، مـاـ لـاـ يـمـسـ بـفـكـرـةـ أوـ نـظـرـيـةـ مـعـلـوـمـةـ مـقـبـلـةـ وـ عـلـمـ وـ فـنـ يـمـكـنـ وـضـعـهـ نـحـتـ المـحـكـ .

أما في الفن الرابع - في الـنـباتـ<sup>٢</sup> فـانـ التـويرـيـ فيـ الفـصـلـ الـأـولـ منهـ وـ هوـ يـخـتـصـ بـأـصـلـ الـنـباتـ ، نـقـلـ الـمـعـلـوـمـاتـ عنـ الـمـسـعـودـيـ منـ كـتـابـهـ «ـمـرـوجـ الـذـهـبـ وـ مـعـادـنـ الـجـوـهـرـ» ، ثـمـ عـمـدـ إـلـىـ الـثـالـثـيـ فـيـ «ـفـقـهـ الـلـغـةـ» ،

(١) صفحة ٣٠٦ .

(٢) نهاية الأربـ ج ١١ صـفـحةـ ٤ـ فـاـ بـعـدـ .

لينقل منه ترتيب النبات من الابتداء إلى الانتهاء لينقل عن أبي بكر ابن وحشية <sup>١</sup> أنواعاً من النبات توجد في أرض ولا توجد في غيرها، يعتمد أخيراً في نقل المعلومات عن هذا الموضوع من كتاب «القانون» للشيخ أبي علي بن مينا . أما الشعر المتعلق بهذا الفن فانه نقله من «مباهج الفكر و مناهج العبر» للوطواط و «ديوان المعان» ، و هنا ينتهي الجزء الحادى عشر من الكتاب و القسم الرابع من هذا الفن .

أما القسم الخامس من هذا الفن وهو في اصناف الطيب والبخورات و الغوالى و الندود ، و المستظرفات ، و الأدهن و المضوجات و أدوية الباه و الخواص ، و الذى يبتدئ به الجزء الثانى عشر من كتاب النهاية ، فإنه نقله من كتاب «جيب العروس و ريحان النفوس» لـ محمد ابن أحمد التميمي المقدسى . و قد اعترف بنقله منه في صفحة ٧٠ من كتاب النهاية ، و قد لخص الكتاب في الأبواب التسعة من هذا القسم .

أما الباب العاشر و بباب الحادى عشر من هذا القسم و الذى يتعلق بـ «الأدوية» ، التي تزيد في الباه و ما يتصل به ، و فيما يفعل به «الخصية» ، و اللذان ينتهى بهما الجزء الثانى عشر من كتاب النهاية ، فإنه نقلهما من كتاب «الإيضاح» لشهاب الدين عبد الرحمن بن نصر الشيرازي .

أما الفن الخامس - في التاريخ و الذى يستعمل على خمسة اقسام كالمعتاد ، و الذى يبتدئ به الجزء الثالث عشر من الكتاب و يفتح بالقسم الأول و ينتهى بالقسم الخامس في «أخبار الله الإسلامية» ، و ذكر شيء من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم و أخبار الخلفاء و أخبار

(١) كتابه «الفلاحة النبطية» .

الدولة الأموية ، والعباسية والعلوية ودول ملوك الإسلام وأخبارهم وما  
فتح الله عليهم . وفيه اثنا عشر بابا . فالباب الأول منه يحوى سيرة  
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والتى تبتدئ من الجزء السادس عشر  
وتنتهى بالجزء الثامن عشر منه ، وذلك بوفاة النبي صلى الله  
عليه وسلم وبالرثاء عليه نظما وثرا . وبهذا الجزء تنتهى سلسلة طباعة  
هذه الأسفار .

فالأبواب الـ ١٢ من الفن الخامـس - القسم  
الخامـس ، فلم تطبع بعد . لأن دار الكتب المصرية المسؤولة بطباعة  
ونشر هذه الأسفار لم تكمل بعد ، الأجزاء المتبقـة من  
الكتاب .

فالقسم الأول من الفن الخامس هذا منقول من كتابين :  
أحدـما يـواقيـتـ البـيـانـ فـقصـصـ الـقـرـآنـ ، لـأـبـيـ إـسـحـاقـ أـحـدـ بنـ مـحـمـدـ  
بنـ إـبرـاهـيمـ الشـعـلـىـ . وـالـثـانـىـ هوـ الـمـبـداـ ، لـأـبـيـ الـحـسـنـ مـحـمـدـ بنـ عـبـدـ اللهـ  
الـمـعـرـوفـ بـالـكـسـانـىـ . وـلاـ يـوـجـدـ الـكـتـابـ بـاسـمـيـمـاـ وـإـنـماـ بـاسـمـيـنـ آـخـرـينـ  
فـكـتـابـ الـشـعـلـىـ مـكـتـوبـ عـلـيـهـ فـقصـصـ الـأـنـيـاءـ المـسـمـىـ بـالـعـرـائـسـ ، وـقـدـ  
طـبـعـ بـالـمـطـبـعـةـ الـبـهـيـةـ بـالـقـاـيـدـ سـنـةـ ١٣٠١ـ . أـمـاـ الـكـتـابـ لـالـكـسـانـىـ  
فـخـطـوـطـ سـنـةـ ٨٠٣ـ وـلـمـ يـرـدـ ، وـاعـتـرـفـ الـنـوـيرـىـ بـنـقـلـهـ مـنـ الـكـتـابـينـ  
المـذـكـورـينـ .

أما القسم الخامس والأخير من الفن الخامس من كتاب  
النهاية ويحوى الباب الأول منه وهو " في سيرة سيدنا رسول الله  
صلى الله عليه وسلم " فإن النويرى اعتمد في النقل فيه على الكتب  
الآتية أدناه :

١ - مقدمة الجوانى النسابة ( قد تكلمنا عنه سابقا )

٢ - طبقات ابن سعد (أبو عبد الله محمد بن سعد الواقدي)

و هذا روى عن الكلبي وخاصة ذكر أمهات

الرسول ١٩ / ٥

٣ - دلائل النبوة للبيهقي - مخطوطة دار الكتب المصرية تحت

رقم ٢١٢ (Hadith)

٤ - سيرة ابن هشام (أو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب

الميري)

٥ - الردض الانف للسهيلي

٦ - الكامل لابن الأثير

٧ - تاريخ الطبرى

٨ - الكلبى وهو : أبو المنذر هشام بن السائب الكلبى النسابة

١٢٠٤ م

٩ - كتاب الاكتفاء بما تضمنه من مغازي المصطفى - اسلیمان بن

موسى بن سالم الكلاعي الأنداسي (أبو الربيع) (٦٣٤-٥٦٥)

و هذا يروى عن الزبير بن بكار بن عبد الله وهو : أبو عبدالله

ابن أبي بكر النسابة القاضى المدنى (١٧٢ - ٢٥٦) - تهذيب

التهذيب ٣ / ٣١٢

أما الباب الثاني من القسم الخامس من الفن الخامس والأخير

من النهاية ، فإنه سيكون فاتحة الجزء التاسع عشر من سلسلة المطبوعات

التي تقوم بها دار الكتب المصرية بالقاهرة منذ خمسة عقود من الزمن .

فلاحظنا من الأمثلة التي أسلفناها آنفا أن النورى كان يعد

فنونه المختلفة من الكتاب حسب خطة مرسومة منسقة منتظمة

(١) وفيات الأعيان ، لابن خلگان : ٤ / ٢٥٨

عكمة ، فيطالع كتاباً مختلفة في هذا الفن ، فيختار منها الأفضل والأحسن حسب خطته وغرضه من تأليف هذا الكتاب ، ثم يثبت عصارة مطالعته في أبواب وذبوب قد عينها من قبل لكي تأتي مقولاته ومقتبساته كعهد نظمت درره بأحسن طريقة عكمة ، ليصبح العقد تحفة نادرة وسلكاً فريداً يتيم الدهر . و ذلك السبب فيها زarah يأخذ الجولات والكرات بين الكتب المنقول منها العينات والمواضيعات . فييدا النقل من كتاب معين ، ليتقل إلى كتاب آخر . فإذا أوفى غرضه منه انتقل إلى كتاب ثالث ، يعود إلى الكتاب الأول مرة أخرى ، ليأتي منه موضوعاً قد عين له المكان في فصل معين أو باب خاص من قبل . وكذا نجده يلخص الكتب أحياناً ، ويختصر بعضها أحياناً أخرى ، متصرف في النقل حيناً ، ناقل أمين صادق في أكثر الأحيان ، مغيراً لترتيب المؤلف الأصلي في بعض الأحيان .

و فيما يلى قائمة بأهم الكتب التي لخصها و اختصرها ، و تصرف فيها ، و التي لم يتصرف فيها ، و التي غير ترتيبها حسب خطته المرسومة :

قائمة بالكتب التي لخصها أو اختصرها النويري في كتابه

اسم الكتاب الملخص أو المختصر      أجزاء النهاية التي نقل فيها الكتاب

الملخص أو المختصر مع الصفحات

- ١ - الأغاني لأبي الفرج      أجزاء ٤، ٥ و ٦ كاملين و ٣ و ٦ في  
الأصفهانى      مواضع متفرقة
- ٢ - الأحكام السلطانية للأوردى      ١٥٢/٦ فا بعد و ٧/مواضع متفرقة و ٨/٨
- ٣ - إحياء علوم الدين للغزالى      ٤ / ١٠٥ و ٥ / ٢٠٢ إلى ٢٧١
- ٤ - أدب الوزير المعروف      بقوانين الوزارة وسياسة  
الملك للأوردى
- ٥ - تاريخ الكامل لابن الأثير      ١ / ٣٦٧ و ٣٨٢ فا بعد و ١٦ و ١٨  
مواضع متفرقة
- ٦ - تاريخ مكة للازرق  
(أبو الواليد)      ١ / ٢٨٧ فا بعد
- ٧ - جيب العروس وريحان  
القوس محمد بن أحمد
- ٨ - حسن التوصل إلى صناعة  
الرسل لشهاب الدين أبي الثناء  
محمود الحلبي      ٧ / ٢٧ فا بعد و ١٠ / ٣٢٨

- ٩ - ديوان المعانى لأبي هلال العسكري ٢ / ٢١٠ إلى ٢٧٦ و ٣ / ١٨٢
- إلى ١٣ / ١٤٩ و ١١ / ١٢٠
- ١٠ - سيرة ابن هشام ١ / ٢٧٠ و ١٦٦ و ١٨٥ في مواضع متفرقة
- ١١ - طبقات ابن سعد و مغازيه ١٦ و ١٨
- ١٢ - الفلاحة النبطية لابن وحشية (مخطوطة بالتصوير الشمى)
- ١٣ - العقد الفريد (بالأجزاء الكاملة) ٢ / ٧ إلى ١٦، ١٥ إلى ٥٨ و ٣ إلى ٥٨
- مقدمة و ١٥٣ و ١٧٢ إلى ١٨٢
- ١٤ - فقه اللغة للتعالى ١ / ٩٥ و ٩٣ إلى ٢١١
- إلى ١٧ و ٤٢ إلى ٥٨ / ١١٦ و ١١٣ و ١١٦
- ١٥ - القانون لابن سينا ١ / ١٤ إلى نهاية الجزء
- ١٦ - كتاب المنتحل للتعالى ١ / ٦١ إلى ١١٥
- ١٧ - كتاب الميسر والقراح لابن قينة ١ / ١١٦ إلى آخر باب الأذلام
- ١٨ - كتاب الأذكار للنووى ٥ / ٣٠٠ إلى آخر باب الأدعية وغيرها
- ١٩ - كتاب المؤتلف وال مختلف في أسماء نقلة الحديث
- لعبد الغنى سعيد المصرى ٩ / ١٦٠ فما بعد
- ٢٠ - كتاب فضل الخيل للدمياطى المصرى<sup>١</sup> ١٠

(١) هو: الإمام الحافظ شرف الدين عبد المؤمن الدمياطى المصرى (م ٧٠٠).

- ٢١ - دروج الذهب للسعودي ١ / ٦٢ و ١٥٠ و ١٧٦ إلى ١٨٨  
و ١١ / ٤ و ١٣ / مواضع متفرقة  
و ١٤ / مواضع متفرقة
- ٢٢ - مباحث الفكر و مناهج العبر  
للوطواط  
١ / ٨٦ و ٣٨٤ و ٩ / ٢٢٤ إلى  
١١ / ٣١٠ و ٢٢٧ إلى ٣٢٦  
٣٤ فا بعد
- ٢٣ - بجمع الأمثال لليداني  
٢٤ - مقدمه الجوانى النسابة  
٢٥ - المنهاج - لمعة واضحة البيان  
و حسنة التبيان للحلبى  
الجرجاني ٦ / ٥ فا بعد

### أهم المخطوطات

- ١ - ذم الهوى لابن الجوزى<sup>١</sup>  
٢ - العرائس أو نفائس العرائس  
أو خلق الدنيا و ما فيها ،  
لابن الحسن الكسائى  
٣ - دلائل النبوة للبيهقي .  
٤ - أصول الأحساب و فصول  
الأنساب للجوانى  
٢٨٦ / ٢ فا بعد

(١) طبع الكتاب منذ بيئونات في بيروت .

- ٥ - منهاج للعلمي فا بعد / ٦
- ٦ - الفلاحة النبطية لابن وحشية فا بعد / ١١
- ٧ - مباحث الفكر و مناهج العبر للوطواط  
١١١ و ١٠٩ و ١١٠

\* \* \*

### قائمة بأهم الكتب التي نقل منها التورى في كتابه غير الذى لخصها او اختصرها

- ١ - الملل والنحل للشهرستاني فا بعد / ٤٩ و ٥٦
- ٢ - المدخل إلى أحكام صناعة الجوم لابن الجوزي ٣٢٥ / ١
- ٣ - المخصص في اللغة لابن سيده ١ / ٥٧ فا بعد (أسماء القمر)
- ٤ - تفسير الكشاف للزخيري ١ / (الصواعق والرعد)
- ٥ - سنن البيهقي ٩٢ / ١
- ٦ - تنبية النائم الغمر على مواسم العمر لابن الجوزي ٦٧٠ / ١ فا بعد
- ٧ - كتاب الحيوان للجاحظ ١٠٩ و ٥٤ و ١٠٠ / فـ مواضع متفرقة
- ٨ - مفاتيح العلوم للخوارزمي (طبع لبنان) ١٤٩ / ١
- ٩ - الروض الافت للسهمي ١٦٠ / ١ و ١٦٨ و ٣٩٨ و ١٦٠ مواضع متفرقة
- ١٠ - السيرة النبوة لابن إعماق ١٥٩ / ١

(١) توجد هذه الكتب المخطوطة بدار الكتب المصرية.

- ١١ - أعياد الفرس لعمل بن حزوة الأصفهانى ١٧٨ / ١
- ١٢ - تقويم البلدان لأبي الفداء ١ / في مواضع متفرقة
- ١٣ - معجم البلدان لياقوت الحموي ١ / في مواضع متفرقة
- ١٤ - كتاب الخراج لأبي الفرج قدامة بن جعفر ٥٠ / ١
- ١٥ - المسالك والمالك لأبي عبد البكرى ٢٢١ / ١ و ٢٢٠ / ١ و ١٣ / ١٠ و ٢٢٠ / ١
- مواضع متفرقة
- ١٦ - نزهة المشتاق إلى اختراق الآفاق للادرسي ٣٦٠ و ٣٥٩ / ١ فا بعد
- ١٧ - التنبىء والإشراف لابن رسته ١ / في مواضع متفرقة
- ١٨ - التاريخ البيهى للعتى (نقلًا عن مقدمة مروج الذهب للسعودى) ١ / مواضع متفرقة
- ١٩ - المسالك والمالك لابن حوقل ٢٢٧ و ٢٢٦ / ١ و ٣٥١
- ٢٠ - كتاب الشفا لقاضى عياض ٢٨٦ / ١
- ٢١ - تاريخ مصر للحسن بن إبراهيم ٣٢٨ / ١
- ٢٢ - كتاب النظر في التجارة (رسالة) للجاحظ ٣٥٣ / ١
- ٢٣ - كتاب لطائف المعارف . (مؤلف غير معروف)
- (شعر في وصف غزة) ٣٥٣ / ١

- 
- |                                    |                              |
|------------------------------------|------------------------------|
| ٢٤ / ١                             | كتاب الأمطار للجاحظ          |
| ١٨ / إلى ٣٦٧ و ٣٨٢                 | الكامل لابن الأثير           |
| ١٨ / إلى ٣٧٠ و ١٦                  | سيرة ابن هشام                |
| ٣٨٥ / ١                            | سلوة الأحزان لابن الجوزي     |
| ١ / في مواضع متفرقة                | فتح السند للوادى             |
| ٥ / ٢ فا بعد                       | الأمالي لابن الشجري          |
| ٢ / في تكوين الإنسان في رحم أمه    | صحيح البخاري (باب القدر)     |
| ٢ / مواضع متفرقة (الشعر)           | زهر الآداب للحضرى            |
| ٢ / مواضع متفرقة (الشعر)           | القيروانى                    |
| ٢١٠ إلى ٢٧٦ (الغزل والنسيب)        | الذخيرة لابن بسام            |
| ٢ / مواضع متفرقة (الشعر)           | ديوان المعانى لأبي هلال      |
| ٢١٥ إلى ٦١ (الشعر الجاهلى)         | العسكري                      |
| ١١٦ / ٣                            | يتيمة الدهر للتعالى          |
| ١١٧ فا بعد                         | كتاب المتحل للتعالى          |
| ١٣٠ / ٣ فا بعد (مادة بحر: للبحيرة) | تفسير القرطبي                |
|                                    | نشوة الارياح في بيان حقيقة   |
|                                    | الميسر والقداح للسيد المرتضى |
|                                    | الزبيدي (طبع لبنان ١٣٠٢هـ)   |
|                                    | المفردات في غريب القرآن      |
|                                    | للراغب الأصفهانى             |
|                                    | العرفة والزجر والفراسة       |
|                                    | للجاحظ                       |

- ٤٠ - عيون الأخبار لابن قنية ج ٢  
و ٥ ٥ ٨
- ٤١ - تفسير الطبرى ج ٧  
٤٢ - تهذيب التهذيب لابن حجر ١٥٣ / ٤
- ٤٣ - أخبار الظراف والمتماجنين  
لابن الجوزى
- ٤٤ - الترمذى  
٤٥ - أبو داود
- ٤٦ - الملة النورانية للبوئي  
٤٧ - خزان السلاح
- ٤٨ - الإمامة و السياسة لابن قنية
- ٤٩ - الأدب الكبير لابن مقفع  
٥٠ - رسائل البلغاء لابن مقفع
- ٥١ - نهج البلاغة للشريف  
الرضى
- ٥٢ - أدب الدين والدنيا لماوردي
- ٥٣ - كتاب الساج في أخلاق  
الملوك للجاحظ
- ٥٤ - الجامع الصغير للجاحظ
- ٥٥ - المحسن والأضداد للجاحظ  
٥٦ - كتاب الحيوان للجاحظ
- ٥٧ - أدب الكتاب للصولى
- ٤ / في مواضع متفرقة ٤  
٤ / في مواضع متفرقة ٤  
٤ / في مواضع متفرقة ٤  
٤ / في مواضع متفرقة ٥ ٢٨٨  
٥ / مواضع متفرقة ٦  
٦ / أيضا ٦  
٦ / أيضا ٦  
٦ / أيضا ٦  
٧ / في مواضع متفرقة ٦ ٢٥٥  
٧ / أيضا ٧

٥٨ - ثلاث رسائل لأبي جبان

- |  |                   |
|--|-------------------|
| ٥٩ - زهر الآداب للحضرى   | التوحيدى<br>٧ / ٧ |
| ٦٠ - البيان و التبيين للجاحظ                                     | ٦٠ / ٧            |
| ٦١ - حاضرات الأدباء للراغب                                       | ٦١ / ٨            |
| ٦٢ - معاهد التنصيص لعبد الرحيم                                   | ٦٢ / ٨            |
| العباسى  |                   |
| ٦٣ - تفسير أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري          | ٦٣ / ٩            |
| ٦٤ - كتاب الأموال لأبي عبيد                                      | ٦٤ / ٩            |
| ٦٥ - مختصر المكابات البدعية لابن الصيرفى <sup>١</sup>            | ٦٥ / ٩            |
| أبي شامة المقدسى   |                   |
| ٦٧ - أدب الكاتب لابن قتيبة                                       | ٦٧ / ١٠           |
| ٦٨ - كفاية المتحفظ ونهاية المتلقظ لأبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله | ٦٨ / ١٠           |
| المعروف بابن الأجدابى الطرابسى                                   |                   |

(١) الاسم الكامل لكتاب هو : مختصر المكابات البدعية فيما يكتب من أمور الشريعة، وهو المختصر لكتاب جامع العقود في علم المواريث و المهدى لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن المخزومي المعروف بابن الصيرفى .

- ٦٩ - رسائل الصابى (المخطوطة) ١٠ / في مواضع متفرقة
- ٧٠ - كتاب الإيضاح لنصر الشيرازى ١٢ / أيضا
- ٧١ - قصص الأنبياء المسمى بالعرائس  
لأبى إسحاق محمد بن إبراهيم الثعلبى ١٣
- ٧٢ - كتاب المعارف لابن قتيبة ١٦ / أخبار عبد المطلب
- ٧٣ - الطبرى ١٦ / في مواضع متفرقة
- ٧٤ - صحيح مسلم
- ٧٥ - الكامل للبرد
- ٧٦ - كتاب البخلاء للجاحظ
- ٧٧ - كتاب الآثار لإبراهيم بن محمد الشيبانى
- ٧٨ - لسان العرب لابن منظور

٠ ٠ ٠

### فهرس الكتب التي نقل النويرى الشعر منها في كتابه

- ١ - العقد الفريد لابن عبد ربه
- ٢ - زهر الآداب للحضرى القىروانى
- ٣ - الذخيرة في حasan أهل الجزرة لابن بسام
- ٤ - ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى

- 
- ٥ - كتاب المتحل للتعالى
  - ٦ - كتاب مباهج الفكر و مناهج العبر للوطواط
  - ٧ - ذم الموى لابن الجوزى
  - ٨ - يتيمة الدهر للتعالى
  - ٩ - البيان و التبيين للجاحظ
  - ١٠ - كتاب الحيوان للجاحظ
  - ١١ - الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى
  - ١٢ - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للفرى
  - ١٣ - حسن التوسل إلى صناعة الترسـل للحـبـيـعـيـ الـجـرـجـانـيـ

عبد الحليم الندوى

حيدرآباد (المـندـ)



## المجتمع المصري في الشعر الحديث

من الحملة الفرنسية إلى السيطرة الإنجليزية

اتفق المؤرخون والأدباء في العصر الحديث على أن بوادر  
الهضة السياسية والاجتماعية والأدبية قد ظهرت في مصر بعد الحملة  
الفرنسية، لأن القرون الثلاثة قبل الحملة في عصور المماليك قد شهدت  
ركوداً وانكماشاً ضعفت فيها الشخصية المصرية وتقلصت الثقافة  
العربية، لأن المماليك وإن كانوا مسلمين ولكن ما كان بهمهم تثقيف  
الشعب ولا تعليمه بل كانوا منهنكين في إرهاق الشعب، وكان  
حكمهم شبه الحكم القبلي في العصور القديمة. فالحروب كانت مستمرة،  
وكان الشعب ضائعاً بين هذا وذاك. فالحروب المتلاحقة قد حطمت  
قوى الشعب وقضت على طاقاته المعنوية والمادية، ففي مثل هذا الجو  
الذى يسوده الفلق والإرهاب كان من الصعب أن تنهض فيه فكرة  
منظمة، وأن تقدم فيه ثقافة قوية، أو ترسخ في أرجانها حضارة، أو يشع  
فيها نور العلم والعرفان، فصرت التي ظهرت في مدنها الكبيرة والصغرى  
ألف من العلماء والأدباء ونبتت في قراها وأريافها حلة الفكر والبيان<sup>١</sup>.

(١) الدكتور كامل حسين: أدبنا العربي في عصر الولادة ص ٢٩ - ٨٣ طبعة القاهرة، بدون تاريخ.

لأنى في هذه المرحلة إلا بصياغة من العلم هنا وهناك، لا توجد المدارس و الكتب إلا في المدن الكبيرة . ولم يكن للقرى والآرياف حظ منها، فالشعب الذي عاش مدة طويلة محروماً من العلم و الثقافة، لم يكن له أن ينظم فواه، وبهذب أفكاره، ويصل إلى إحساسه، فقد كان يتتحمل ظلم الحكام، ويصبر على آلام الزمان، ولكن من حسن الحظ لم يطمن على هذه الحالة يوماً من الأيام، بل كان يتربص كل فرصة ليتخلص منها، فقد كانت تقوم بعض الثورات في المدن و القرى تنددوا على ظلم المالكين و حكامهم . وكان الأمر كما يصف الدكتور لويس عوض :  
 ولا شك أن بعض هذه الانفجارات القومية وهذه الحركات نحو إنصاف الفلاحين ترك صاحبها نوعاً من الرأي العام السياسي والإجتماعي، ولكن أيا كانت حالة هذا الرأي العام فهو لا شك قد كان في حالة هبولة لا تبلور فيها ولا وضوح وهو بشكل لم يجد تعبيراً في الأدب بسبب بسيط ، وهو أنه لم يكن هناك ظهر الكتابة يستحق أن يسمى أدباً، ولكن الوقوف على تاريخ هذه الانفجارات الثورية قبل الحملة الفرنسية، والوقوف على النظام المملوكي هو المقدمة الضرورية لفهم ما أصاب المجتمع النصري الحديث و الفكر المصري الحديث من تطور خطير في نظم الحكم و من تطور تعقائد السياسية و الاجتماعية لأنه ما من شيء ينشأ في فراغ تام و البذرة الكامنة في تربة الخير هي أصل كل نبات إن وجدت الرى و السقيا و ضوء الشمس<sup>١</sup> . و تاريخ مصر في هذه الحقبة يتلخص في سلسلة من الاحتجاجات على المظالم تتراوح بين الاضطرابات و المظاهرات وبين أعمال الشعب الحقيقة، و مع

(١) الدكتور لويس عرض المؤثرات الأجنبية في الأدب العربي الحديث

كل ذلك مناوشات لا تنتهي بين الأمراء المصريين - كما يسميهما الجبرتي وهم المالك التمتصرون - وبين المالك الجدد تحت الحكم الثنائى حكم مراد بك وإبراهيم بك . واستمر هذا الوضع حتى مجىء الحلقة الفرنسية ، و كان واضحًا أن الأزهر كان طوال هذه الفترة هو ملاذ المظلومين ، و نقطة أكثر حركات الاحتياج على الظلم ، كما كان واضحًا أيضًا أن بعض كبار العلماء من المصريين كانوا يقومون بدور واضح في الحياة العامة فيؤخذ رأيهم بصفة استشارية قد يلجأ إليهم البائسون العثمانيون والمالكون للتوجيه فيما ينفهم من العلاقات الداخلية ولتهذيفه خواطر الشعب المظلوم كما كان أبناء الشعب يلتجأون إليهم للتوجيه بينهم وبين الحكومة لرفع الظلمات <sup>١</sup> .

فالإمام الأزهري في هذه الفترة وإن كان ضعيفاً من الناحية المادية ، حيث لم يكن فيه نظام ، ولا منهاج مستقيم ، ولا هدف معين يقود الشعب . مع ذلك كان علماؤه وشيوخه مسموعين الكلمة ومحبوبين لدى الشعب . هذا يدل على صلة الشعب بالعلماء وصلة العلماء بالشعب . فالرابطة القوية المبنية على الأخوة والمحبة هي عصمت الشعب من الضياع وحفظت الثقافة الإسلامية والعلوم العربية من الفana . فالجبرتي الذي عاش الدورين عصر المالكية وعصر الفرنسيين ، وعاين ما كابد الشعب من الهوان ، كما عاين كيف تفجرت قوى الشعب ضد المعدين . ووصف كذلك دخول الفرنسيين مصر ، كما وصف كيف حاول الفرنسيون إخضاع الشعب جنباً بالرجاله وأحياناً بالإرهاب . بالحقيقة كان الجبرتي مؤرخاً ومصوراً ، ناقداً وباحثًا ، لأنّه كان ينظر

(١) المؤثرات الأجنبية في الأدب العربي الحديث ص ٣ - ١ .

إلى الأشياء بعين بصيرة وفكرة وقيادة، واعتقد بأن كتابه (بعنائب الآثار) وثيقة هامة لدرس الحياة الأدبية والسياسية والاجتماعية في هذه الحقبة من التاريخ<sup>١</sup>.

كانت الحملة الفرنسية هزة عنيفة للحياة الاجتماعية، فقد أتت الشعب من السبات وهب للدفاع عن وطنه وكيانه وحربيته، ومن جهة أخرى، رأى حياة جديدة وأساليب حديثة من الدرس والبحث العلمي لم يكن لهم عهد بها. يصف الجبرتي هذا التغير بأسلوب جميل: «من المكتبات فتحوا أبوابها لألوظفين من المصريين يبذلون لهم مودتهم، وبحضرون لهم أنواع المطبوع بها تصاوير وكرات البلاد، والأقاليم والحيوانات والطيور والنباتات وتاريخ القدماء وسير الأمم وقصص الأنبياء بتصايرهم وأياتهم (و معجزاتهم) وحوادث أممهم». يقول: إنه ذهب إليهم مراراً، فأطلعواه على ما في خزاناتهم من كتب وصور فيها كثير من الكتب الإسلامية والقصائد العربية إلى لغتهم، و منها الكتب المفردة لأنواع اللغات وتصديقها واشتقاقاتها، بحيث يسهل عليهم نقل ما يريدون أي لغة إلى لغتهم في أقرب وقت. هذا إلى الآلات الملكية الغربية المتقدمة، والآلات الهندسية والأدهان الكيمائية، وما إلى ذلك من أحوال وتراث غربية تنبع منها نتائج تثار فيها العقول»<sup>٢</sup>. كانت الحملة الفرنسية إذن فحمة وفي طيئها نعمة. فقد ساعدت المصريين على الشعور بأنفسهم والتطلع لآفاق أخرى من المعرفة وضروب جديدة من الاجتماع والعمارة، فما هو

(١) راجع للبحث بعنائب الآثار للجبرتي المجلد الثاني القاهرة ١٣٤٤.

(٢) بعنائب الآثار (٤: ١٣٢).

إلا أن تخلص المصريون من آثار هذا الغزو الأجنبي حتى أظهروا إرادتهم القومية في خلع الوالي المصري وتوليه آخر مكانه هو محمد على الذي ظلت أمرته تتولى حكم مصر إلى منتصف القرن الحاضر<sup>١</sup>. كانت مصر أيام المماليك في ثلاثة طبقات: المماليك، الشعب، العلماء.

١ - كان العلماء يتصدرون مكانة عالية عند الشعب، وكانوا ينظرون إليهم نظرة إجلال وإكرام. وكانت كلماتهم لا تقل من الأوامر السلطانية. وخطبهم كانت تفهم الشعب وتقعده. وهم كانوا يحاولون أيضاً أن يتقرموا إلى الشعب ليسمعوا آرائهم وينظروا إلى مسائلهم وأمورهم، ليدافعوا عنهم ما استطاعوا أن يدافعوا. إذن هم كانوا بمنزلة الزعماء و القادة في العصر الحديث فكانو حملة علم و عرفان من جهة و حفظة حقوق عصمة الضعفاء من جهة أخرى.

٢ - الشعب - هذه الطبقة تتكون من المصريين المواطنين: من المسلمين والمسيحيين واليهود هؤلاء جميعاً كانوا من التجار، وال فلاحين، والعمال، والموظفين. كانوا جميعاً يعيشون في كابوس الظلم، و يتوجسون الخيفة كل آن، حينما يتجاوز الأمر حد الصبر يثورون، ولكن كانت ثورتهم دائماً عاطفية حساسية. فيهدأون بخفة حينما تقبل طلباتهم منها كانت هذه الطلبات. أكبر الأحيان كانت ثورتهم ضد المكوس الزائد، ضد الاحتكار، والغلاء الفاحش، أو عند معاملة الحكماء مع طبقة من الناس، أو ضد المصادر أو نهب أموال الأوقاف والمساجد والمدارس أو الأرامل والأيتام.

(١) الدكتور خالد أنه: معلم التطور الحديث في اللغة العربية وآدابها

ص ٤ - القاهرة، م ١٩٦١ .

٣ - المماليك - هذه الطبقة التي كانت همزة الوصل بين الوالى التركى وبين الشعب ، فكان المماليك يحكمون مصر ، وكانوا يعترفون فى نفس الوقت بخلافة الدولة العثمانية . وكانت بدمغون الضريبة المعينة للدولة ، وكان الوالى التركى يراقب سير الأمور . وبلغ حكمته ما يجرى فى البلاد . وكان قلما يتدخل فى الأمور الداخلية . كانت الطبقة الحاكمة ما كان يهمها من أمر الدولة إلا أن تعيش هي عيشة راضية مرفهة ولو على حساب الشعب المنهوك من الفقر والجوع . فكانت النتيجة أنها انعزلت أو انفصلت من الشعب كل الأقصى . ولم تبق بينها رابطة قوية أو ضعيفة ، بل كان كل منها يتعرض للآخر ، لذلك كان النظام القائم فى هذه الحقبة فى اضطراب وقلق . كانت ميزانية الدولة دائمة فى هبوط . الجيش والجنود كانوا فى حالة يرثى لها . فى هذه الحالة غزت مصر دولة أجنبية ذات طموح ذات قوة شديدة من العدة والعتاد ، من السلاح والآلات ، من العلم والثقافة ، فما كان أن تقف أمامه هذه الحكومة التي لا يعززها جنده ، ولا يؤيدها شعب ، ولا يساندها عزم ، ولا إرادة قوية ، لذلك انهزمت قوات المماليك أمام الحملة الفرنسية فى كل ثغر من ثغورها ، تسلطت القوات الفرنسية أرض مصر فنككت بالمماليك وعملت السيف فى الشعب ولعبت بالدم والنار ، وحاولت أن تقضى على الروح المصرية وتفنى دينها وثقافتها ، وتخلق شعباً جديداً يكون بجسمه مصر يا وبروحه وثقافته فرنسي ، هنا هب الشعب من جديد ونفض غبار المخول والسلسل واستعد ضد الأجنبي الذى لا تنهى صلة الدم والدين ولا الثقافة واللغة ، وثار ثورة عنيفة ، ولم يقبل أية مسامحة ، فكان على الأجنبي أن يترك أرض مصر لأهلها ، وعاد من حيث أتى ، كانت الغزو الفرنسية مخططة منظمة ، لذلك

استطاعت في مرحلة وجيزة أن تنفذ كثيرا من مشاريعها ، وكانت هذه المشاريع مختلفة : مشاريع لرفع مستوى اللغة والثقافة ، مشاريع لفتح الجامع للعلوم ، مشاريع لتأسيس المطبع لطباعة الكتب ونشر الجرائد ، مشاريع لفتح الطرق وحفر القنوات . كان الفرنسيون يحاولون أن ينفذوا هذه المشاريع بسرعة ليقربوا إلى الشعب ليقولوا لهم إنهم يريدون الأمن في البلاد ويبحرون أن برتفع فيها مستوى الحياة ، ويقوم العدل بين الناس ، هم جاؤوا إلى مصر ليحسنوا إليها ولم يأتوا ليستفيدوا من خيراتها ، ولكن الشعب لم يقبل أية مساومة ، كما لم يقبل أية مساعدة ، بل لم يرض أن يبق العدو طرفة عين في أرضه ، تخاص الشعب من الفرنسيين بعزم وثباته بل بوحدة صفه وإيمانه بوحدة مصيره في هذه المرحلة الوجيزة ، تعلم الشعب المصري كثيرا ، عرف نظاما جديدا وحياة جديدة واستأنس بكلمات غريبة دخلت هي وبها بعد في صميم الحياة المصرية .

كان بطل المعركة ضد الفرنسيين السيد عمر مكرم العالم المخلص للمجاهد الغيور ، وقد بمحب الشعب من هذه المعركة الوطنية في قيادته . خرج الفرنسيون ولكن بق السؤال : من يحكم مصر ؟ أ الحكم مصر الشعب المصري أم يعود الوالي العثماني إلى مصر ويعيد النظام القديم أو يعيد أيام المماليك فيبتلى الشعب بنفس البلاية التي خلصه الله منها ، لقد رأى الشعب الحياة الجديدة في أيام الفرنسيين ، كما رأى الحكومة التي تقوم على نظم جديدة وأسس حديثة ، ولكن يظهر أن الشعب لم يتعلم هذه الأسس وهذه النظم كما ينبغي أن يتعلم ، لذلك لم يتوجه إلى تأسيس حكومة شعبية مصرية خالصة ، فقدم الوالي العثماني الجديد خورشيد كما بدأ المماليك يخرجون رؤسهم من الجحور التي اختفوا فيها

فيها أيام الفرنسيين خوفاً من القتل وأهلاك . و كاد هؤلاء المالك يتولون الحكم من جديد و كاد الوالي الجديد خورشيد أن يهوى الصلة بين مصر وبين الدولة العثمانية ، و يقع الشعب ضائعاً متخبطاً كما كان قبل المحلة الفرنسية . ولكن يظهر أنه لم يبق هذه المرة ساكناً صامتاً متفرجاً بل خاض المعركة ضد الوالي الجديد لأنه ما كان يريده كما أنه أبدى سخطه و غضبه على المالك لأنه جربهم فرونوا ، فبدأت الفتنة في أرجاء مصر بين الوالي الجديد خورشيد وبين المالك . هنا أثبتت "شعب صموده و عزمه لأنه نظم هذه المرة أكثر من الماضي . هنا رأى الخليفة أن يعزل الوالي الجديد خورشيد و يرسل إلى مصر شخصاً مجرباً و قائداً محنكاً، فكان اختياره على محمد علي . جاء محمد علي إلى مصر ليسمع شكاوى الناس و ينظر إلى طلباتهم و يصلح الأمر و يعيد النظام و الأمان في طول البلاد و عرضها فكان عند حسن ظن الشعب و الخليفة العثماني معاً . فبدأ يتقارب إلى الشعب و يخطب ودهم بطرق مختلفة . أخيراً رضى به الشعب و نصبه حاكماً على مصر متصوراً أنه مصلح أرسله الله إليهم . فكان في أول أمره كما كان يتصوره النايم . كان محمد علي قائداً في الجيش العثماني ، ترقى من الجندي إلى القائد و خاض المعارك الكثيرة و خرج منها بنجاح ، و كان يتمتع بسمعة حسنة في الجيش العثماني ، كما كان معروفاً في الدولة العثمانية بالحكمة و السياسة ، و المهارة و اللباقة . فاستطاع أن ينصب نفسه حاكماً على أريكة مصر و يفتح عهداً جديداً في تاريخ الحياة المصرية من الناحية الاجتماعية و السياسية و الثقافية .

و استلم محمد علي زمام الحكومة سنة ١٨٠٥هـ ، وقد أتى مصر منه ١٨٠٤هـ من قبل الحكومة العثمانية ليعقيم الأمن في أرجائها ، لأن

الثورة الشعبية قد اشتعلت ضد الوالي خورشيد . و كان الشعب مصر على أن يعتزل الوالي عن الحكم و ينصرف إلى تركيا ، قد أثبت محمد على كفابه في المهمة التي أرسل لها . وقد أبدى ولاءه وجبه للشعب فكان يسمع شكاوام و يصفع إلى طلباتهم و يبدي نشاطه للإصلاح ، فقد كان يحاول أن يظهر أرض مصر من العيوب المترآكة و المفاسد المتواالية و قد نجح في هذا بمحاجا باهرا ، في نفس الوقت كان يحاول أن يقوى الرابطة بين الشعب و الحكومة حيث يشعر كل مواطن مسؤولته ، ألم شيء أراده محمد على أن يتحقق هو أن ينهي الجهالة و البطالة ، و ينشئ المدارس و المعاهد في الوطن ، حينما رأى الشعب جبه مصر و وداده للصريين و نشاطه و جده في الميادين الثقافية و الاجتماعية أكرمه و أنزله خير منزل ، و رضيه حاكما و وانيا ، وقد وثق به الشعب كل ثقته و اطمأن به كل الاطمئنان ، بهذه الموهاب العجيبة بدأ يشق الطريق لبني المجد لنفسه و لأسرته و يصنع تاريخ مصر الحديث .

قبل قدمه إلى مصر رأى محمد على كيف تقدمت الدول الغربية في ميدان العلم و الحضارة فرسيحت في نفسه عقيدة بأن مصر لا يمكن أن تتقدم إلا أن تسير على الخطمة و المنهج الذي يسير عليه الدول الغربية ، ولا يمكن لها ذلك إلا أن تقدم ثقافيا و اجتماعيا ، لذلك بدأ يبحث عن الوسائل التي يحقق بها أمنيته فأول شيء فعله في هذا السبيل هو إرسالبعثات العلمية إلى أوربا ، و كانت هذه البعثات في أول الأمر من متخرجى الأزهر لأن الأزهر في تلك الأيام كان معهدا وحيدا في أرجاء مصر كلها بل في العالم العربي كله يقوم بالتعليم الابتدائي و العالي ، وكانت هذه البعثات أكثرها إلى فرنسا ، لأن

الشعب المصرى كان يعرف الفرنسيين أكثر من أية أمة أخرى، وقد تركت فرنسا في نفوس المصريين أثراً كبيراً، وظهر هذا الأثر في الحياة العلمية والسياسية معاً، ثم بدأ محمد على يقوى الصلة الثقافية والعلمية بفرنسا وجعل يجلب الخبراء والمهندسين والأطباء ورجال التعليم إلى مصر ليقوم هؤلاً بتربيه الشعب وتنفيذ المشاريع الاقتصادية والعلمية، فحقق محمد على المشاريع التي كانت تخطر بباله في وقت وجيزة ونالت مصر من التقدم والرقي وبدأت الحياة تدب في شرايينها ونشطت الحركة العلمية والأدبية والاجتماعية في خلاباما ظهرت آثارها في الكتابة العلمية والسياسية والشعر، ولم يكن التقدم الأدبي كالتقدم السياسي لأن النهضة العلمية والأدبية وإن كانت ترافق النهضة السياسية إلا أن أثر النهضة العلمية والأدبية يكون بطيئاً لاتنا نجد القفزة في الحياة السياسية ولكتنا لا نجد القفزة في الحياة الأدبية والفنية لأن الحياة الأدبية والفنية تقدم على انفاس الماضي وتكون قوية الصلة بالتراث القديم . فكل جديد يستفيد بقديمه ، وكل حديث يتصل بماضيه ، لذلك يجد الباحث للآداب سير الحياة ويلمس مدى تقدم الأمة من الناحية السياسية والاجتماعية ، هنا يجد الباحث في الأدب والشعر صورة صادقة للحياة الفكرية والاتجاهات المختلفة ، كما يجد إذا تعمق بعض الشيء بمحاري الأفكار التي تسربت من الجهات المختلفة وتنفلقت في الحياة العامة والخاصة .

ترك الحملة الفرنسية أثراً كبيراً في الحياة العامة ظهرت آثارها في أيام محمد علي لأنه طبق تلك النظم التي ورثها من الحكومة الفرنسية ، كما استفاد من المراكز العلمية التي أ始建 وفتحت ، وكان لها الفضل

في نشر الكتب العربية القديمة . و كانت هذه الكتب نواة صالحة للحياة العلمية والأدبية . لأن الأمة تتكل على التراث القديم و تفتح صدرها و عينها لأخذ ما جد في دنيا العلم والأدب ، و هنا يلتقي الجديد بالقديم و القديم بالجديد ، و بعد قليل يتمزج القديم بالجديد و الجديد بالقديم و ينشأ أدب يرافق الحياة العامة و الخاصة و يسير حيثما يحمل في طياته معنى القديم و الجديد . المدارس التي فتحها محمد على بدأت تعلم أبناءها و البعثات التي أرسلها إلى الغرب بدأت تنهل من معينه و تملأ وفاضها ما طاب له و حسن ، و رجعت إلى بلادها بروح قوية متحمسة تحاول أن تعرف أمتها ما رأت في الغرب و ما فرات و تنقل إليها ما ذاقت منه و ما جربت ، فكانت هذه البعثات همسة الوصل بين الشرق و الغرب أو بين الثقافة القديمة و الحديثة و قنطرة لنقل الأفكار والاتجاهات ، فالجبل الذي وجد في عصر محمد على تعلم و تعرف إلى أشياء لم يعرفها الجبل الذي سبقه ، فالأدب بدأ يظهر في صورة جميلة و الشعر بدأ يظهر في شكل حيث تخلص من الركاكة و السجع كما بدأ يتخلص من الموضوعات التي كانت تدور حول مدح و مجاه و حول مناسبات . كأننا نرى في الأدب الذي وجد في عصر محمد على و بعده نتيجة الخبرة و ثمرة الدراسة و فيض الخاطر لأن الجبل الذي شاً بعد هذا العصر قد فتح عينيه و الدينما قد تغيرت فلم إلما بما طبع من التراث العربي القديم و ما نقل إلى العربية من التراث الغربي الجديد ، فالمهوة التي كانت بين الشرق و الغرب بدأت تزول و اتصلت الحياة العربية بالحياة الغربية لفظاً و معنى ، روحًا و جسماً . فالاتجاهات و الزعزعات التي ظهرت في الغرب - سياسية كانت أو اجتماعية - كانت تتسرّب إلى الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية ، و هنا التي الأدب و الشعر بالحياة و التقت الحياة

الحياة بأشعار و الأدب ، فكان اللقاء على ميعاد . الأشعار و القصائد التي نقلها الجبرتي في كتابه «عجائب الآثار»، لا نرى فيها حياة ولا فكراً وهي تدور حول أفكار مضطربة وأسلوب سقيم و الموضوعات لا تتجاوز المديح والهجاء أو المأسيات ، ولكن يحدد الباحث الفرق الكبير حين يقرأ شعر إسماعيل الخشاب م ١٨١٥ من الشمر الذي سبقه ، كما يحدد البون الشاسع في شعر الشيخ حسن العطار م ١٨٣٤ و شعر السيد علي الدرويش م ١٨٥٣ من الشعر الذي وجد من قبلها . و هكذا تقدم قليلاً فقرأ شعر السيد أبي النصر م ١٨٨٠ ، و الشيخ محمود الساعانى م ١٨٨٠ ، فنحس كأن الشعر العربي بدأ يسدد خطاه و يرسم المنهج و يقتبس من الحياة العامة فizة هؤلاء الشعراء أنهم مهدوا السبيل للشعراء الذين أتوا من بعدهم .

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد : إن محمود صفوت الساعانى كان حلقة الاتصال بين الشعراء العروضيين و الشعراء المحدثين<sup>١</sup> ، لانستطيع أن نقول : إن هؤلاء الشعراء جميعاً كانوا صورةً صادقة لل المجتمع الذي نشأوا فيه و لا يمكن أن يكونوا صورةً صادقة للحياة العامة إلا أن يكون الشاعر قوياً في أسلوبه ، بصيراً بمسيرات الناس و قادة الفكر و الخيال ، و يعيش في المجتمع بروحه و جسمه ، و يلقى سمعه على همّات الناس و يسترق نحوه فؤادهم و يلوّنها بفكرة و إحساسه ثم يخرجها إلى الناس في ألفاظ تموّج هي بالأفكار و العواطف و تحرك بالصور و الجمال . و هذا لا يمكن إلا إذا استوت النهضة العلمية و الأدبية ،

(١) عباس محمود العقاد : انظر شعراء مصر و بيئاتهم في القرن الماضي ص ١٨

عاشت مصر مرحلة طويلة تحت حكم محمد علي وأسرته، و تقلبت الحياة السياسية والاجتماعية والدينية، في هذه المرحلة شاء عدد كبير من الشعراء درسوا الشعر القديم من الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي وحفظوا شيئاً كثيراً منه، ثم درسوا في نفس الوقت الحياة الجديدة وما ظهر فيها من الاتجاهات والتزاعات فتأثروا بها، هؤلاء الشعراء هم موضوع بحثنا و دراستنا لأننا نحاول أن نستشف من خلال شعرهم الحياة الجديدة كما نحاول أن نقدم صورة صحيحة للشعب المصري، كما نحاول أن نعطي فكرة عن تلك الأحوال التي مر بها الشعب في هذه الفترة من فرح وترح، من ظلم وعدل، من عبودية واستقلال .

ما كان محمد علي مصرياً ولم يرد كذلك أن يتمصر بل كان يرى نفسه فوق المصريين . ولم يشعر المصريون هذا إلا بعد أيام ولم تظهر بينهم عاطفة المقاومة . و السبب في ذلك أن محمد علي قد حكم البلاد ببلادة و مهارة و سياسة لم يصل إلى كنهها إلا عدد قليل في حياته، إنما ظهرت آثار سياسية فيها بعد . كانت أمامه مشاريع كثيرة ، وكان يريد أن ينفذ هذه المشاريع و يستعين في تنفيذها بخبراء الغرب و يعطي لهم الامتيازات ، لم يتدخل الأجانب في حياته بأمور الدولة . لذلك زداد عدد هم يوماً بعد يوم ، كما تزداد امتيازاتهم يوماً بعد يوم فبدأوا يوفرون الأموال لتأسيس الشركات باسم إصلاح البلاد واستغلال إنتاجها و توفير مواردها ، فبدأت تتجهها تظاهر شيئاً فشيئاً . حين رأى الناس أن الديون تكاد تثقل كواهل الشعب وأن زمام الحكومة لم يبق في يد الخديو ، كان أصحاب رؤوس الأموال من الأجانب يتصرفون كما يريدون

بمشاريع الاقتصاد، فكانت الشركات تتتص دماء الشعب لأن الموارد تذهب إليها. فأصبح الفلاح المصري والناجر المصري كأنهما لا يملكان شيئاً، لذلك هبطت ميزانية الدولة ولم تستقر على حال، وفي نفس الوقت كان الأمراء ينفقون ويندرؤون أموال الحكومة بدون حساب.

فكانوا يريدون أن يخفوا ضعفهم بالقوة، فجعلوا يقربون إليهم الأزراك والجراكنة، ويرفعون درجاتهم كما بدأوا يهملون المصريين لأنهم لا يقدرون أن يتحركوا ضد هم بهذه السياسة المضطربة، كانت أسرة محمد على تحاول أن تحكم حكماً مطلقاً ولكن كان من الصعب أن يصبر الشعب في هذه الفترة لأنها عرفت الآن معنى الحرية والاستقلال كما عرف معنى الدستور والقانون وعرف حدود الحكم والمحكوم. وبدأ يفرن بين الحكم الجائر والحكم العادل، وكان الأمر كما يصف الدكتور ماهر حسن فهمي :

«ولا نكاد نعثر في القرن التاسع عشر قبل البارودى من شعر يتناول هذه النواحي، فيقطنة الشعب كانت ما زالت في دورها الأول والحكام كانوا ما يزالون في سلطتهم، ولهذا نجد المدح يستند معظم جهود الشعراء، ولعل صالح مجدى م ١٨٨١ أول شاعر امتد بصره نحو هذا الميدان ولكنه لم يصنع أكثر من لفت الأنظار إلى باب جديد لم يجرأ شاعر قبله أن يطرقه وقد هاجم في إحدى قصائده الخديو إسماعيل مجموعاً عنيفاً، وبه الناس إلى ما جر على مصر من ويلات نتيجة استهتاره»<sup>٦٧</sup>

(٦٧) الدكتور ماهر حسن فهمي : تطور الشعر العربي الحديث ص

يقول :

رمي بلادكم في نهر هاوية من الديون على مر غوب جوسيار  
وأنفق المال لا يخلو ولا كرما على بعض وقواد وأشرار  
المرء يقنع في الدنيا واحدة من النساء ولم يقنع بمليار  
ويكتفى بناء واحد وله تسعون قصر بأخشاب وأحجار  
فاستيقظوا لا أقال الله عثرتكم من غفلة أبستكم ملبس العار<sup>١</sup>

نرى الشاعر ضعيف الأسلوب وبيان قليل الحظ من التفكير  
والعمق ، و لكنه كان يراقب سير الأمور مراقبة تامة كما كان يراقب  
ما يؤسس الأجانب في مصر من الشركات كما كان يلاحظ كيف كانوا  
يسطرون على أموال الشعب بطرق مختلفة وكيف كانوا يضحكون على  
عقولهم ، فكان الشاعر ينبه الناس إلى الخطر الذي أحاط بهم كما كان يشير  
إلى مواضع الضعف في الحكومة كما كان يشير إلى غفلة الحكماء وإهمالهم  
شئون الناس فبدت الحياة الاجتماعية و السياسية تضطرب ونظم الحكم  
تنحل . و كان الأجانب يستفيدون بهذا الوضع المضطرب بل كانوا  
يستغلون هذا الوضع القلق ، فقد اتبه أشعار إلى هذه الحالة فإذا هو في  
قصيدة أخرى يبكي على أهل وطنه الذين أضحووا فريسة للمستعمرین يقول :

ومن عجب في السلم أني بموطن أكون أسيراً في وثاق الأجانب  
وإن زعيم القوم يحسب أني إذا أمكنته فرصة لم أحارب  
وإني أغضى عن مساو عديدة له بعضها يغضى بخلع الماكب  
وأضرب صفحات عن خمار أفلها لدى العد لا يمحى بدقير كتاب  
ومن أرضه يأنى بكل ملوث جهول بتلقين الدروس لطالب

(١) ديوان صالح مجدى ص ١٨٠ الفاشرة ، ١٨٩٤

و يفتن الاموال لا لمنافع نعود على أبناءه والأقارب  
 فالى أرى هذا المهين وقد افندى و دبت أفاعيه على كل جانب  
 ولا قال للإحسان إلا بضده ولا قام للعرفان فقط بواجب  
 وما أتتم أهل لادنى رئاسة على من بها من زكها والأعارة<sup>١</sup>

لقد رأى صالح مجدى أن الحالة إذا بقيت كما هي فأن البلاد  
 لا بد أن تكون نهبة للجانب بل يمكن أن يانى قوم فرب يكون زمام  
 الحكومة يسدهم ويبيق الشعب مهانا ذليلا يتصرف به المستغل كيف  
 يشاء، و يقوده حيث شاء، فادا الشاعر بنبه الشعب و يعنفهم على الجهاد  
 و يذكرهم بما فيهم الفريب والبعد و يعنفهم أشودة و طينة يقول فيها:

بامتداح الصدر غروا فهى للأوطان حصن  
 وهو للإيمان ركن ولكم في الخوف أمن

في مبادين الواقفون

في الوغى انتم اسود يا بنى الأوطان سودوا  
 و لها بالروح جودوا و ادخلوا الأحباب و صيدوا  
 صيدها يوم الزعزع

و استعدوا للكافح في ماتها و الصباح  
 و اطلقوا جيش العلاح في مبادين النجاح  
 أدمعوها في المجامع

يا بنى الأوطان هبا حيموا فوق التربا  
 و اهجروا اليوم مليا و اطعنوا الصدر الآيا

و اجددوا ألف المانع

(١) ديوان صالح مجدى ص ٢٣ ، نظور الشعر العربي الحديث ص ٣٩

(٢) ديوان صالح مجدى ص ٣٩٤

قد سبق صاحب مجدى أفرانه في الشعر السياسي والاجتماعي والوطني لأنه يلقي صوته ولو خفيفاً على الحالة التي كانت تمر بها الأمة المصرية وقد نبغت في هذه المرحلة شاعرة وهي عائشة التيموريه م ١٩٠٢، انحدرت هذه الشاعرة من عناصر تركية كردية وجركسيه وتقلب أبوها في المناصب الرفيعة زماناً بين حكم محمد علي وإسماعيل، و كان يجيد التحدث والكتابة باللغات التركية والعربية والفرنسية والألمانية . درست هذه الفتاة أيضاً هذه اللغات فأتقنتها واقتربت من أساليبها فبدأت تقول الشعر وهي صغيرة . فكانت تقول الشعر بالعربية والفارسية والتركية ، امتازت هذه النابغة في رقة الأسلوب ودقة الإحساس وحال البيان ونضاعة الفكر خاصة في الغزل ، وكانت هذه الشاعرة تستطيع أن تصور المجتمع المصرى وما فيه من الفساد والانهيار وخاصة في القصر ولكنها انصرفت عن الشعر السياسي وتوجهت إلى الغزل والمدح ، فكأنـ الأنوثة المترجمة كانت ترفلت على جميع جوانب فنها وفكرها . فهي كانت تبحث معنى الحب والوداد في المرأة ، ومعنى الحياة والأنفة في الرجل ، و البهاء والبهجة في الطبيعة ، والجود والسخاء في الحاكم ، و الوفاء والطاعة في الرعية ، فما كان يرجى من شاعرة منها كانت أن تكون ثانية وخاصة عائشة التي نشأت في أحضان النعمة والترف ، وفتحت عينها بين القصور فرأيت الدنيا مملوءة بهجة ويد الكرم والمعطا تحوطها من كل جانب ، فانحصر فيها في الغزل الرقيق والمدح اللطيف ، فهي كانت تشير في القصر والعرش وتغض عن مساوئه ، وكانت هي كما قال جرير : و عين الرضا عن كل عيب كليلة : ولكن عين السخط تبدي المساوايا و كانت هي تغض بصرها عن مساوى العرش ولا ترى فيه إلا الخير ، ولكن زرى في مدحها أبضاً الحب والجمال ولو كان هذا

الحب حب الوطن و جمال البلاد وكان مولانا الخديو وهو منبع الخير  
 والشر تقول وهي تستقبل الخديو توفيق باشا<sup>١</sup> :  
 بشراك يا مصر عم الخير فاتهجهى  
 وزال ما بك من إثم و من حرج  
 وساعدتك الأمانى بعد ما امتنع  
 حيناً و خلق أمر للصلاح رجى  
 تيجان يمن الصفا اخحت تكللها  
 يد السرور بفوز دائم بهج  
 تقلد النمير الورى تولية  
 ضباوها لسوى الإصلاح لم يهج  
 لقد سرى البدر يسمى بالبشرة مذ  
 رأى السعود به في أرفع الدرج  
 هذا الخديو الذى فرت بمركبته  
 عين الزمان وقالت للهدى ابهج  
 يسوس بالعدل والإصلاح أميـه  
 و يبذل الفضل والجدوى لكل رجى  
 فالقطر يدنو إلى علائـه شفـا  
 ومصر تغديه بالأرواح والمهـج  
 سوى سعادة مصر ليس يشـله  
 غير أبواب فعل الخير لم يلـج  
 تيمـن الناس منه الخـير و اـبهـجـوا  
 واستـشـروا بعد طـولـ اليـأسـ بالـفـرجـ

(١) ديوان عائشة تيموريـة ص ١٥٦، القاهرة ١٩٥٤.

والدمر رُنِم بالبشرى يورخـه

يا مصر قد زانك التوفيق بالعلج  
إذا فرأنا القصيدة من أولها إلى آخرها لا نرى فيها أثر التكلف  
و الصنة فالكلمات تجري و تسهل و هي تحمل في طياتها الحب والإخلاص  
للحديـو ، هذا نابع من طبيعة المرأة المصرية التي شأت في أحضان  
النـعمة و البـهـجة فـكـانت تـتصـور أنـ مـصـرـ منـ أـفـصـاـهاـ إـلـىـ أـفـصـاـهاـ تـعيـشـ  
فيـ أـمـنـ وـ هـدوـهـ، وـ بـدـ العـنـاـيةـ لـلـولـانـاـ الحـدـيـوـ مـحـيـطـهـ بـالـصـغـيرـ وـ الـكـبـيرـ،  
وـ الشـعـبـ يـكـنـ لـهـ الإـجـلالـ وـ الإـكـرامـ وـ يـتـوجـهـ إـلـيـهـ بـالـدـعـاءـ وـ الـابـتهاـ،  
ماـذـاـ تـتصـورـ مـنـ اـمـرـأـ شـاعـرـةـ -ـ مـهـماـ كـانـتـ قـوـيـةـ الـبـيـانـ رـقـيـقـةـ الـلـسانـ -ـ  
قوـيـةـ تـلـفـظـ بـالـمـعـانـيـ بـدـقـةـ وـ مـهـارـةـ غـيـرـ هـذـهـ الصـورـةـ الـتـيـ فـصـيـدـتـهاـ .

في هذه المرحلة التي لم تقم سوق فيها للشعر السياسي والاجتماعي ،  
تجد النثر السياسي تقدمًا كبيراً على يد جمال الدين الأفغاني والشيخ  
محمد عبده و عبد الله نديم و على الطحطاوي و على مبارك ، فالخطب  
التي أقيمت في هذه المرحلة كانت تغور بالعاطفة الجياشة والمقالات  
التي نشرت في الجرائد والمجلات كانت ناراً ملتهبة ، فهو لاه الكتاب  
والخطباء لم يكونوا يريدون أن يقلعوا نظام الحكم المطلق بل كانوا  
 يريدون أن يقف الحديـوـ عند حدود يرسمها له القانون و الدستور ،  
ويعطي للأمة من الحرية و يقيم العدل و المساواة بينها ، ولا يميز في  
إعطاء الرتب و النياشين بين طبقة و طبقة ، بل يلغى نظام الطبقات في  
مصر و يكون كل من يعيش على أرض مصر يخلص و ينصح لها ، فالمصرية  
يكون شعاره لها يحيا و لها يموت ، من هنا انبعثت فكرة الوطنية في  
تأريخ الحياة المصرية ، فالوطنية المصرية كانت ترمز للحب والإخلاص  
و الود لمصر ، وهذه الخطب و المقالات كانت لها صدى في الجماهير ، على

كل حال بدأ باليقظة القومية والوطنية .

فالامر هنا كما تصوره الكاتبة النابغة الآنسة مى في مقالة .

أهي يقظة الفكر عند الأفراد تسهيل اليقظة القومية أم هي يقظة الجمهور و مطالبه و الاحوال المحيطة به التي تخلق الأفراد و تحبوم بالمواهب الفردية ليتكلموا بصوت الجماعة . أظن أن التغافل هنا عذر كما هو في كل أمر آخر ، فالآفراد يخلقون الجمهور ، يخلق الأفراد الجمهور لأن القوى البشرية محكمة الترابط فيما بينها فإذا انتهت إحداها فأثرت بذلك الاتجاه جميع القوى وهبت متعددة نابضة كأنها الصوت الواحد يحدث هزة في مكان الهواء فتناقله الموجات المسارعة حتى يرن في أقطاب الفلك جمعا<sup>١</sup> .

بعد أن دبت النهضة الوطنية والقومية و عرف الشعب معنى الحرية والمساواة و سمع نداء حقوق الإنسان فكان من الصعب أن يرضي هو بالوضع القائم في مصر ، كما كان من الصعب أن يصبر على الظلم والاستبداد ، و كان من الصعب أيضا أن يسكت وهو يرى أن الأيديولوجية تلعب بمصير مصر . وأن الحكماء يعيشون الفساد و ينذرون أموال الشعب ، و يفرقون بين طبقة و طبقة ، و ينظرون إلى الشعب نظرة احتقار و يلقبون المصريين بـ « الفلاح » وكانت كلية « الفلاح » يعني الجهل و الفقر و الذل و المسكنة . فكان لا بد أن تقوم ثورة وطنية منبثقة من ضمير الشعب ، وكان لا بد أن يقوم بهذه الثورة رجل يجرئ في عروفة الدم المصري و تختلج في قواده الروح المصرية المتحركة ، وقد كتب الله أن يقود هذه الثورة عربي باشا ولد فلاحا و نشأ فقيرا ، و دخل في الجيش بجندى ،

(١) مقدمة ديوان عائشة التيمورية ص ٤٤ .

ترقى في الجيش بمواهبه رغم الحُسْنَات . فاختلط بالشعب من جهة و بالجيش من جهة أخرى : و مارس الظلم و العداوة ، و رأى الفلاح أنه ينتفع ولكنه لا يجد ما يأكل ، و يزرع القطن ولكنها محروم من اللباس . و رأى العامل و الصانع يقضى النهار عاملاً و لكنه يعيش في الكوخ الذي تحيطه الأقدار ، و رأى الجندي الذي يحفظ الحدود لا يجد ما يستحق ، فبدأ يدافع عن حقوق هؤلاء بامان و حاس ، متضوراً بأنه يعبر عن آمال الشعب وأمانيه . نجد في حركة عرابي باشا عنصرين :

١ - عنصر الوطنية و القومية

٢ - عنصر العدل و المساواة

هب الشعب من أوله إلى آخره يدافع عن كيانه ، ويسير مع زعيمه و قائد ، و كان الخطباء و الكتاب و الشعراء لهم يد طولى في إثارة العواطف فهم كانوا يدعون الناس إلى الوحدة و الجهاد و الثبات ، وقد قدر الله لهذه الثورة أن يكون من أنصارها و دعاتها رجل أعطاء الله لساناً قوياً . و بياناً فصيحاً ، و قوة نادرة للقربيض ، و سيفاً تبارا على العدو ، وهو سامي البارودي (م ١٩٠٤) الذي يقول عنه العلامة خلف الله :

عاش البارودي أواخر النصف الأول من ذلك القرن (التاسع عشر) إلى أوائل القرن الحاضر ، أدرك البارودي وهو صغير نهاية المرحلة الأولى من النهضة ثم عاصر المد والجزر في الحياة المصرية . طوال النصف الثاني من القرن التاسع عشر و شاهد الازدهار العمراني و الثقافى الذى حققه مصر في تلك المرحلة و شارك في المجد العربي الذى وصله إليه و خاض معارك (كريت) و (البلقان)

و (القرم) و قام بنصيب في الأحداث التي أدت إلى الثورة العرائية . ولعب دورا فيها وأصابه ما أصاب زعماءها من نقى طويل ، و سمح له بالعودة في خاتمة القرن فعاد شيخا مهدماً قضى في أحضان الوطن أربعة أعوام ثم أدركته ميتة ١٣٢١ / ١٩٠٤ .

إذن فقد كانت المرحلة التي عاش فيها البارودى مرحلة حافلة بالأحداث القومية ولم يكن هو بمعرض عن هذه الأحداث ولتكن كان منها في الصميم ، تأثر بها وأثر فيها وقام بدور في توجيهها و تصريفها . وقد نشأ البارودى منذ حداثته نشأة طابعها الطموح و قوة الإرادة و بعد اهم و الاعتزاز بالنفس و بالحسب الموروث . و تربى التربية العسكرية التي كان أمثاله من أبناء طبقته و يئسوا يتهدون بها ، و تدرج في مناصبها و سافر في بعض منها إلى (أوروبا) و قاد الكتاب في المعارك و استحق على بطولة فيها إعجابا و تقديرا ، و شغل من كبار مناصب الدولة منصب الوزارة و رئاستها ، و إذن فقد اجتمع للبارودى إلى جانب البيئة المتحركة قوة الشخصية و عراقة الحسب و ظروف التربية العسكرية و أهمية المكانة في الحياةين المدنية و السياسية . ولكن الجانب الذى يعنينا أكثر في موضوعنا الحاضر هو جانب الأدب و الثقافة من شخصية البارودى فقد أوى طبيعة قاته و نفسها شاعرة تميخت بواكييرها منذ حداثته ففاض بالشعر كما يشدو الطير على فنه . و اتجه بفطنته إلى الشعر العربى الأصيل ينهل من حياته فى (ديوان الحاسة) لابى تمام و من دواوين خول الشعراه العباسين و لا سيما الامراء و الفرسان منهم كابن المعز و الشريف الرضى و ابى نواس . و جعل من دأبه البحث من تلك الدواوين و على الاخص من مكتبات الآستانة فى المدة التي قضىها هناك و نسخ ما يستطيع من مخطوطاتها

و إدمان قراءتها و حفظ ما يستطيع حفظه منها . وبذلك عذبت قرينته منذ نظرته على روائع الشعر العربي السكلاسيكي و عاش في صحبة الشعراء من شعرائها و غنيت ذخيره خياله الغنـى لـكـل رـاـقـعـ مـعـجـبـ منـ الصـورـ وـ الـاسـالـيـبـ ، حتى أـصـبـحـ كـلـ ذـلـكـ جـزـءـاـ مـنـ ثـرـوـتـهـ اللـغـوـيـةـ وـ الـأـدـيـةـ وـ حـتـىـ أـصـبـحـتـ الـقـدـرـةـ عـلـىـ التـبـيـرـ الـأـصـيـلـ طـبـيـعـةـ فـيـهـ وـ قـدـ ضـمـ إـلـىـ هـذـهـ الثـقـافـةـ فـيـ اللـغـةـ الـعـرـبـيـةـ وـ التـرـكـيـةـ وـ الـقـارـسـيـةـ جـرـيـاـ عـلـىـ مـالـوـفـ الثـقـافـةـ الـاـرـسـتـقـراـطـيـةـ فـيـ مـصـرـ فـيـ أـيـامـهـ ثـمـ أـضـافـ إـلـىـ ذـلـكـ وـ هوـ فـيـ مـنـفـاهـ قـدـرـاـ مـنـ اللـغـةـ الـإـنـجـلـيـزـيـةـ . وـ قـرـبـهـ أـدـبـهـ وـ ثـقـافـهـ إـلـىـ بـعـضـ زـعـمـاءـ الـفـكـرـ وـ الـثـقـافـةـ الـمـعـاصـرـيـنـ لـهـ مـنـ أـمـثـالـ الشـيـخـ مـحـمـدـ عـبـدـهـ وـ الشـيـخـ حـسـينـ المـصـفـيـ .<sup>١)</sup>

نظر البارودي إلى الحياة الاجتماعية والسياسية نظرة فيها عمق وبحث . فخاول أن يصور كل ما يرى ويسمع تصويراً بارعاً . وقد نجح في ذلك كل النجاح في قصيدة يصور الحالة الاجتماعية الفلقة يقول :

تُنكرت مصر بعد العرف و اضطربت

فـوـاعـدـ الـمـلـكـ حـتـىـ رـيـعـ طـاـرـهـ  
فـأـهـمـ الـأـرـضـ جـرـ الـظـلـمـ حـارـنـهاـ  
وـ اـسـتـرـجـعـ الـمـالـ خـوفـ الـعـدـمـ تـاجـرـهـ  
وـ اـسـتـحـكـ الـهـوـلـ حـتـىـ مـاـ يـبـيـتـ قـىـ  
فـيـ جـوـشـ الـلـيـلـ إـلـاـ وـ هـوـ سـاـهـرـهـ  
وـ يـلـمـ سـكـنـاـ لـوـلـاـ الرـفـيقـ بـهـ  
مـنـ الـمـأـزـ مـاـ كـنـاـ نـحـاذـرـهـ

(١) معالم التطور الحديث في اللغة العربية و أدابها ص ٩٩ - ١٠١ .

أرض به غير مغبوط بنعمته  
 وفي سواه الملىء لون لا عشاره  
 يا قس لا تجزعنى فالخير متظر  
 وصاحب الصبر لا نبلى مراره  
 لعل بلحنة نور يستضاء بها  
 بعد الظلام الذى عممت دياجره  
 إنى أرى أنفاسا ضاقت بما حملت  
 وسوف يشهر حد السيف شاهره  
 شهران أو بعض شهر فانهى احتملت  
 وفي الجدددين ما تغنى فواقره  
 فان أصبحت فمن رأى ملكت به  
 علم الغيب ورأى المرء ناظره<sup>١</sup>

يصور البارودي في هذه القصيدة صورة الفلاح المصري لما ذا  
 هو أهل أرضه كايصور الناجر كيف يخاف هو على ماله وتجارته .  
 ثم يصور الناس كيف يعيشون في بلادهم في حالة فلقة مصنطربة  
 فكان على رأس كل واحد جاسوس موكل وهو يعيش كالطاراز  
 المخذل الذي لا يقرر له قرار ولا يهدأ له بال . فإذا كان المجتمع هكذا  
 فلا بد أن تندلع فيها نار الثورة ، حينئذ لا تطفأ نارها ، وكل واحد  
 يخرج من بيته وهو يحمل سلاحه بل يسدده نحو العدو المشترك ، يقول  
 في قصيدة أخرى : إن الناس قد صافوا ذرعا بظلم الحكماء وجورهم ،  
 وان عامة الناس بدأوا يحسون أن الحكماء قد أصبحوا ثقلا و كلا على

(١) ديوان البارودي (٢ : ١١٣ - ١١٤) .

الناس ولن يهدأ لهم بال ولا يقر لهم قرار حتى يطهروا الأرض من  
هؤلاء أو يجنوا عن قائد جديد أو حاكم جديد يقيم العدل بين الناس ويصلح  
الأحوال المضطربة ولا يصلح له إلا رجل يكون من صهيون مصر - يقول:

ولكتنا غرض للشر في زمن  
أهمل العقول به في طاعة الخلل  
قامت به رجال السوء طائفنة  
أدهى على النفس من فوس على شكل  
ذلت بهم مصر بعد العز واضطررت  
قواعد الملك حتى ظل في خلل  
اصبحت دولة الفساد خاضعة  
بعد الإباء وكانت زهرة الدول  
فوم إذا بهـــرونـــي مـــقـــبـــلا وجـــوـــا  
غـــيـــطا وـــأـــكـــيـــادـــهـــمـــ تـــقـــدـــ منـــ وـــغـــلـــ  
بنـــســـ العـــشـــيرـــ وـــبـــئـــســـتـــ مصرـــ مـــنـــ بـــلـــدـــ  
أـــخـــتـــ منـــاخـــا لـــأـــهـــلـــ الزـــورـــ وـــالـــخـــطلـــ  
أـــرـــضـــ نـــأـــلـــ فـــيـــهاـــ الـــظـــلـــ وـــانـــقـــذـــتـــ  
صـــوـــاعـــقـــ الغـــدرـــ بـــيـــنـــ الســـهـــلـــ وـــالـــجـــبـــلـــ  
فـــلـــدـــراـــ أـــرـــمـــكـــ شـــهـــماـــ أـــخـــاـــ ثـــقـــةـــ  
يـــكـــونـــ رـــدـــاءـــ لـــكـــمـــ فـــيـــ الحـــادـــثـــ الجـــلـــلـــ  
وـــطـــالـــبـــاـــ بـــحـــقـــوقـــ أـــصـــبـــحـــ غـــرـــضاـــ  
لـــكـــلـــ مـــنـــتـــزـــعـــ ســـهـــماـــ وـــمـــخـــتـــلـــ  
وـــلـــاـــ تـــخـــافـــواـــ نـــكـــالـــاـــ فـــيـــ مـــنـــشـــئـــكـــ

فـــالـــلـــحـــوتـــ فـــيـــ الـــيـــمـــ لـــاـــ يـــخـــشـــيـــ مـــنـــ الـــبـــلـــلـــ

لا تتركوا او يسد و اليقين اسكم  
فالمجد مفتاح باب المطلب العضل  
حتى تعود سماه الامن ضاحية  
ويرفل العدل في صاف من الحال<sup>١</sup>

فأيام الخديو توفيق قد اشتدت الأزمة المالية لأن الأجانب  
قد تغللوا في شعب الحياة كلها وركزوا جهودهم على السيطرة  
الاقتصادية، قد بحروا في ذلك فم الجوع والفقر واحتلت نظم  
الحياة، فبه الشاعر الناس إلى الوضع المؤسف وحثهم على النظام  
و النضال و النضجية في سبيل الوطن .

يا قوم هبوا إنما العمر فرصة وفي الدهر طرق جة ومنافع  
أرى رؤسا قد أبانت لصادها فain ولا أين السيف القواطع<sup>٢</sup>  
اقبس البارودي هذه الأفكار من الغرب كما اقتبس من  
الشرق - عرف النظم الجديدة في أوروبا كما رأى النظم المختلفة المضطربة  
في الشرق . رأى الديمقراطية في الغرب . فتأثر بها بل بدأ يدعو  
الناس إلى هذه التي تقوم على الجمهورية و الديمقراطية - و أن الناس لن  
 تستقيم حياتهم إلا أن تقوم فيهم حكومة يشارك الناس في توجيهها  
 و تصريفها يقول :

حلبت أشطر هذا العمر تجربة وذقت ما فيه من صاب ومن عسل  
فا وجدت على الأيام باقية أشهى على النفس من حرية العمل<sup>٣</sup>

(١) ديوان البارودي : (٣٠٠) مقدمة صفحه ق .

(٢) المصدر السابق : (٢١٨٧) .

(٣) المصدر السابق : (٣٢٠) .

يقول في قصيدة أخرى: إن البلاد منها تقدمت اقتصاديا -  
و اتسعت رقعتها و مساحتها و زاد عدد سكانها و هي لا تستقر سياسيا  
إلا إذا أتيحت الحرية للأفراد حتى ينقدوا الأوضاع الفاسدة و يراقبوا  
الآراء و الحكماء مراقبة تامة . و هذا لا يمكن إلا أن تقوم الدولة على  
أساس الدستور و القانون و يمارس الناس الحياة النيابية البرلمانية .  
أمران ما اجتمعا لفائدة أمة إلا جنى بهما نمار السودد  
جمع يكون الأمر فيما بينهم شوري و جند للعدو بمصر  
هيئات يحمي الملك دون مشورة و يعز ركن المجد ما لم يعمد  
فالسيف لا يمضى بدون رؤية و الرأى لا يمضى بغير مهند<sup>١</sup>  
كان البارودي في هذه الفصيدة يأخذ يد الناس إلى طريق  
التقدم والنهضة ويصر أن الزعامة الحقيقة لا تكون إلا ان تسادها  
الأمة - وأنية زعامة وأنية قيادة و الحرية مفقودة في حياة الناس  
إذا كان الزعيم أو القائد معززا من قبل شعبه فهو يقودهم قيادة  
سليمة و ينير لهم الطريق و يهد لهم السبيل و يكون لهم سندا و يكونون  
له معلقا و حصنا . و كانت هذه الأفكار جديدة في الشعراء العربي،  
فالبارودي هو أول شاعر تمكّن بنقل هذه الأفكار وهذه الاتجاهات  
السياسية المعاصرة ، كان هو مخلصا لقومه و وطنه وكان مستعدا أن يضحي  
في سبيل أبناء وطنه بروحه و دمه . و كان يتمنى من قومه أن يقوموا  
معه صفا واحدا بل يكونوا له كالبنيان المرصوص .

الذى يدرس الأوضاع الى كانت فى هذه الفترة يلمس تماما أن  
التزاع كان مستمرا بين الشعب و الحكماء و كانت البلاد تمتحن بفتنة  
واسعة النطاق . الفتنة أو الثورة إذا نبتت من أعماق الشعب فلا يمكن

(١) ديوان البارودي : (١٤٦ : ١) .

أن يضطر إليها كما لا يمكن للزعماء والقادة أنفسهم أن يحولوا دون الوقوع بها، كما لا يمكن أن يوقفوا الشعب حينئذ عند حدوده. كان البارودي يرى بعيته ويسمع بأذنيه ما يجري في الناس وما كان الناس يتهمون ويتناجون فهو قد تنبأ بهذه الثورة الدامية، وأخيراً انضم إليها وأصبح من وعاتها وأنصارها. حاول البارودي في أول الأمر أن يصلح الأمور ولكنه رأى أن الحكم قد تجاوزوا الحدود والقيود واستمر تمردهم وعنادهم حيث لا يعرفون القانون ولا الدستور ويركرون أمان الشعب، حينئذ تحمس للثورة وأصبح من أواعان عرائى باشا. كان عرائب في تلك الأيام أمل الأمة المصرية وحلها، لذلك اشترك في الثورة جميع طبقات الشعب من كل أجناس وأديان لم تز مصر في تاريخها الحديث ثورة شعبية أكبر من هذه ولم تكن هذه الثورة طفرة بدون خطة مرسومة، بل كانت مرسومة مخططة مدبرة تم عن الوعي العام والبفظة الشعبية. لقد كشفت هذه الثورة عن قناع محمد على وأمراته وما دبروا ضد المصريين وكيف نصبووا المجال لهم حتى يقروا دائمًا منحطين فـ«ذكرها و ثقافها و اجتماعها» وإنما كانوا يريدون أن تتفق و تتعلم الأمة المصرية لتكون آلة للعمل والإنتاج ولخدمتهم، فإذا كان من أيادي محمد على أنه قد ربط مصر من أفصاها إلى أفصاها و حفر القنوات، و مهد الطرق، و رفع مستوى التعليم، في نفس الوقت كانت المساوى التي ارتكبها أكبر بكثير من تلك المحسن و الأيادى لأنه حاول أن يحطم نفسية المصريين و يجعلهم عبيداً عاملين و يخلق في مصر طبقتين متغائرتين : المصرية والجركية الزركية، بهذه الخطة الخاطئة حاول أن يحكم مصر وقد قضى أيامه بنجاح و توفيق ولكن حين انتبه الشعب و عرف الدسائس فانقلب رأساً

على عقب ثائرًا على الأوضاع . ثائرًا على الحكام ، ثائرًا على أمراء محمد على ، وكان على حق ، فاشتعلت الثورة - خرج العلامة من مدارسهم وخرج الشيوخ من محاباتهم ، وخرج التجار من متاجرهم وخرج الفلاح من حقله وقريته ، وخرج العمال من المصانع يهتفون بجاهة عربي وزعماء الثورة ، وخرج الجندي المصري حاملاً الأعلام والألوية وهي ترمز بتأييد الثورة .

وكان الخطباء يخطبون في المحافل ، وكان الكتاب يكتبون في الجرائد ، إذا درسنا روح الثورة دراسة عميقة تبين لنا أن الثورة قد بذر بدورها المصلح الثائر جمال الدين الأفغاني ، وربماها وسقاها الشيخ محمد عبده ، وحققتها طبقها عربي باشا وأنصاره من الجيش والمدنيين ، قد اشترك محمد عبده بنفسه في هذه الثورة وإن كان يريد أن تكون الثورة هادئة ولا تقلب بالفتنة التي لا يتنقى ولا تذر ، ولكنه لم يستطع في تلك المرحلة أن يمسك زمام الثورة لأنها قد تفلت وانتقل إلى رجال الجيش الذين كانوا ناراً حامية ضد الخديروضد أعدائهم من المصريين والأجانب ، ولم يكن لأحد أن يتكلم أو يتحدث حديث الأمان والهدوء بل كان كل واحد يتحدث حديث النار ولغة الدم .

يصور الشيخ محمد عبده الثورة بهذه الكلمات<sup>١</sup> رأيت الناس من الفلاحين والبدو ذاهبين إلى الحرب برضام و اختيارهم وهم متشوّدون لمقاتلة الإنكليز ، وقد شمل هذا الحاس الاقباط ، وكان يشجعهم على ذلك رؤساؤهم ، وكان شبان القاهزة يمرحون في المدينة ليلاً يهتفون بمدح عربى وفي أي اجتماع ذكرت كان الناس يدعون الله طالبين النصر لجيوبشنا .

يقول في موضع آخر عن الثورة نفسها :

(١) السيد رشيد رضا تاريخ الأستاذ الإمام (٢٤٧: ١) القاهرة ، ١٩٣١.

هل يقدر أحد أن يشك في كون جهادنا وطنياً صرفاً بعد أن أزره رجال من جميع الأجناس والأديان، فكان يتألّب المسلمين والإسرائيليون لنجدته بحماس غريب وبكل ما أوتوه من حول وقوة لاعتقادهم أنها حرب بين المصريين والإنجليز، طرق العلماء يقرؤون البخاري في الأزهر ومسجد سيدنا الحسين يدعون بالنصر لعساكر عربي والهزيمة للإنجليز، وكان الشيخ الصالح العالم الأبياري في طيبة المتباهين غيرة وطنية نشر قصيدة إبراهيم دربدي في غارة التار على بغداد في أيام الخليفة العباسى المعتصم.

لقد خاض عربى باشا معركتين في وقت واحد : الداخليّة والخارجية ، فالمعركة الداخلية هي كانت ضد الظلم والعدوان وضد الغوضى والانانية وضد الخديو وأعوانه . أما المعركة الخارجية فهي كانت ضد السيطرة الأجنبية المتمثّلة بالاستعمار الإنكليزي الذي كان يتربص الفرصة من مدة . فكان من الصعب لعربى أن يتغلب في المعركتين أو أن يفوز في هاتين المعركتين فاتّقلبت الثورة بالفتنة فدخلت القوات الأجنبية الإنجليزية متّدخلة في مصر و الشركات الأجنبية . كافح الشعب و جاهد و لكن قلت المعونة و نفت الأسلحة ، انهزم الشعب ، فنكلت القوات الأجنبية بالمجاهدين الوطنيين ، و هكذا تنتهي صفحة من صفحات التاريخ المصرى السياسى و تبدأ صفحة جديدة بصورة مدهشة . فشل عربى و أنصاره في هذه الثورة و لكن لم يكن هذا الفشل إلا فشلاً ظاهرياً . حركت هذه الثورة نفوس المصريين و خلقت فيهم قومية و ثبات فيهم روحًا وطنية متحركة جياشة و دفعتهم إلى الإمام ليسلحوه من جديد ليستعدوا لمعركة طوبلة ، فقد كانت هذه المعركة

نقطة من جهة حيث وجد الاستعمار سبلاً للاستيلاء على مصر ولكن كانت نعمة من جهة أخرى حيث تنبأ المصريون وعرفوا عدوم من صديقهم ومخلاصهم من خاتتهم، لا زيد أن نقول شيئاً عن أسباب فشل هذه الثورة القومية لأن كل مؤرخ وباحث له رأى في ذلك، ولكننا نزيد أن نقول: إن هذه الثورة كانت ثورة وطنية شعبية، كانت خاتمة عهد من جهة وبداية عهد من جهة أخرى. إن هذه الثورة كانت سلسلة من الحركة التي قام بدعوتها ونشرها جمال الدين الأفغاني: وأن هذه السلسلة بقيت بعد فشل الثورة أيضاً، فالحركة القومية لا تفتر وإن هي تختفي أحياناً، يقول الشیخ محمد عبد العزیز عن الحركة الفکریة التي قام بها الشیخ جمال الدين الأفغاني<sup>١</sup>:

هذه كانت شدائند مهلكة وظلمات حالكة، يصل فيها الرشيد ويتعثر فيها العزم الشديد، ولكن كان يلوح من خلالها ضياء لو كمل ظهوره وانتشر نوره لافتدى به الضال وحسن به الحال، ذلك أن أهال مصر قبل ١٢٩٣ هـ كانوا نروتهم العامة والخاصة ملكاً لحاكمهم الأعلى، ومن يقتابه عنه في تدبير أمورهم يتصرف فيها حسب إرادته، ويعتقدون أن سعادتهم وشفاهم موكلان في امامته وعدله أو خياله وظلمه. ولا يرى أحد منهم لنفسه رأياً يتحقق له أن يديه في إرادة بلاده أو إرادة يتقدم بها إلى عمل من الأعمال يرى فيه صلاحاً لأمته، ولا يعلمون من علاقة بينهم وبين الحكومة سوى أنهم محكومون مصروفون فيما تكلفهم الحكومة أو تضرر به عليهم، وكانت في غاية البعد

(١) تاريخ الاستاذ الإمام (١/٣٦).

عن معرفة مذوليه الآلام الأخرى ٽواه كاتب إسلامية أرماندو رفيف.  
وأيام كثيرة من ذهب إلى الوراء نحو تعلم فيهم ما من عهد محمد عليه باهنا  
الكبير إلى ذلك التاريخ الذي ذكرناه وذهب العدد الكبير منهم  
إلى ما جاورهم من البلاد الإسلامية أيام محمد عليه الكبير وابراهيم باشا  
لهم يشير الأهالي بشهادة من نمراته ولا فوائد تلك المعارف التي ما كسبت بها،  
لقد كتب الاستاذ الإمام محمد عبد الله كثيراً في مسابقة الثورة  
للعناية، وأخيراً هاجم عراق باشا بطرف خفي قائلًا بأنه متهرور  
ويهتطرف، لا زير له نفع على رأي الإمام محمد عبد الله لأنه هاجم  
عواقب باشامه، فمرة حاربه فيها أنصاره صالح الخديو وبصالح الإنجليز،  
لأنه وأى بيان السياسة الضيقه المتطرفة لا تنفع في هذه الفتنة على كل  
حال، الإيجاب إلى ذكرها الشيخ هذه الثورة هي بيان الثورة كان لا بد  
منهلاً في لو قادها شخص آخر غير عراقي.

.. ثم يق بسؤال زماذا كان عراقي وأنصاره يريدون بهذه الثورة؟  
فالمقالات التي ظهرت والخطب التي أقيمت في هذه المرحلة الحاسمة  
هي كلها تدل بذلك عراقي باشا، وأنصاره كانوا يريدون أن تقوم في مصر  
حكومة برلمانية، حيث يمارس الشعب رايته وحقه، لم يكن عراقي  
ولا أنصاره يريدون أن تقضي الثورة على الخديو أو ينتهي من مصر  
حكم امرأة محمد على، أو تقطع صلة مصر بالدولة العثمانية، يمكن أن  
نستشف بهذه الفكرة من الجواب الذي جرى بين عراقي وبين الخديو  
توفيق والسفير البريطاني في قصر عابدين. قال عراقي باشا بكل صراحة؛  
إنني هنا أمثل الجيش المصري، والجيش المصري يمثل أمان الشعب وأحلامه،  
فكأنني هنا أمثل الشعب والأمة، بصفتي ممثل الشعب يحق لي أن أقول بأن

الزمان قد مضى حينما كان الملك أو السلطان يفعل ما يريد، وإنما نحن في زمان الشعب، هو كل شيء ولا يمكن حاكم منها كلام قوي ولا سلطان لها، كان متجرها بأن يهمل إرادة الشعب ويحطم أماني الأمة، وإنما كمثل الأمة أقول لجنابكم بأن الأمة إذا رأت بأن حدث المفاهيم وصلح لم يحل الأمير فإنها ستستعمل في نهاية الأمر لعنة النار والدم وتصبح في سبيل حقوقها بكل غال وريخيص<sup>١</sup>.

قد فشلت الثورة، كما قلنا فلا بد أن تسبب هذه المجزية القومية أزمة نفسية تشمل العام والخاص، لأن المجزية دأبها تتبع الخرف والدهشة والقلق والإضطراب وأحياناً الفوضى والإنهيار الخلق، ولو كانت هذه الأزمة طارئة ومرفقة ولكنها لا بد أن تحدث، وخاصة الأمم التي لم تضج فيها الأفكار السياسية والاجتماعية بل تكون فيها السياسة تدور حول الحاس، حدث هذا فعلاً في مصر، نرى الزعماء قد تفرقوا و اختلقو بل نسخروا أيضاً، و جعل بعضهم يطعن ببعضه و بدأوا يقدمون الإعذار وهنا وجد انصار الخديو توفيق ليطلقوا عليهم على عراقي و أناصراء و يرمونه بالخيانة و الغدر بل يرمونه بالتفاق و الكفر هنا يجد البارودي بقى يدافع عن نفسه وعن عراقي، يقول بأن الشهامة والمرءة شيء، فالخيانة والذلة شيء آخر، فشيمة الحر هي أن يبق على رأيه و يثبت على إرادته لا يتحقق ولا يخضع أمام سلطان أو جنرال، و المخيانة و الغدر تحملت شيمته الآخراء، الأوصي لهم

(١) عبد الرحمن الرافعي: ثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي من

وَبِدِينِهِمْ يَقُولُ :

الَا اَبِهَا الرَّارِئِ عَنْ بَعْهُلَهُ . وَ لَمْ يَدْرِ اَنِي دَرْةٌ فِي الْمَفَارِقِ  
 تَعْزَّزَ عَنْ اَنْلِبِسَاهُ بِاللَّوْمِ وَ بِاَعْنَوْلِ فَانَ الْعَلَامِيْسَهُ بِلَغَوِ الْمَسَاطِنِ  
 فَا، اَنَا مِنْ تَقْبِيلِ الْلَّصِيمِ نَفْسِهِ ذِبْرَضِيْنَ مَا يَرْضِي بِهِ كُلُّ مَائِقِ  
 اَذَا، الْمَرْءُ لَمْ يَنْهُضْ لِمَا فِيهِ بَحْرَدَهُ فَضْيِ وَ هُوَ كُلُّ فِي خَدْرِ الْعَوَانِقِ  
 وَ اَلِيْهِ بِحِيَاةِ لَامِرِيْنِ يَانِ تَكْلُوتِ لَهُ الْحَالِ، لَمْ يَعْمَدْ بِخَبُورِ الْمَسَاطِنِ  
 فَا، قَدْفَاتِ العَزِيزِ إِلَى لَمَاحِدَهُ بِذَا هِمْ جَلِيزَهُ، كُلُّ بَخَاتِقِ  
 يَقُولُ اَقْسِ اِبْرَى، بَرَتْ خَالِمَا وَ لِكَبِيْنِيْ دَادِيْتِ الْمَدِيلِ طَالِيْا  
 اَمْرَتْ بِعَمْرَوْفِ، وَ اَنْكَرَتْ مَنْكِرَا  
 فَانَ كَانَ عَصِيَانِيْ قَبَاعِيْ فَانِي رَهْلِ دُعْوَهُ، الشُّورِيْنِ عَلَى غَصَاضَهُ  
 بَلِيْ اِنْهَا فَرَضَ مِنَ اللَّهِ وَ اِجْبَعَ عَلَى كُلِّ حَيٍّ مِنْ مَسْوَقِ وَ سَاقِ  
 وَ كَيْفَ يَكُونُ الْمَرْءُ جَرَا مَهْدِيَا فَانَ نَافِقَ الْأَفْوَامَ فِي الدِّينِ غَدْرَهُ فَانِي  
 لَمْ يَتَبَرَّا الْبَارُودِيِّ مِنَ الثُّورَةِ كَمَا تَرَأَ كَثِيرٌ مِنْ زَمَلَانِهِ وَ أَهْصَارِهِ  
 ثُلُّ ثَقِيْ بِبَرَرِ مَوْفَعِهِ بِكُلِّ شَجَاءَهُ وَ شَهَادَهُ، وَ فِي هَذِهِ الْمَرْجَلَةِ الْحَرْجَةِ  
 يَحَاوِلُ اَنْ يَصُورَ نَفْسِيَّةَ الشَّعْبِ الْمَاهِزِمِ وَ الْمَجَتِّمِ الْفَلَقِ، وَ كَانَ يَحَاوِلُ  
 اَبْهَا اَنْ يَرْفَعَ شَانَ الْاَحْرَارِ الَّذِينَ يَقْضُونَ يَجِانِهِمْ فِي ظَلَانِ السَّجْنِ  
 اَوْ جَاهَ اَنْفَرَهُ فِي الْمَنْقِ، وَ كَانَ يَصُورَ اَبْهَا نَفْسِيَّةَ اَنَّاسِ سَلْبِ اللَّهِ  
 دِينِهِمْ وَ حَبْتِهِمْ، فَآمَنُوا بِدِينِ التَّمْلِقِ وَ التَّفَرِّبِ، فَهَذِهِ الْطَّبَقَةُ دَائِمًا

فيتشوق إلى الأماء والحكام يخدمون في حورم وظلمهم بل تقلب  
هؤلائهم السحب فهذه الطبقة كانت دائمًا مفتاحاً لاستعمارين، ووسمة  
في جبين المجتمع الإنساني في كل زمان ومكان، يقول البارودي في غن  
هولاء، الذين يرمونه وأنصاره بالخيانة والتهاون<sup>١</sup>:

فَتَلَمْ نَسِيَ فِي دِبَاجِيرِ مُحْكَمَةٍ بِضَيقِهَا عَنْ صِحَّةِ السِيفِ عَمْدَهِ  
إِذَا طَلَرَهُ لَمْ يَدْفَعْ يَدَ الْجُوْنِ إِنْ سَطَتْ عَلَيْهِ فَلَا يَأْسَ إِذَا جَنَاعَ بَجْدَهِ  
وَعَنْ هَذِلِ بَحْرِ الْمَوْتِ كَانَتْ حَيَاتَهُ  
وَأَقْتَلَ دَاهِ رَقِبَةَ الْعَيْنِ طَلَما  
عَلَامَ يَعِيشُ الْمَرْءُ فِي الدَّهْرِ خَامِلاً  
يُوْحِي الصَّفِيرَمِ يَفْشَاهُ فِلَنْدَ وَقَعَهُ  
إِذَا الْمَرْءُ لَاقَ السَّبِيلَ ثُمَّ لَمْ يَعْجِ  
عَفَاهُ عَلَى الدِّنَيَا إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعْشِ  
قد أعطى البارودي صورة صادقة عن نفسية الشعب المصري

كما عبر تعبيراً جيلاً عما كان يختلج في نفسه من معانٍ سامية وأفكار  
علية، وعواطف جاشية، وأمانٍ ممولة، نستطيع بأن نرى المجتمع المصري  
في هذه الآيات كما يرى الناس صورهم في المرأة، وهذه ميزة الشاعر  
الحي الحالى، الذى ينبع شعره من أعماق نفسه، أما إذا كان الشعر يدور  
حول مظاهر المخداعة أو التملق والرياء فهو نظم وقافية، وشأن بين  
النظم والشعر، فالبارودي نفسه يقول: لا بد للشعر أن يجري فطرة وجلة،  
ويعبر عن فكر ومعانٍ، وينبع عن روح صافية و فكرة مركبة يقول<sup>٢</sup>:  
أقول بطبع لست أحتاج بعده إلى المنهل المطردق والمنهج الوعر

(١) ديوان البارودى (١١٦: ١١٦ - ١١٧: ٠٠) (٢) ديوان البارودى (٢: ١٦)

ولى من جنان إن عزت ومقولى سراج وغضب ذا يضى وذا يغرى  
إذا جاش طبعى فاض بالدر منطق ولا عجب فالدر ينشأ في البحر  
تدبر مقامى إن جهلت خلائقى لترقى فالسيف يعرف بالآخر  
ولا تعجبن من منطق إن تأرجت به كل ارض فهو ريحانة العصر  
سيذكرنى بالشعر من لم يلاقنى وذكر الفتى بعد الممات من العمر  
نفى البارودى كما نفى كثير من زملائه من زعماء الثورة ، وقد طال  
فارق أهله فى المنفى فوهن عظمه وخارت قواه واشتد به المرض فهنا زرى  
البارودى يتغير شيئاً فشيئاً فجعل يحن إلى الوطن فيذكر النيل والروضة ،  
فعلت الأمانى والأحلام تلعب بعقله وقلبه فكأنه يتودد إلى  
الحاكم خاصة الخديو ليسمح له بالعودة ويعفو عنه ليقضى آخر حياته  
بين الأحباب والاصدقاء ، بين الأهل والأولاد ، ويقضى آخر لحظة من  
حياته في أرض هي ملجاً أحلامه وفردوس أمانه حيث قال عنها :  
أبابيل مرأى العين أم هذه مصر إنى أرى فيها عيوناً هي السحر  
وفي آخر العمر تنزلزل العظام والهمم فإذا البارودى القوى الشهم يندم  
على الماضي ويأسف على اشتراكه في الثورة ويقول ليته تجنب الثورة  
وابعد عن السياسة يقول<sup>١</sup> :

فيا لينى راجعت حلى ولم أكن زعيمها وعاشقنى لذاك الوائىق  
ويالىنى أصبحت في رأس شاهق ولم أر ما آلت إليـ، والوثائق  
هم عرضونى للفنا ثم أعرضوا سراعاً ولم يطرق من الشر طارق  
وقد أقسموا أن لا يزولوا فما بدا سناً الفجر إلا ونساء طوالق  
مضوا غير معذورين لا النقع ساطع ولا يضى في أيدي السهام دوالق

(١) ديوان البارودى (٢٠٠-٢٠١) .

ولكن دعتهم نباءة فترقو  
فكـم آبق تلقاء من غير طارد  
إذا أبصروا شخصا يقولون جحفل  
اسود لدى الآيات بين نسائمـ وـلكـنـهمـ عندـ المـيـاجـ نـفـاقـ  
إذاـ المرـهـ لمـ يـنهـضـ بـقـائـمـ سـيفـ فـيـالـيـتـ شـعـرـىـ كـيـفـ تـحـمـىـ الـحـفـاقـ  
كانـ الـبـارـوـدـىـ فـيـ الـنـفـ يـتـلـقـ الـأـخـارـ وـ الـأـبـاهـ عـنـ وـطـنـهـ كـاـ كـانـ يـسـمعـ  
ماـ حـدـثـ بـيـنـ صـفـوفـ الـزـعـمـاءـ مـنـ شـفـاقـ وـ اـفـرـاقـ ،ـ مـنـ جـنـ وـ وـهـ ،ـ  
فيـزـدـادـ أـسـفـهـ وـ حـزـنـهـ عـلـيـ الـمـاضـيـ فـيـلـومـ نـفـسـهـ كـاـ يـلـومـ زـمـلـاـهـ قـاتـلاـ<sup>١</sup> :ـ  
صـبـرـتـ عـلـيـ رـيـبـ هـذـاـ الزـمـانـ وـ لـوـلـاـ المـعـاذـرـ لـمـ أـصـبـرـ  
فـلـاـ نـحـسـبـنـ جـهـلـتـ الصـوابـ وـ لـكـنـ هـمـمـتـ فـلـمـ أـفـدـرـ  
ثـنـتـ غـرـمـيـ ثـورـةـ الـمـفـسـدـينـ وـ غـلـتـ يـدـيـ فـتـرـ الـعـسـكـرـ  
وـ كـنـاـ جـمـيعـاـ فـلـمـ وـقـتـ صـبـرـتـ وـ غـادـرـيـ مـعـشـرـيـ  
وـ لـوـ أـنـيـ لـمـ اـعـنـاـقـهـ مـلـمـ اـفـلـتـ مـقـالـةـ مـسـتـبـصـرـ  
وـ لـكـنـ حـيـنـ جـدـ الـخـاصـ دـرـجـتـ إـلـىـ كـرـمـ الـعـنـصرـ  
مـهـاـ كـانـ الـأـمـرـ نـحـنـ نـسـتـشـفـ مـنـ هـذـهـ الـآـيـاتـ التـيـ قـالـهـ الـبـارـوـدـىـ قـبـلـ  
الـثـورـةـ وـ اـنـاهـ الثـورـهـ ،ـ بـأـنـ الثـورـةـ الـعـرـاـيـةـ كـانـتـ ثـورـةـ شـعـبـيةـ  
وـطـنـيـةـ كـاـ نـسـتـشـفـ بـاـنـ الـفـكـرـةـ الـوـطـنـيـةـ الـفـوـمـيـةـ هـىـ كـانـتـ فـيـ مـرـحـلـةـ  
بـداـيـةـ لـمـ تـضـجـ بـعـدـ ،ـ وـ أـنـ الـهـزـيمـةـ السـيـاسـيـةـ قـدـ سـيـتـ الـأـزـمـةـ الـفـسـيـةـ ،ـ  
لـوـ لـاـ بـصـيـصـ مـنـ الـأـمـلـ لـاـنـهـارـتـ الـقـوـيـ الشـعـبـيـةـ ،ـ فـاـلـبـارـوـدـىـ كـانـ يـمـثـلـ  
الـأـنجـاهـ الـوطـنـيـ الشـعـبـيـ وـ لـكـنـ كـانـ هـنـاكـ اـنـجـاهـاـ مـغـاـيـراـ وـ مـخـالـفاـ لـهـذـاـ

الاتجاه، إنما كان هذا الاتجاه يمثل الطبقة الحاكمة والمتجمدين من الأمة، هذا الاتجاه كان يرى أن أي خروج أو أي ثورة ضد الحكماء أو السلطان نوع من النفاق، كان هذا الاتجاه يمثله عدد كبير من الشعراء منهم محمد لبى الذي من ذكره بأنه من الشعراء المترذلين يقول وهو يهاجم عرباً وبهاجم الثورة<sup>١</sup> :

وَرَحْ قُومٍ سَعَا لِإِدْرَاكِ أَمْرٍ دَوْتَ إِدْرَاكَ الْجَبَلِ تَرَلَّزَلَ  
 مَا اصْرَرَا عَلَيْهِ إِلَّا أَضْرَرَا فَاتَّسَ مِنْ نَابِهِ وَمَغْفِلَ  
 ذَاكَ يَسْعَى النَّقِيَّةَ خَوْفًا وَسَوَاهُ سَعَى لِكَيْمَا يَجْعَلَ  
 وَلَوْ أَصَابَ الرِّضَا عِنْدَ ابْتِدَاءِ لَكَانَتْ الْغَايَةُ الْجَبَلَةُ أَمْثَلَ  
 لَمْ يَكُنْ لَبِيَ شَاعِرُ الْقُصْرِ كَمَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الشَّعَارَاءِ الْمُتَنَلِّقِينَ بِلْ كَانَ  
 شَاعِرًا مُسْلِمًا مُتَزَمِّنًا يَخَالِفُ كُلَّ جَدِيدٍ وَيَرَى الثَّوْرَةَ جَنَابَةً عَلَى الْحُكْمِ  
 وَعَلَى الْأَمَّةِ مَعًا، وَنَرَى شَاعِرَةً وَهِيَ مُعَاصِرَةً لِلْبَارُودِيِّ وَهِيَ تَغَيَّرُ  
 كُلَّ الْمَغَارِيَّةِ الْأَتِيجَاهِ الْوَطَنِيِّ السَّانِدِ أَنْذَاكَ وَكَانَتْ هِيَ تَمَالِيُّ الْخَدِيوُّ  
 وَهِيَ عَانِشَةُ التِّيمُورِيَّةِ فَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الشَّاعِرَةُ تَمَثِّلُ الْأَدَبِ الْمُضْرِيِّ  
 بِكُلِّ مَعْنَى الْكَلْمَةِ، نَشَأتْ فِي بَيْثَنَةِ عَلَمِيَّةِ أَدِيَّةِ قَفْرَاتِ الْقَدِيمِ مِنَ الْأَدَابِ  
 الْعَرَبِيَّةِ وَالْفَارَسِيَّةِ وَالْتُّرْكِيَّةِ كَمَا قَرَأَتِ الْجَدِيدَ مِنَ الْأَدَابِ الْفَرَنْسِيَّةِ  
 وَالْإِنجِلِيزِيَّةِ، وَعَرَفَتِ الْأَتِيجَاهَاتُ الْوَطَنِيَّةُ وَالْقَوْمِيَّةُ الَّتِي نَشَأتْ وَظَهَرَتْ  
 فِي أَوْرُوبَا وَلَكِنَّهَا مَعَ ذَلِكَ بَقِيَتْ شَاعِرَةُ الْقُصْرِ، وَكَانَتْ تَرِيدُ أَنْ تَرَى  
 النَّاسَ بَأْنَ يَقْدِمُوا مَلُولًا الْخَدِيوُّ الْحُبُّ وَالْإِلْحَافُ وَالْإِحْرَامُ وَالطَّاعَةُ  
 وَيَجْعَلُونَ الْثَّوْرَةَ وَالْفَتْنَةَ، لَذَلِكَ تَهَاجمُ عَرَبًا وَتَرْمِيَهُ بِالنَّفَاقِ وَتَدْعُو

(١) شعراء مصر وبيئاتهم في القرن الماضي ص ١٠٤ .

عليه بالوبال و الهاك تقول<sup>١</sup> :

الله أكبر يوم آب عزيزنا عبد كبير زانه التشريف  
وافي الحديبوى الضخيم المرتضى رب الفخار عزيزنا التوفيق  
رفعت له الأعلام يوم قدمه وبذاته في الحافظين خفوق  
سرت بأرجاء البلاد ..... من عطرها روح النسم اعبيق  
عزفت له الأفراح ألحان الهنا بدا يشير لحسنها التصفيق  
ثم تمضى في إنكار الثورة فائلة<sup>١</sup> :

ولك السيادة ليس يشكو أمرها إلا عديم العقل أو زنديق  
قد حلت بأكيد العدا نار الغضا و اشتد ما بين الضلوع حريق  
ظلموا نفوهم بخدعة مكرهم وال默ك يضمى أهله و يحيق  
فرقت شمل جوعهم فـكـأـنـهـمـ في الابتعاد وفي الوبال سحيق  
عرابي الذي قاد هذه الثورة الكبرى نفق كذاك مع الزعماء الآخرين،  
بعـقـ في المـقـ مـدة طـوـبةـ وـ لـكـهـ بـقـ ثـاتـاـ لمـ يـتـغـيرـ وـ لـمـ يـتـبـدـلـ ، عـادـ  
إـلـىـ مـصـرـ وـ هـوـ شـيـخـ هـرـمـ وـ الشـعـبـ قدـ تـغـيرـ وـ انـقـلـبـ عـلـيـهـ . عـرابـيـ  
الـذـيـ كـانـ النـاسـ بـهـتـفـونـ لـهـ فـيـ الشـوـارـعـ وـ الـمـنـازـلـ فـاـذـاـ هـمـ يـسـتـقـبـلـونـهـ  
استقبالـ غـيرـ كـرـيمـ وـ قـدـ نـسـواـ كـلـ شـىـءـ وـ جـعـلـوـاـ الـآنـ يـهـرـبـونـ مـنـ ظـلـهـ ،  
بلـ كـانـ بـعـضـ الـمـطـرـفـينـ فـيـ تـأـيـيدـ الـحـدـيـوـ يـلـعـنـهـ . هـذـاـ هوـ شـوـقـ الـذـيـ  
لـقـبـ بـأـمـيـرـ الشـعـراـ وـ تـلـقـ لـوـاءـ الشـعـرـ بـعـدـ الـبـارـوـدـ يـسـتـقـبـلـ عـرابـيـ  
بـهـذـهـ الـفـصـيـدـةـ اـتـىـ مـطـلـعـهـاـ :

صغرـ فيـ الإـيـابـ وـ فـيـ الـذـهـابـ أـهـذـاـ كـلـ شـائـكـ يـاـ عـرابـيـ  
هـكـذـاـ بـحـدـ فـيـ الشـعـرـ الـمـصـرـيـ الـحـدـيـثـ الـذـيـ ظـهـرـ بـعـدـ الـحـلـةـ

(١) ديوان عائشة التيمورية ص ١٠٥

## الدكتور محمد راشد

الفرنسية إلى الحلة الإنجليزية هذه الاتجاهات المتغيرة المتاضفة ، ليست غايتنا لكي نبحث ونناقش اتجاهها معيناً ونعطي رأينا عنه . إنما غايتنا هي أن تقدم جميع الاتجاهات التي ظهرت في هذه الفترة لأن كل اتجاه كان يمثله عدد من الشعراء . تغيرت الأحوال بعد الثورة فإذا الناس في حيرة سياسية وأزمة نفسية ، ولكن يظهر أن هذه الأزمة كانت مدة معينة فإذا الحيرة بدأت تقلص ، وإذا الدهشة بدأت تخف ، والأمة المصرية بدأت تحدد همتها ونشاطها ، وبذلت تجمع قوتها وعدتها ونحن نقرأ شعراً جديداً بضرب على وتر جديد ويم عن فكر حدث باللوان وصور نكاد نرى فيها الحياة الاجتماعية والسياسية التي ظهرت في مصر بعد ١٨٨٢ يعني بعد السيطرة الإنجليزية .

الدكتور محمد راشد



## القسم الأول

الأمير صديق حسن خان و أسرته

شخصية الأمير شخصية عظيمة فذة، نالت صيتها كبيراً و علا  
و افرا و ثقافة واسعة بذكائه، الورقاد النادر، و عقريته العجيبة،  
و قريحته الفياضة. و بجهوداته الدائبة المتواصلة، و نشاطاته الغيرية،  
و حسبيته النادرة، كانت شخصيته عصامية مجده، تركت أثراً كبيراً، و قدّمت  
خدمات جليلة، و شفت طرفاً جديدة للبحث و الدراسة و التحقيق،  
و فتحت آفاقاً واسعة للفكر و المطالعة، تفوح نفحاتها القدسية العلمية،  
و عبقاتها الفكرية الثقافية في أرجاء الهند و العالم الإسلامي بأسره. و ملأت  
مكتبات الهند و مراكز الثقافة فيها علماً و فكراً، و فناً و ثقافة،  
و بحثاً و دراسة.

الهند التي أصبت في القرن الثامن عشر و التاسع عشر بغواص من  
الأمور و فواجع و مأسى و أزمات و نكبات و مصاعب و محن سواه  
في الحقل العلمي و السياسي و الاجتماعي، أو الفكري و الديني و الخلقي،  
ضاعت شخصيتها، انفرضت دولة المسلمين و احتلها الأجنبي الماكر العدو  
اللدود للإسلام و المسلمين و الثقافة و الحضارة الإسلامية، و أراد  
هذا الاستعمار الإنكليزي الغاشم - الذي عبر البحار من مئات الآلاف من

الأموال إلى الهند و سيطر عليها سلطة جائرة مستبدة - أن يطمس كل أثر يعزى إلى الثقافة الإسلامية أو حركة الإسلام الفكرية والمعالم الوطنية .

وقد دب الخلاف والخصام بين الأوساط الدينية، ونشأ عداء وشقاق بين المذاهب الإسلامية والجماعات الدينية والمذاهب الفقهية خاصة، وقد تناحرت الفرق والمذاهب وتشاجرت واشتبكت وبرزت للمناقشة والمناظرة وإلصاق التهم وقذف الأبراء والاتهام بكلمات شنيعة لاذعة، وإخراج مخالفيها من حظيرة الإسلام وإصدار فتاوى التكفير خلافها، وتوقفت مجلة العلم والثقافة والدين، وتختلف ركب الحياة العلمية والحضارية والمدنية في البلاد، وصار كل فرقة بما لديها فرحاً خوراً .

ففي مثل هذه الظروف القاسية المصيبة بربت هذه الشخصية العظيمة لقوم بانهاض العلم والدين ويعث حركة الإصلاح والتجديد رغم منصبه الحكومي العظيم، ومسئولياتها الضخمة، وهي تتعمى إلى أسرة كريمة نبيلة، وعليها مشقة، توالت كابرا عن كابر العلم والثقافة والدين والخلق والدعوة والإصلاح، إلا وهي شخصية الأمير صديق حسن خان، معلم القرن التاسع عشر الميلادي ونابغته، ولا يزال صوته يدوى بمجلجلة في بلدان العرب والإسلام، وجلت مؤلفاته القيمة وكتبه النادرة ودراساته التحليلية النقدية محل إعجاب وتقدير في الأوساط العلمية والثقافية في العالم الإسلامي كله .

ومعًا لا يشك فيه اثنان بأن الأمير صديق حسن (١٨٣٢-١٨٩٠ م) من أعظم العلماء الباحثين والمحققين وأشهرهم وأوسعهم صيتاً، وأرفعهم ذكرًا في القرن التاسع عشر الميلادي في الهند، وقد أسدى إلى العلوم

الإسلامية أبادى يضاهى و منها التفسير والحديث والسنن النبوية خاصة ، و اللغة العربية و آدابها عامة ، تتجلى فيها و امامه العظيمة و عبقريته الفذة ، و دراسته الواسعة العميقه ، و أفكاره النيرة السليمة .

و قد طبعت عدة مؤلفاته في البلاد العربية و تافتها مراكز الثقافة و أساتذة العلم و الأدب و اللغة و طلبة المعاهد و الجامعات بالقبول والإعجاب ، و يحيى أولئك المغرمون إلى معرفة حياة السيد الأمين و سيرته . و هم في غاية الشوق إلى المعرفة بمؤلفاته الكثيرة التي لم تصل إليهم و لم يعرفوا منها إلا النذر اليسير .

و قد كان للسيد الأمين شغف زائد و نشاط كبير للعلم و الدراسة و التأليف و إحياء التراث الديني و الحفاظ على ذخائر الفكر الإسلامي فقد بذل لأجل ذلك بجهودات جباره ضخمة و فرضا ثمينة غالبة . و جمع حوله مجموعة ممتازة من العلماء الأفاضل و المحققين الباحثين و الأساتذة النابغين للتدريس في مدارس الإمارة المعتبرة في أرجاء بهو بال ، للتأليف والإشراف على الطباعة و النشر و التوزيع ليس من الهند فحسب بل من العالم العربي و الإسلامي أيضا ، و بذلك قدم أعمالاً عظيمة قيمة نافعة ، تجاه العلوم ، الآداب و فروعها المختلفة المتعددة ، و بحث عن الكتب النادرة القيمة في العلوم و الفنون المختلفة فطبعها و نشرها و وزعها بجانا . كالتفسير و الحديث و الفقه و السيرة و التاريخ و البلاغة و الفلسفة مثلا ، و جلبها من أقصى الدنيا حسب المستطاع .

و قد كان من حسن حظ الإمارة بأن اعتلت عرش الإمارة سيدات صالحات محبات للدين و العلم . فأنشان المدارس و المعاهد

للتعليم و مراكز للتراثية الدينية والشرعية الإسلامية، و شجعن كل عمل الخير والبر والمعروف، و كن قد ولين على مناصب حكومية كبيرة حساسة رجالاً أكفاء متخصصين للدين والعلم، متخلفين بأخلاق نبيلة كريمة أمثال العالم الكبير والإداري المحنك الشيخ جمال الدين تلميذ سراج الهند الشيخ عبد العزيز المحدث الدهلوى (١١٥٩ - ١٢٣٩) و نجل الإمام الشاه ولی الله الدهلوى (١١١٤ - ١١٧٦) رحمهم الله تعالى، والأمير السيد صديق حسن الذى لم يكن فرداً واحداً بل أمة في شخصيته .

و نظراً للأمور السالفة الذكر يجدر بنا أن نقوم بتقديم دراسة جامعية نقدية تحليلية عن حياة الأمير عامة و التعريف بمؤلفاته القيمة خاصة .

## ٢- مجتمعات الهند قبل الأمير صديق حسن خان وفي عصره .

و جدير بنا أن ناق نظرة مربعة على الأوضاع العامة في الهند، وطننا الحبيب الغالي العظيم، قبل عصر صاحبنا السيد الأمير وفي عصره .

بلادنا الهند بلاد خصبة غنية في كل ميدان من ميادين الحياة أنجحت شخصيات عظيمة، وأتت نهاراً حلوة يانعة، وقدمت للعالم العلم و الفن و الحكم و الحكايات و الفكاهات و النواادر و الأمثال، أطربت القلوب و أمارت الطرق منذ القدم، قدم الناس إليها زرارات و وحدانا، و تعموا من خيرها و برها، و حتى دخلها المليون بر رسالة خالدة و هداية شاملة و فكرة نيرة و مبادئ قيمة و عقائد صحيحة سليمة منذ عصر سيدنا عمر بن الخطاب و سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنهما ، و دخل البطل المغوار و الفتى الشهم محمد بن القاسم الثقى الذي فتح قسماً من الهند و توغل في السند و أطراها بعد الخليفة الوليد بن

عبد الملك الأموي<sup>١</sup>، ثم جاء السلطان محمود الغزنوي و بعده شهاب الدين الغوري والخلجيون واللوديون والتغلق والأنغوان والاتراك والمغول الذين حكوا الهند كلها من أقصاها إلى أن اتسع الاستعمار الإنكليزي السلطة منهم واضطهدم وحاول أن يستأصل شأفهم ويقضى على المسلمين فاطمة.

و أحب أن أجعل كلمة رائعة كتبها سماحة الأستاذ أبو الحسن

على الندوى :

تأسست الدولة الإسلامية في الهند في القرن الخامس الهجري، واحتضنت المعلم والدين، وقصدها العلماء والأشراف من أقصى العالم الإسلامي، وأوى إليها كل من نا به بلده أو ضاقت عليه أرضه، واجتمع فيهاآلاف من أهل الدين والعلم نزحوا من بلادهم في فتنة التار، وقصدوها أهل الهم العالية والنفوس الكبيرة من المجاهدين والدعاة، باشارات غبية ومبشرات صادقة، أو برغبة في الجهاد ونشر الدعوة الإسلامية، فنشطوا في الجهاد والدعوة، وانتشر الإسلام بسرعة غريبة بتأثير أخلاقهم الطيبة وشخصياتهم القوية، وقد أسلم مئاتآلاف من الوثنيين على يد الشيخ معين الدين الجشتي (م ٦٢٧هـ) في أجير وما جاورها من البلدان، وأسلمآلاف في بنجاب على يد الشيخ إسماعيل الlahورى (م ٤٤٨هـ) والشيخ فريد الدين الأجوهري (م ٦٦٤هـ) وأسلمت كشمير كلها على يد السيد

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ، باب فتوح السندي ص ٤٤٢ - ٤٤٩ و راجعوا أيضا الكتابين القيمين و ما في اللغة الأردية : العلاقة بين العرب والهند للعلامة السيد سليمان الندوى رحمة الله ، و رحمة للعالمين للقاضى محمد سليمان المنصور بورى .

(٢) الدعوة الإسلامية في الهند : ص ٤ - ٣ .

على بن الشهاب الهمداني ( م ٥٧٨٦ ) .

ويقول المغفور له الشيخ مسعود عالم الندوى بهذا الصدد<sup>١</sup> :

و يعرف كل من اطلع على التاريخ أن بلادنا - الهند - أيضاً تورت نور الإسلام في القرن الأول من الهجرة و تشرفت بأقدام المجاهدين الأولين من العرب ولكنهم لم يتغلبوا في أعماق البلاد، وإنما انحصر نفوذهم في مقاطعة السند و ماجاورها من الأقطار، و كذلك البحارون من العرب الذين كانوا يمرون بشواطئها الغربية و يتاجرون مع أهلها من قبل بزوع شمس الإسلام فا توغلوا في قلب الديمار الهندية، فانحصرت دائرة نفوذهم في مليار و نواحيها من بلاد الشواطئ الغربية، فا امتدت أشعة ذلك النور الوهاج إلى داخل هذا القطر إلا بعد ما امتلك ناصيته محمود الغزنوي ( ٣٨٨ - ٤٢١ ) و أخلاقه فاعجبت بهم الهند و تأثرت و خضعت لهم و تعرفت بهدى النبوة الراسد و نهلت من العلم و الدين و الحضارة و نالت نصياً وافراً منها، فتقدمت وارتقت و أخصبت و أنتجت أكثر من ذي قبل، حتى قامت للعلم دولة بحسب دولة الملوك و السلاطين ، و سرت به إلى أن بلغ صفحة العالم فقد صد الناس إليها قصد الظامي إلى المنهل الصاف العذب، ولكن أصابها بعد السلطان أورنكز زيب عالمكير ( ١٦٠٧ - ١٦٨ م ) الانحلال و الانفراط و التدهور و ضعفت حكومة المسلمين و تضعضعت قوتهم و صارت دولتهم أثراً بعد عين .

يقول الأستاذ أبو الحسن علي الندوى عن ضعف الحكم

الإسلامي في الهند<sup>٢</sup> :

(١) تاريخ الدعوة الإسلامية ص : ٣ و ٤ .

(٢) الدعوة الإسلامية في الهند و تطوراتها ص ٢٢ .

ثم توالت على عرش الدولة التيمورية بعد أورنك زيب ملوك ضعاف من طراز الخلفاء العباسيين في بغداد في العهد الأخير لا يملكون من أمرهم شيئاً، ينصبون ويعزلون كالأطهار البالية، وانظرت حبل الدولة وكثرت الفتن والمحاصب، وهذا لم تعد الدولة مركز الحياة ولم يبق لها السلطان وقدرة على توجيه البلاد - حيث إذا صلح الملك صاحت الدولة وصاحت البلاد كلها - فليس مركز الملك الجالس على عرش دهلي مركز القلب في الجسم إذا صلح الجسد كله، إنما هو صورة لاتفع ولا تضر .

و استطاع الاستعمار الإنكليزي بكيده و جبله و قوته و تدبيره أن يسيطر على البلاد ويحل محل الدولة المغولية، ولم يكن الاستعمار يريد أن يشاهد المسلم يبق له أثر في أي ميدان من ميادين الحياة، وبالإضافة إلى ذلك ثأر الناخص والتآمر والتحالف، وتشتت القوى وتصدع المراكز . و تغيرت المجالس والمخالف، اللهم إلا في بعض المدن والقرى أو في بعض أسرة متزوقة إلى ناحية من نواحي الهند ، فقد كان الجدل والمناظرة والتحزب إلى فئة دون فئة ، و التخاصم والشجار يؤديان إلى الضرب والقتل والفتوك و العطش في كثير من الأحيان .

و قد تراكمت سحب كثيفة على أشعة العلم و الثقافة التي خرجت تضيء القاصي والداقي من شمس الأسرة « الولي اللاهية »، فقد أضاء الإمام ولـ الله الدهلوi وأبحـالـهـ البرـرةـ بلـادـنـاـ الهندـ كلـهاـ،ـ باـشعـةـ عـلـهـمـ وـ دـيـنـهـ وـ إـصـلاحـهـ وـ تـجـدـيدـهـ،ـ وـ لـابـدـ لـيـ مـنـ وـقـعـةـ تصـيـرـةـ (٥٤)

قصيرة هنا لألقى صنوفاً على تأثير الإمام الدهلوى بقبضة من مقالاتي  
عنه رحمه الله :

شخصية الإمام الدهلوى شخصية عظيمة فريدة ، قل أن ينجو  
الزمان مثلها ، شخصية عتازة ، آية من آيات الله ، عجزية نابعة من  
نوابع الإسلام ، استطاعت بذكائها الوقاد ، و عقلها النادر ، و قوتها  
ال الفكرية ، و قلمها السبال ، و لغتها البلغة البدعة المشرفة ، و فتحاتها  
القدسية ، و أفكارها البررة ، و آرائها السديدة ، و سيرتها المثالية ،  
و أخلاقها النبيلة ، و معرفتها الواسعة العميقـة للعصر و المجتمع ،  
و دراستها الفائزة ، و مثابرتها الطويلة على السـکفـاح ، و الإشارات  
الربانية ، و العناية الإلهية ، تنهض بالأمة الإسلامية الهندية ، من الخضـصـ  
و الانحطاط إلى رفعة العلم و الفهم ، و سـمـاءـ الثقـافـةـ وـ الحـضـارـةـ ،  
و احتلال مركز حـيـوـيـ فـعـالـ وـ الـبـلـادـ ، وـ إـنـ سـقـ بـهـ الرـمـانـ لـعـدـ  
من الأئمة المجـهـدينـ العـظـامـ ، كـماـ قـالـ عـنـ الـأـمـيرـ صـدـيقـ حـسـنـ :

« لو سـقـ بـهـ الرـمـانـ وـ كـانـ فـيـ الـقـرـونـ الـمـتـقـدـمـةـ لـعـدـ منـ كـارـ  
الأئـمـةـ الـمـجـهـدينـ فـيـ الـإـسـلـامـ » .

ولدت هذه الشخصية الفريدة في عصر كان عصر الانحطاط  
و التدهور و الضعف و الاضطراب و الفوضى و قلة العلم ، و عقم الفكر  
و النظر و البحث ، و انفراط الدولة المسلمة في الهند ، و لكنها قدمت  
للأمة الهندية ذخائر علمية و فكرية و حضارية لا تنسى و لا يغـضـ النـظرـ  
عنـهاـ أبداـ ، و كلـ منـ لهـ يـدـهـ وـ رـقـةـ وـ قـلـمـ ، وـ نـصـيـبـ فـيـ الـعـلـمـ وـ الدـينـ  
و إـسـهـامـ فـيـ الـفـكـرـ وـ الـثـقـافـةـ فـيـ الـهـنـدـ ، وـ فـيـ الـعـالـمـ الـإـسـلـامـ أـيـضاـ ، غـلـبـهـ  
مـنـهـ عـظـيمـةـ وـ فـضـلـ كـبـيرـ لـهـ الشـخـصـيـةـ الـكـبـيرـةـ وـ الـمـعـجـزـةـ الـرـبـانـيـةـ فـيـ  
ذـلـكـ الـعـصـرـ ، وـ كـلـ مـاـ نـشـاهـدـ مـنـ دـوـرـ الـعـلـمـ وـ الـفـكـرـ وـ مـعـاهـدـ الـتـدـرـيـسـ .

و التعليم ، و مراكز الدراسة و البحث ، و جان الحيز و الموسعة ، و هيئات دينية إسلامية ، و حركات إصلاحية . وأحزاب ثورية بناة ، و دعوات الجهد و التكفاح و الحرية و الحق و العدل ، و جمعيات خيرية إلى هذا اليوم ، كلها يرجع فضلها إلى الشخصية العظيمة هذه ، شخصية الإمام ولی الله الدهلوی ( ١٧٣ - ١٧٩٢ م ) <sup>(١)</sup> .

و انبث تلاميذ الإمام الدهلوی في البلاد يحملون ذلك اللواء الذي رفعه الإمام الدهلوی ، ولكن الاختصار و الفوضى اللذين أطبقا على حلقات الدرس و أواسط العلم بعد الاستعمار الإنكليزي تعر فلت به مجلة العلم و البحث و الدراسة فلم يكن هناك بحث جدي ولا دراسة عميقه فكرية ، بل كانت العناية إلى حد ما بهوامش الكتب و حواشيها و علوم تقليدية غير مجده .

و كان الناس عامة قد ابتعدوا عن الكتاب و السنّة و العقيدة الحالية النقيّة الطاهرة ، و تسربت إليهم البدع و الحرافات و عادات الهنادك و تقاليدهم الكثيرة في حياتهم العامة ، ولم يسلم من هذا الداء إلا نلة من الأسر و العائلات المتحفظة و المتمسكة بأصول الدين و مبادئه و التي عصت عليها بالتواجد و لم تسلك مالك الفساد و الضلال .

### أسرة أمير صديق حسن

تنتمي أسرة الأمير إلى سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنها ، و منه إلى نبينا الكريم صلى الله عليه و على آله و صحبه و سلم ، وبذلك

(١) الإمام أحمد بن عبد الرحيم ولی الله الدهلوی ، ص ٥ .

(٢) الأمير صديق حسن : إبقاء المدن بالبقاء المحن : ص ٧ و الأمير على =

هذا شرف كبير و مكانة عظيمة مرموقة بين المسلمين بقدسية الأسرة الكريمة و خدماتها و نبلها، و صلاحها و فضلها، و ثورتها على الظلم و الجور و الطغيان .

و قد استشهد سيدنا الحسين في وقعة كربلاء، دفاعاً عن العقيدة و الخير و العدل و الحق ، و دفاعاً عن القيم الصالحة و الأسس الفريدة للخلافة الإسلامية ، ولا يزال أسوة حسنة و دعوة صريحة لتقدير الاعوجاج حينما كان وأينما كان و إعادة المياه إلى مجاريها .

ولكن الدولتين : الأموية والعباسية ، مع إكرامهما و تمجيلهما لهذه الأسرة النليلة و تقديرهما لها ، تضطهدان حيناً بعد حين لارتكاب ينشأ في بلاط خليفة أو شكوى ترفع إلى الدولة أو وشایة تصل طريقها إلى ملك أو إلى حاكم ، فيضطهدون الأسرة و يعتذرون و يطردون و ربما يقتلون ، وكانت جلها تقيم في المدينة المنورة ، وكان رجالها يتربدون بين دمشق و بغداد و المدينة بدعة من الناس . أو بطلب من الخليفة أو لغرض من أغراضهم الشخصية ثم يعودون على دراجهم .

ولكن الإمام على النقى أثر الإقامة في بغداد بعصر الخليفة العباسى الواثق بالله لكثره محبيه و متبنيه و إلحاحهم على السكن معهم فيها ، وقد ولد في المدينة النبوية في الثالث عشر من رجب عام ٥٢٤هـ ، وعرف بالعلم و الفضل و الصلاح و التقى ، و داع صيته في العالم الإسلامي ، وقد عاصر الخلفاء العباسيين الأربع : الواثق بالله ، المترک بالله ، المنتصر بالله ، المستعين بالله ، و كانوا يحترمونه و ينظرون

---

= حسن نجل السيد الأمير : مآثر صديقى ( عن سيرة أبيه في أربعة أجزاء )

إله بنظرة إجلال و تقدير .

ولكن واحداً من حاسديه شكا إلى المتوكل بأن الإمام يدبر مؤامرة ضد حكمه ، وقد ادخل أسلحة كثيرة في بيته ، فاغتاظ وأصدر الأمر باحضاره إليه مقيداً بالآغلال ، بغايه جندى من الشرطة و رأه يتلو القرآن الكريم جالساً في قيادة داره ، فألقى القبض عليه بهذه الحالة وأحضره إلى المتوكل و كان يشرب النبيذ مع ملانه ، فرحب به و قدم إليه كأساً بيده ، فقال الإمام يا أمير المؤمنين ما خاص لحي و دمى فقط فاعنى عنه ،<sup>١</sup>

فطلب المتوكل أن ينشد له بعض الآيات المطرية المهججة ، فأجاب : ائنِّي لَا أَشْتَغلُ بِالشِّعْرِ وَ لَا أَنْشِدُهُ . فَأَصْرَرَ عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ : فَنَلَّا آيَاتٍ مِّنَ الْقُرْآنِ التَّالِيَةَ :

كُمْ تَرَكُوا مِنْ جَنْتٍ وَ عَيْنَوْنَ وَ زَرْوَعَ وَ مَقَامَ كَرِيمٍ وَ ذَنْمَةَ  
كَانُوا فِيهَا فَتَكَهُيْنَ وَ كَذَلِكَ وَ أُورَثُنَاهَا قَوْنَا الْخَرْبَنَ وَ فَأَبَكَتْ عَلَيْهِمْ  
السَّهَاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مَا كَانُوا مُنْظَرِيْنَ<sup>٢</sup> .

وأنشد آياتاً من الشعر تذكر الموت والآخرة - ذكر منها  
يتنا تقدرون بها الهدف :

يَا طَلَّا أَكَلُوا يَوْمًا وَ مَا شَرَبُوا فَأَصْبَحُوا بَعْدَ ذَلِكَ الْأَكْلِ قَدْ أَكَلُوا  
وَ لَمَا سَمِعَ الْمَتَوَكِلُ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ وَ هَذِهِ الْآيَاتُ الْعُمِيقَةُ ، بَكَى حَتَّى  
اخضلتْ لَحِينَهُ ، وَ بَكَتْ مَعَهُ حَاشِيَتِهِ بِكَامَا طَوِيلًا ، وَ قَدَمَ إِلَيْهِ عَنْرَةَ

(١) مَأْثُورٌ صَدَبَقِيٌّ : ج ١ ص ٣١ .

(٢) مَأْثُورٌ صَدَبَقِيٌّ ج ١ ص ٣٢ .

(٣) القرآن : الدخان : ٤٤ الآية : ٢٩ - ٢٤ .

آلاف دينار و ودعه بأدب وإكرام<sup>١</sup> .

ولكن الأعداء لم يقر لهم قرار ، فعادوا يشكونه إلى الم توكل ، فقبض عليه مرة ثانية ، وأرسله مكبلاً بالأغلال إلى سامراء : ثكنات الجيش العباسى ، وبقي هناك حتى وفاته الأجل في جمادى الآخرة عام ٢٥٤ هـ و بقيت الأسرة ببغداد بين عذاب و نعيم إلى أن قرر أحد رجال الأسرة أن يغادر بغداد إلى بخارى التي اشتهرت فيها بعد بكثرة رجالها و غزاره علمها و وفرة خدماتها و تقديرها للعلماء و رجال الدين<sup>٢</sup> .

#### ألف - في بخارى :

نَزَحَ الشَّرِيفُ مُحَمَّدٌ ، وَاحِدُ الْأَهْلَكَ ، إِلَى مَدِينَةِ بَخْرَى ، وَأَقَامَ فِيهَا وَسَكَنَ بَعْدِهِ هُنَاكَ أَوْلَادُهُ ، وَنَشَرُوا الْعِلْمَ وَالدِّينَ فِي هَذِهِ الْبَلْدَةِ وَنَوَاهِيْهَا ، وَصَارَ لِهُذِهِ الْأَسْرَةِ أَعْوَانٌ وَرِجَالٌ ، سَاهُوْهُمْ فِي نَشْرِ الدِّعْوَةِ وَالْعِلْمِ وَالْحَقِّ وَالْخَيْرِ ، وَأَقْبَلَ إِلَيْهِمُ النَّاسُ زَرَافَاتٍ وَوَحْدَانًا ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَمَّةَ .

وَيَدُوْ أَنْ إِقَامَتِهِمْ فِي بَخْرَى جَعَلَنَاهَا مِرْكَزاً حَيْوِيَاً كَبِيرَاً وَمَدِينَةَ الْخَيْرِ وَالْبَرِّ وَالتَّقِيَّ ، وَتَأْثِيرُ بَعْضِهِمْ بِالْتَّصُوفِ الَّذِي كَانَ سَائِداً فِي تَلْكَ الْمَنَاطِقِ فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ ، فَانْتَشَرَ بِهِمُ الطَّرِيقَةُ الصَّوْفِيَّةُ الَّتِي اخْتَارُوهَا هِيَ الطَّرِيقَةُ النَّقْشِبَنْدِيَّةُ فِيهَا بَعْدُ ، وَقَدْ أَنْجَبَتِ الْأَسْرَةُ شَخْصِيَّةً كَبِيرَةً اسْتَفَادَ مِنْهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ بَلَادِ الْعَرَبِ إِلَى الْهَنْدِ ، وَهُوَ الشَّيْخُ الشَّرِيفُ جَلَالُ الْأَعْظَمِ الْمُعْرُوفُ بِ« جَلَالِ الدِّينِ الْبَخْرَى » :

#### ب - أبو عبد الله حسن الشريف جلال الأعظم :

ذَكْرُ صَاحِبِ مَآثرِ صَدِيقٍ بِأَنَّ الشَّيْخَ جَلَالَ الْأَعْظَمِ كَانَ

(١) مَآثرُ صَدِيقٍ : ج ١ ص ٣٣ .

(٢) مَآثرُ صَدِيقٍ : ج ١ ص ٣٥ .

من أعظم أولياء الله في عصره، ولم يكن له مثيل في الأحوال و المكاففات الباطنية و القوة الروحية، كان وجد عصره فريد زمان<sup>١</sup>، وقد غادر الشيخ وطنه بخارى إلى الملتان<sup>٢</sup> في الهند عام ٦٥٣ هـ و أقام في زاوية الشيخ فريد الدين مسعود كنج شكر (٥٨٢ - ٦٦٦ هـ) ثم انتقل إلى بهكر<sup>٣</sup> و فيها تزوج بنت الشريف بدر الدين بن الشريف صدر الدين خطيب بهكر، اسمها زهرة خاتون ، وكان الشريف جلال من أخص مربي شيخ الإسلام بهاء الدين زكريا الملتانى (٥٦٥ - ٦٦٦ هـ) .

و قد أرسله شيخ الإسلام بعد أن شرفه بالخلافة إلى مدينة أجده، بمحافظة الملتان، وقد بقى في هذه البلدة طوعاً لأمر شيخه يرشد الناس و يوجههم بتوجيهات رشيدة، وعنى بأمر إصلاحهم عنابة خاصة إلى أن وافته المنية .

خلفه نجله السيد أحد الكبير، وكان محباً بين الناس، مرضياً بين مربيه، و بقي هو وأولاده يقومون بالدعوة والإصلاح جادين مجتهدين في أجده، وضواحيها .

ولكن السيد جلال الثالث (أحد من حفدة السيد أحد الكبير) انتقل إلى دهلي عاصمة الهند، و كان ذلك لسبعين : الأول: خلاف نشا بين الأخوة فانزعج منه .

الثاني: دعوة تلقاها من سلطان دهلي بهلول شاه اللودي

(١٤٥١ - ١٤٨٨ م) الذي كان من أخص مربيه، وقد حضر

(١) مأر صديقى ج ١ ص ٣٦ .

(٢) و هي الآن مدينة من مدن الباكستان الشهيرة .

(٣) قرب الملتان .

السلطان إلى الملتان، و طلب منه أن يرافقه إلى دهلي ، فقبل الدعوة . و انتقل معه إلى العاصمة ، و ذلك في القرن الخامس عشر الميلادي<sup>١</sup> .

### ج - في مدينة قنوج

أكرم السلطان اللودي الشيخ و احتقى به كثيرا جدا ، و أقطع له ضيعة كبيرة في بلدة قنوج<sup>٢</sup> . فاستقرت أسرته فيها نحو ثلاثة سنين ، و صارت مركز الدعوة و الإصلاح لهذه الأسرة الكريمة بعد الملتان ، و قد اقتلت الأسرة رحلها أولا في حي « شيخان » ، ثم انتقلت إلى حي « شيخبورة » ، و اختاره الشريف جلال الرابع الذي ازوى إلى العلم و الدعوة و الإصلاح العام و ترك « الطريقة الصوفية التقليدية المتوارثة » . و هنا لا بد لنا من وقفة قصيرة تعرف على بلدة قنوج و ما لها من أهمية كبيرة منذ القدم :

مدينة قنوج هي من أقدم المدن في شمال الهند ، لعبت دورا هاما في سياسة الهند لأنها كانت من إحدى العواصم الثلاث القديمة في البلاد ، وهي : دهلي ، أجمير ، قنوج ، و كانت الأخيرة عاصمة المناطق الشرقية الشهالية للهند ، وكانت كصاحبيها في القوة و السطوة و الغلبة و السلطان و الشهرة ، و كان ملوك قنوج يعنبرون من أقوى ملوك البلاد وأحسنهم حكما و أحرزهم نظاما ، و كانت لهم قدسيّة في نفوس الهنداد ، و كان ملكها الأخير « جي جند » ، من أقوى الملوك بدون منازع ، وكانت جيوشه الباسلة تفوق جيوش دهلي و أجمير قوّة و حنكة ، و تسيطر على المناطق الواسعة الحساسة ، و كان الملوك و الشعب يعترفون بقوّة

(١) مآثر صديقى ج ١ ص ٤٢ .

(٢) بكسر القاف و الدون المشددة .

(٣) مآثر صديقى ج ١ ص ٤٠ .

هـ جـ جـ دـ وـ يـ خـ ضـ عـونـ لـهـ ، لـذـلـكـ كـانـتـ بـلـدـةـ «ـ قـنـوـجـ »ـ قـدـسـيـةـ كـبـيرـةـ وـ تـقـدـيرـ وـ إـجـالـ عـظـيمـانـ فـقـلـوبـ الـهـنـادـكـ ، وـ يـنـسـبـونـ إـلـيـهاـ وـ إـلـىـ مـلـوكـهاـ قـصـصـاـ وـ أـسـاطـيرـ تـقـنـيـ بـهـاـ الـخـافـلـ وـ الـجـالـسـ .ـ وـ كـانـتـ تـعـقـدـ أـنـ جـيـوشـ «ـ جـيـ جـنـدـ »ـ لـاـ تـهـزـمـ وـ لـاـ تـخـضـعـ ، وـ لـكـنـ الـبـطـلـ الـمـسـلـمـ السـلـطـانـ شـهـابـ الدـيـنـ الـغـورـيـ قـانـيـ جـيـوشـ «ـ جـيـ جـنـدـ »ـ وـ هـزـمـهـ هـزـيـمةـ نـكـرـاهـ لـمـ تـقـمـ لـهـ قـائـمـةـ بـعـدـ ، وـ رـفـعـ رـأـيـةـ الـإـسـلـامـ الـخـافـقـةـ عـلـىـ قـلـمـةـ قـنـوـجـ الشـامـخـةـ الـعـظـيـمـةـ ، وـ قـدـ كـانـ الـإـسـلـامـ دـخـلـهـ قـبـلـ هـذـهـ الـمـعرـكـةـ يـدـ رـجـلـ صـالـحـ تـقـيـ هوـ الشـيـخـ الـحـاجـ شـرـيفـ الـذـيـ أـجـلـيـ إـلـىـ بـلـدـةـ وـ حـدـهـ وـ شـرـ الـإـسـلـامـ وـ تـعـالـيـمـ بـدـعـوـتـهـ الرـشـيدـةـ وـ حـكـمـتـهـ الـبـالـغـةـ وـ مـوـعـظـتـهـ الـحـسـنةـ اـسـتـأـنـسـ بـهـ السـكـانـ الـهـنـادـكـ وـ اـعـنـقـواـ الـإـسـلـامـ ، وـ لـاـ يـزالـ ضـرـبـ هـذـاـ الرـجـلـ الصـالـحـ فـقـنـوـجـ مـعـرـوـفـاـ ، وـ يـذـكـرـ رـجـلـ آـخـرـ قـامـ بـنـشـرـ الـإـسـلـامـ نـسـمـيـهاـ «ـ بـالـأـيـرـ »ـ الـذـيـ لـاـ يـعـرـفـ عـنـهـ إـلـاـ قـبـرـهـ ، وـ تـحـولـتـ قـنـوـجـ بـعـدـ هـزـيـمةـ مـلـكـهاـ الـجـبارـ «ـ جـيـ جـنـدـ »ـ إـلـىـ بـلـدـةـ إـسـلـامـيـةـ فـاسـتـفـرـ فـيـهاـ الـمـسـلـونـ فـشـيـدـوـاـ الـمـسـاجـدـ وـ أـنـشـأـوـاـ الـمـدارـسـ الـعـرـبـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ وـ الـزـوـاـيـاـ وـ مـرـاكـزـ لـلـدـعـوـةـ وـ الـإـصـلـاحـ ، وـ لـمـ قـامـتـ دـوـلـةـ شـرـقـيـةـ لـلـسـلـمـيـنـ شـيـدـ فـيـهاـ الـسـلـطـانـ إـبـرـاهـيمـ الـشـرـقـيـ (ـ ٨٠٩ـ هـ الـمـوـافـقـ ١٤٠١ـ مـ)ـ حـاـكـمـ شـيـراـزـ الـهـنـدـ جـوـنـفـورـ<sup>١</sup>ـ مـسـجـداـ كـبـيرـاـ فـيـهـ لـاـ تـزالـ آـثـارـهـ تـدـلـ عـلـىـ روـعـتـهـ وـ بـهـانـهـ وـ جـالـهـ<sup>٢</sup>ـ .ـ

وـ شـرـفـ قـنـوـجـ بـقـدـمـهـ الـمـيمـونـ الشـيـخـ جـلـالـ الثـالـثـ الـذـيـ ذـكـرـنـاهـ

(١) مدـبـبةـ قـدـيـمةـ فـيـ شـرـقـ الـهـنـدـ أـنـجـبـتـ عـدـدـاـ لـيـعـمـيـ منـ الـعـلـمـاءـ وـ الـأـفـاضـلـ وـ الـأـنـذـارـ وـ الـعـبـاقـرـةـ يـعـزـزـ بـهـمـ التـارـيـخـ الـإـسـلـامـيـ فـيـ الـهـنـدـ .ـ

(٢) مجلـةـ مـعـارـفـ ، عـدـدـ آـكـتوـبـرـ ١٩٢٣ـ مـ

بأنه جاء بدعة من السلطان اللودي ، أقام هو وأسرته في هذا البلد ، و عمره بعلمه و رشده و صلاحه و دعوته ، و سارت الأسرة على هذا الدرب ، و كان درة تاجها في العصر الأخير السيد الأمير صديق حسين خان الذي سجن بقصد ترجمته ، وأن ضريح الشيخ جلال جدر الثالث يعتبر من أروع بناء في هذا البلد بناها أمير الجيش هری خان ، بأمر من السلطان حسين شاه تذكارا لخدمات هذا الشيخ الجليل ، و توفي عام ٨٨١ھ - و الضريح في باحة كبيرة واسعة بجانبه مسجد جيل لا يصور بالفاظ ، وفي انباحة آثار كثيرة للشيخ الأجلاء و الملوك المسلمين ، وكلها بعظمة هذا البلد و خدماتها التي لا تنسى .

ولما أصبت دولة المسلمين بالفوضى و الاضطراب و التدهور و ضفت و انكمشت و توزعت ولاياتها ، انصرفت قوج في ولادة «أوده» ، تماماً<sup>١</sup> ، وكانت هذه الولاية تحت سيطرة أمراء الشيعة الإمامية وكانت لهم جولة و صولة ، وكانت عنايتهم و رأفتهم و عنفهم و نصرتهم و مساعدتهم و مؤازرتهم كلها مع الدين يعتقدون المذهب الشيعي و يخذلون حذوه و يسايرون ركبهم ، و لم يكونوا يحسنون بها الظن بل يكيدون لها و يستأصلون شأفتها إذا تمكنا ، و يسعون لنشر المذهب الشيعي ، فانتشر ذلك في هذه الولاية إلى حد كبير ، و تغيرت الأحوال بعد انفراط الإمارة الشيعية و سيطرة الإنجليز على البلاد .

و لا غرابة أن تسير هذه الأسرة الكريمة ذلك التيار الجارف حسب المثل السائِر : «الناس على دين ملوكهم» ، فاعتق حفيد الشريف (١) وهي الآن تعرف بولاية أورا بوديش .

جلال الرابع، على الأصغر، المذهب الشيعي، وبقيت الأسرة في خمس سلالات إلى الشريف، أولاد على خان الملقب بأنور جنك بهادر، على هذا المذهب، وكان الأخير هو جد الأمير صديق حسن خان.

#### د - أرباط الأسرة يلاط إمارة حيدر آباد الأصفية :

لما ضعفت الدولة الإسلامية ولالياتها وتدمرت وعمت الفوضى أصيّت الأسرة المسلمة المحافظة بالفقر والبؤس والشقاء، فغادرت مدنهَا وفراها إلى حيث تجد ما يقوم بأودها، فكان من غادر من هذه الأسرة هو السيد عزيز الله حفيد الشريف على الأصغر إلى حيدر آباد واستقر فيها، واستطاع حفيد الشريف أولاد على أن ينال منصباً كبيراً في الإمارة. كانت يده و بين رئيس وزراء إمارة حيدر آباد الدكن شمس الأمراه بهادر قرابة و صداقة متينة، فتوسط الرئيس لدى صاحب السنو الأمير المعظم ليعينه مراقباً عاماً لحسن كولكتندا، بجنوب الهند، فقبل الطلب و شرفه بلقب «أنور جنك بهادر»<sup>(١)</sup> و أقطع له ضيافة دخلها خمسة ألف روبيه سنويًا (٥٠٠٠٠) وبعض القرى مع محاصيلها، و منح له قصراً شامخاً وأمتعة كثيرة و نحو ألف جندي تحت قيادته، فعاش السيد أولاد على عيشة الأمراه الرغيدة الهنديه، وقد لقى حتفه في حيدر آباد عام ١٢١٨ هـ = ١٨٠٣ م، و تزوج هناك زوجاً ثانياً ولكن لم يرزق من الزوجة الثانية أولاداً، وكان له ابن من زوجته الأولى التي كانت لازالت تقيم في بلدة قنوج، وهو الشريف أولاد حسن والد السيد الأمير صديق حسن خان ولم يرافق والده فقط، و لما توفي السيد «أنور جنك»، أخبر ابنه بذلك و طلب إلى حيدر آباد ليفوض إليه ما تركه أبوه من الأموال الطائلة

(١) إنه لقب كان يلقب به الأمراه والأعيان في حيدر آباد.

و الضيحة الكبيرة فرفض السيد أن يملك ما تركه أبوه خلاف عقائدي  
يئه و ينه ، و اقنع به منح الله عز وجل في بلده قنوج<sup>(١)</sup> ولم يذهب  
إلى حيدرآباد .

و كان على خلاف والده يحب العلم و الدين و الصلاح  
و التقى ولم يكن يزيد مالا ولا جاما ولا منصبا حكوميا ولا شهرة  
بل كان زاهدا ورعا فنوعا راغبا عن الدنيا وزخارفها كما ستعلم  
فيها بعد .

#### حياة الامير و عصره

ذكرنا بصدق الحديث عن السيد أولاد على المرحوم  
بس أنسور جنك ، بأنه أقام بحيدرآباد ولم يعود إلى بلده قنوج ولم يختضن  
ابنه الوحيد ويسهر على تعليمه و تربيته ، بل بقي الطفل في كنف أمه  
الحنون .

ولد هذا الطفل الذي سمي « أولاد حسن » عام ١٢٠٠ = ١٧٨٥م  
في قنوج التي بدأت فيها أشباح الجهل و البدع و الخزعبلات تعطى العلم  
و الثقافة التي رفع لواءها هذا البيت الكريم ، و ذلك بتأثير المذهب  
الشيعي و ضعف الدولة الإسلامية .

كان السيد أولاد حسن ذا شخصية و ذكاء وقاد و موهب  
نادرة ، قوى الذاكرة ، قوى الإرادة ، راسخ العزم ، سليم العقيدة  
و الدين ، مرهوب الجانب ، جبل الطلعة ، نبيل الأخلاق ، كريم السيرة ،  
ترعرع في بيت ديني و على حر ، ولو أنه لم يفز بتوجيه من أبيه  
و عطفه و حنانه و رأفته و عناته و إشرافه على التعليم و التربية لأنه  
كان بعيدا عنه منذ ولادته ، ولكنه كان ولدا ذكيا نجينا بارا قطع

(١) مأثر صديقى ص ٥٢ ، و زهرة الحواضر للعلامة عبد الحمى .

أشواطاً بعيدة تحت إشراف أمه الكريمة نحو العلم والتربيـة و تربـين  
بنفسه بالعلم والدين والفضل والتـقـة والقـنـاعـة والصـبر .

كان رجلاً عصامياً بمعنى الكلمة ، وقد بلغ أوج ما يتصور  
الإنسان من الجاه الدـينـوى و المـكـانـةـ الـدـينـيـةـ المـتـازـةـ ، و لو أنه كان فقيراً  
بـالـمـالـ وـ الشـرـوـةـ ، وـ لـكـنـهـ كـانـ غـنـيـاـ بـالـحـبـ وـ التـوـدـدـ وـ الصـبـ وـ الرـهـدـ ،  
أـشـرـفـتـ الـأـمـ الـبـائـسـ الـخـنـونـ عـلـىـ تـعـلـيمـ اـبـنـهاـ الـوـحـيدـ وـ تـرـيـتـهـ تـرـيـةـ مـحـيـةـ  
فـأـلـحـقـتـهـ بـكـتـابـ الـفـرـيـةـ يـتـعـلـمـ الـلـغـةـ الـفـارـسـيـةـ حـسـبـ التـقـالـيدـ وـ الـحـاجـةـ ،  
لـأـنـ الـلـغـةـ الـفـارـسـيـةـ كـاتـ لـغـةـ رـسـيـةـ فـيـ ذـلـكـ الـحـينـ بـالـلـادـ<sup>١</sup> .

وـ لـمـ اـنـتـهـىـ مـنـ تـعـلـمـ الـلـغـةـ الـفـارـسـيـةـ حـسـبـ الـحـاجـةـ فـارـتـبـطـ  
بـحـلـقـةـ الشـيـخـ الـفـاضـلـ عـدـ الـبـاسـطـ الـفـنـوجـيـ الـذـيـ كـانـ أـعـلـمـ الـبـلـدـ وـ أـفـقـهـهـاـ  
وـ أـتـقـاـهـاـ ، فـقـرـأـ عـلـيـهـ الـكـتـبـ الـشـرـعـيـةـ الـاـبـدـانـيـةـ ، ثـمـ سـافـرـ إـلـىـ لـكـهـنـوـ  
وـ دـرـسـ أـكـثـرـ الـكـتـبـ الـدـرـاسـيـةـ عـلـىـ الشـيـخـ نـورـ الـحـقـ بـنـ اـنـوـارـ الـحـقـ  
الـلـكـهـنـوـيـ وـ الشـيـخـ الـمـيرـزاـ حـسـنـ الـمـحـدـثـ ، وـ عـادـ إـلـىـ الـفـنـوجـ وـ بـدـأـ يـدـرـسـ  
فـيـهـاـ مـدـةـ مـنـ الزـمـنـ ، ثـمـ حـفـزـهـ الشـوـقـ وـ حـبـ "ـعـلـمـ" وـ التـضـلـعـ بـعـلـومـ  
الـتـفـسـيرـ وـ الـحـدـيـثـ إـلـىـ الـعـاصـمـ دـهـلـيـ ، فـاتـصـلـ بـعـائـلـةـ حـجـةـ الـإـسـلـامـ وـ لـلـهـ  
الـدـهـلـوـيـ وـ دـرـسـ عـلـىـ أـبـانـهـ الـثـلـاثـةـ :ـ الشـيـخـ عـبـدـ الـعـزـيزـ وـ الشـيـخـ  
عـبـدـ الـقـادـرـ وـ الشـيـخـ رـفـعـ الدـينـ .

وـ صـحـبـ الـإـمـامـ أـحـدـ بـنـ عـرـفـانـ الشـهـيدـ<sup>٢</sup> وـ آثـرـ مـرـاقـفـهـ هـؤـلـاءـ  
الـأـفـذاـذـ فـانـسـلـ مـنـ الـمـذـهـبـ الشـبـعـيـ وـ قـطـعـ عـنـ الشـيـعـةـ جـمـيعـ الـعـلـاقـاتـ

(١) مـأـثـرـ صـدـيقـيـ جـ ١ صـ ٥٥ .

(٢) كـانـ الـأـمـرـةـ الـوـلـىـ الـلـاهـيـةـ وـ رـجـالـهـ مـنـ خـيـرـةـ مـنـ قـدـمـواـ خـدـمـاتـ  
جـلـيـاـةـ نـحـوـ الـدـينـ وـ الـعـلـمـ وـ الـدـعـوـةـ فـبـلـادـنـاـ وـ لـأـنـرـالـ آـنـارـهـ مـلـمـوـسـةـ  
وـ سـيـانـيـ ذـكـرـهـمـ مـفـصـلـاـفـ الـصـفـحـاتـ الـقـادـمـةـ بـاـذـنـ اـفـهـ تـعـالـىـ .

سواء كانت قرابة أو صدقة، واعتنق مذهب أهل السنة وعقد العزم على أن يقف حياته لخدمة الدين ونشر علوم القرآن والسنّة النبوية، وقاده الحاس وقوّة العمل بأن قام للإصلاح والتّجديد بعائشه أولاً والمدن و القرى المجاورة ثانياً، وقد شاهد في بلدته ونواحيها الأوضاع السيئة أصابها الوهن والفساد والانحطاط والفوضى، وشاهد أن معلم الدين تطمس، وأحكام الشريعة شاعتْها تهجر، وردت النّوافع المديدة في الناس وجهموا أصول الدين وسنّه، وبدؤا يختارون طرق الكفر وسبل الشرك وعواوند المبتدعة والخرافين فقام بنشر العقائد الصحيحة الحقة.

يقول العلامة الشیخ عبد الحنی الحسینی عنہ<sup>١</sup> :

• الشیخ العاضل حسن ، بن علی بن لطف الله الحسینی البخاری القنوجی مولانا أولاد حسن كان من ذریة الشیخ جلال الدين الحسینی البخاری الأجمی . ولد سنة عشر و مائتين و ألف بقنوج ،

و اشتغل بالعلم على الشیخ عبد الباسط القنوجی زمانا ثم سافر إلى لكھتو وقرأ أكثر الكتب الدراسية على الشیخ نور الحق بن أنوار الحق الكھتوی ، ولازمه زمانا ثم رحل إلى دھلی وأخذ عن الشیخ رفیع الدين وصنه السکیر الشیخ عبد العزیز بن ولی الله الدھلوی ، و لازم السيد احمد بن عرفان الشھید البریلوی ، و بايعه واستفاض منه فیوضا كثیرة و جاھد معه فی سیل الله و صار خلیفة له فی دعوة الخلق إلى دین الله و رجع إلى بلدته .

وقال الأستاذ عبد الحبیب الرحیمی ، الأمین العام جمعیۃ أمل

الحادیث لعموم الهند سابقاً :

وكان والد السيد صديق حسن العلامة المجاهد أنسٰهُ أولاد حسن (١٢١٠ - ١٢٥٣ هـ الموافق ١٧٩٥ - ١٨٣٧ م) <sup>١</sup> من يأبعوا على يد الإمام المصلح السيد أحمد الشهيد (١٢٤٦-٢٠١ هـ الموافق ١٧٨٦ - ١٨٣٠ م) لجهاد الشيخ الظلة والاستعمار البريطاني، و كان من رفقته الإمام المجدد الشاه إسماعيل الشهيد (١١٩٢ - ١٢٤٦ هـ الموافق ١٧٧٩ - ١٨٣٠ م) وقد قاتل الشيخ في مراقبتها في عدة وقائع ، ثم أصبح بعد استشهادها من أكبر خلفائهم في نشر التوحيد و السنة و جهاد الإنكليز ، وكان رحمه الله من الموارثين لعداء الاستعمار الخبيث ، و مكره و خديعه ، فكان من العلماء الكبار و المجاهدين العظام ، و هو الذي غسل عار الرفض من أسرته بعد ما بقى هذا الداء العضال في ثلاثة من أجداده ، وقد تلمذ على الشاه عبد العزيز (١١٥٩ - ١٢٣٩ هـ الموافق ١٧٤٦ - ١٨٢٣ م) نجل الإمام ولی الله <sup>٢</sup> و بايع على يد أمير المؤمنين السيد أحمد الشهيد للجهاد ، و قاتل الشيخ المعتمد و الإنكليز ، وقد ترك رحمه الله إرث أبيه الرافضي الذي كان عبارة عن ثلاثة ألف ريبة <sup>٣</sup> على أساس أنه من مكاسب رجل شيعي اتقاه للشيعة كما أنه كان يرفض ولائمة الموظفين في الحكومة

(١) ذكر صاحب مآثر صديق الأمير على حسن حفيد الشیخ أولاد حسن بأنه ولد عام ١٢٠٠ هـ وتوفي عام ١٢٥٣ هـ الموافق ١٧٨٥ - ١٨٣٧ م.

(٢) وذكر صاحب مآثر صديقي ص .هـ أنه قرأ على الشاه ربيع الدين الحدیث و الفقه و التفسیر ، واستفاد من الشاه عبد القادر نجل الإمام ولی الله الدھلوی أيضاً كما ذكرنا .

(٣) وقد ذكرت المصادر الأخرى كـ مآثر صديقي وأبجد العلوم أكثر من ذلك من الضيغة والمزارع .

الإنكليزية، وقد ألف رحمه الله تعالى أربعين عشر كتابا في علوم الكتاب والسنة ورد البدع والخرافات<sup>١</sup>.

#### و خدمات الوالد ومكارمه و آثاره

ولما اضططع الشيخ أولاً حسن بالعلوم الازمة وتشبع بروح الإسلام الصافية وعقيدته السليمية التقية الطاهرة، انتصب للتعليم والتدريس والدعوة إلى الخير والحق و العدل، وقد ساعدت تماما صحبة أنجال الشيخ ولی الله الدهلوی و مرافقة السيد أحمد الشهید، فقد سمع خلال أعماله التدریسية والإصلاحية ووظائفه الاجتماعية عن حركة أمیر المؤمنین السيد الشهید و جهاده العظيم ضد قوى الشر والظلم و الفساد، الدمار، فاضله بكل قوة و حزم و عزم و حماس إلى حركته الإصلاحية العظيمة، و اشترك معه و إخوانه في الجھاد، وكان السيد الشهید يحبه ويذكره لعله وفضله ونبله وخدماته ويخاطبه بالأخ الشريف، و رافق الشيخ الإمام الشهید في أسفاره الإصلاحية ودعونه إلى التوحيد، السنة و الجھاد في سیل الله وإعلاه كلته في المقاطعة الشهانية الغربية للهند خاصة وفي البلاد عامّة، و يق معه إلى سنة ١٢٤٢ = ١٨٢٦ م.

و جدير بنا أن نلق نظرة إجمالية قصيرة على حياة الإمام وحركته المباركة و تعرف عليها بشيء من التفصيل :

ولد أمیر المؤمنین السيد أحمد بن عرفان الشهید عام ١٢٠١ = ١٧٨٦ م، في قرية تکيه کلان، من أعمال رای بریل، باترا برديش الهند، في بيت العلم والدين والتقدیم، له اعمال مجده وخدمات جليلة للإسلام والمسلمین في الهند وخارجها جيلا بعد جيل، ولا يزال

(١) صوت الجامعه : ص ٥١ - ٥٢

هذا البيت السليم متحلياً بتلك الروح العلمية والدينية والإصلاحية قائماً بالعهد، ينير الطريق ويهدى السبيل وينشر العلم والثقافة الإسلامية، والعقيدة الصحيحة السليمة، إمامه وقائد ودرة تاجه اليوم سماحة شيخنا الأستاذ أبو الحسن على الحسني الندوى من كبار المفكرين والداعية إلى الإسلام من جديد في هذا العصر - بارك الله في حياته وأطال بقاءه .

و بالمناسبة أقتبس قطعة جميلة مما كتبه سماحة الأستاذ عن جده

الإمام الشهيد رحمه الله تعالى :

«و هو السيد أحمد بن السيد عرفان الحسني المولود في راتب بريلي<sup>١</sup> عام ١٢٠١هـ و دعا إلى الدين الخالص، وأشعل في القلوب جذوة الإيمان والحماسة الإسلامية والجهاد في سبيل الله، ونظم جماعة كبيرة وأحسن تزيتها الدينية والحرمية و هاجر معها إلى حدود الهند الشهالية من طريق بلوجستان و أفغانستان، و اتخذها مركزاً لدعوه يتقدم منها إلى الهند لإجلاء الإنكلز و تأسيس دولة إسلامية على منهج الكتاب والسنة و فد هزم هؤلاء المجاهدون «السيخ» ، SIKHS ، الذين احتلوا بنجاح، و اذاوا المسلمين سوء العذاب في معارك كثيرة .

و أسس هؤلاء المجاهدون دولة شرعية في الحدود الشهالية الغربية للهند، تشمل على بشاور و ما جاورها من البلدان و القرى، و نفذوا الحدود الشرعية و طبقوا النظام الإسلامي المالي والإداري

(١) تبعد من لوكهينڈ عاصمة الولاية الشهالية بخمسين ميلاً (٧٤ كم) في جهة الشرق، وهي مديرية من مديريات الولاية .

غليقها دقيقاً، و لكن ، ثارت عليهم القبائل التي تقطن الحدود المصادمة هذه النظام لآدمهم الشخصية و غادتهم الجاهلة، فلربما هذا النظام، ثم لم يطرد المجاهدون بجيشه الشيخ في نوادي «بالاركت»، فاستشهد الإمام الشهيد و صاحبه الشيخ إسماعيل و كبار أصحابهما في ٢٤ ذى القعدة عام ١٢٤٦ = ١٨٣٠ م. و لجا الكل إلى الجبال ، ولم يزل هؤلاء و أصحابهم في الهند قائمين على العهد ، يذلّين في ذلك النفس و النفسية . و الإيكلايز يطاردونهم و يضطهدونهم و يصادرون أموالهم و أموالهم و يحاكمونهم عدائد طويلة عريضة ، و هم صابرون محتسرون ، لا يضطربون ولا يزعزعون ولا يلينون ولا يستكينون ، حتى كانت ثورة ١٢٧٣ = ١٨٥٧ م التي تزعّمها المسلمين وأسهم فيها المواطنين ، و اخفقت لأسباب يطول ذكرها ، و قوله زعامةها بصفة خاصة المسلمين بصفة عامة بوحشية نادرة . و استتب الأمر للإنجليز ، و دخلت الهند في الحكومة البريطانية بصورة عامة ، و بقي هذا الوضع إلى ١٢٦٧ = ١٩٤٧ م حين نالت الهند الاستقلال ، و كان التقسيم ، و قامت الجمهورية الهندية و قامت دولة باكستان الإسلامية ، و هي تشمل على أكثر المناطق التي كانت مركز نشاط المجاهدين و كفاحهم ، و كانت في مقدمة تحضير هذه الحركة الإصلاحية الجهادية و هدفها الأول<sup>١</sup> .

إنها نبذة بسيرة من حياة الإمام الشهيد رحمه الله اقتبسناها من كتاب سماحة الشيخ الندوى ، تلقى أصواتاً ساطعة على آثاره جوهرة الحركة و تأثيرها البعيدة المدى ، فقد يثبت هذه الدعوة روح الجهاد و الإصلاح و قمع البذع و المزاكيات و إنقاذ المجتمع الإسلامي الهندي

(١) إذا هبت ريح الإيمان ص ٤٠٤ .

من الأوهام والخزعبلات، وبقى خلفاؤهم بعده متشبعين بتلك الدعوة منتبين إلى تلك الحركة المباركة أذكر منهم على سبيل المثال ثلاث أمور بقيت على المهد حاملة لواء الدعوة والإصلاح والجهاد في سبيل الله وهي:

### ألف - أسرة صادقبور :

كانت أسرة علمية دينية عريقة ذات سمات طيبة ومحسانة حسنة ونورة كبيرة وغنى طائل، تقطن في محافظة «بنه»، بولاية بهار الهند، سمع الشقيقان الشابان بالسيد الشهيد وحركته الدينية فانضما إلى هذه الحركة، وانشبا هما الشيخ ولايت على ويبحي على، وقد جاء الشيخ ولايت على إلى «تكيم كلان»، واستفاد من السيد واشترك فعلاً مع رجاله في التدريب والعمل للجهاد، ثم سافر الأخوان مع السيد الشهيد إلى الحج والعمران، ومن ثم إلى المنطقة الشالية الغربية بالمدن وجاها معه في سبيل الله وإحقاق الحق وإبطال الباطل، وأنشأا دولة إسلامية في ربوح الهند، ولما استشهد أمير المؤمنين السيد الشهيد عادا إلى مسقط رأسهما «بنه»، و Ashtonala في الدعوة والإصلاح في الولايات الشرقية بالبلاد، فلهذه الأسرة العظيمة أيام يضاء في الدعوة والجهاد والتضحية والفداء، لا يسعنا المجال هنا لمزيد من التنبؤ والتحدث عنها مفصلاً<sup>١</sup>.

(١) راجع لتفصيل الكتب التالية: سيرة سيد أحمد شهيد الشيف أبو الحسن علي الندوى، و سيرة سيد أحمد شهيد: للشيخ غلام رسول مهر، وصادقين صادقبور: للشيخ محمد نافى حسنى وهندوستان كى جيل اسلامى تحريرك: للشيخ مسعود الندوى.

**ب - أسرة الشيخ جعفر على النقوى :**

هي الأسرة الثانية ذات أهمية كبيرة، لعبت دوراً فعالاً مشرقاً في حقل الدعوة والإصلاح والجهاد، ألا وهي أسرة الشيخ جعفر على النقوى رحمه الله تعالى، ولد الشيخ عام ١٢١٨هـ في قرية مجهوامير مديرية بسى، بولاية أترا برديش، كان من أجل خلفاء الإمام الشهيد وسكرتيره الخاص، وصاحب في الحل والترحال، بالأداة الأخيرة من حياته، واشترك معه في الجهاد والكفاح لتحرير البلاد من الظلم والطغيان والاستبداد، ومن براهن الاستعمار، ولتأسيس دولة إسلامية في الهند، وكان معه في آخر معركة دارت بين الجيش الإسلامي وعسكر الشيخ بوادي بالاكوت، في آخر لحظة من حياة الإمام الشهيد، ولكن الله قادر أن ينجو ويقوم برفع كلة الله وحل لواه الدعوة والإصلاح بعد مرشدته الجليل رحمة الله تعالى، وهو أول من ألف كتاباً عن سيرة الإمام الشهيد باسم منظورة العداء في أحوال الغزاة والشهداء، واسمها التأريخى سوانح أحدى، وهو أحسن مصدر لسيرة الإمام وأوثقه، واعتمد عليه المؤرخون، وكتاب سيرة السيد الشهيد فيما بعد، ألفه الشيخ بطلب من الأمير وزير الدولة أمير إمارة تونك، بولاية راجستان، وكان الحافظ لهذا التأليف أن الشيخ جمال الدين النائب الأول لإمارة بهوبال<sup>١</sup> وصهر الأمير صديق حسن قد طبع رسالة عن سيرة الإمام الشهيد وقائع جهاده، وكانت هذه الرسالة نقرأ في مجلس الأمير وزير الدولة فقال بعض أصحاب الإمام الحاضرين في المجلس وكان بينهم الشيخ جعفر على . إن بعض وقائع الرسالة وأحداثها غير صحيحة

(١) سئلني ترجمته في الصفحات القادمة باذن الله تعالى .

و لا تمت بصلة إلى الصدق والواقع، فأشار الأمير إلى الشيخ بن  
بوقاف ككتاباً مفصلاً يوثق به ويرجع إليه، ويقيم عنده بهذه المدة،  
فأعادته الشيخ بأن يقوم عنده لأسباب عائلية وأمور دينية واستاذه  
للعودة إلى قريته «مجهوامير»، ويولف الكتاب هناك وهو يحتوى  
على أكثر من ألف صفحة على الحجم الكبير، ولا يزال مخطوطه  
باللغة الفارسية، قسم منه في مكتبة ندوة العلماء بالمند، البقية في مكتبة  
جامعة بنحاح، باكستان، كان الشيخ جعفر يرتبط بأسرة دينية وعلمية  
كريمة، تنتهي إلى سيدنا الحسين بن سيدنا علي رضي الله عنهما، كان  
والده الشيخ قطب على عالماً جليلًا، وسيداً محترماً في منطقته، محيا  
بين الأوساط العلمية والدينية، يرتبط علمياً وعمائدياً باسرة الشيخ  
ذلي الله الدهلوى رحمه الله، متسلكاً بعقيدة السلف الصالح متجنباً عن  
التفاليد البالية والبدع والخزعيلات، متشبعاً بروح الكتاب والسنة،  
وكان شقيق الشيخ السيد حسين على عالماً أيضاً، وقد قرأ السيد  
جعفر، على الشيخ الفاضل الكبير حيدر على التونسي<sup>١</sup> وتلمذ على  
الشيخ إبراهيم الشهيد حفيد الإمام الدهلوى، وسمع خلال هذه المدة  
أبوه وشقيقه عن الإمام الشهيد ودعوته في قريتها فذهبوا لزيارته،  
وتشروا هناك بالبيعة، وعادا حاملين رسالة الجihad والدعوة والإصلاح،  
ولم يقدر لهما أن يشاركاً في الجهاد فعلاً، لحرم الشيخ الآباء وعجزه  
عن الرحلة والجهاد، و الشیخ الاخ حسين للقيام بخدمة الوالد، لأن  
السيد جعفر على قد سبقه بمرافقته أمين المؤمنين في مسيرته وجهاده.  
عاد الشيخ جعفر بعد شهادة الإمام من «بالاكوت»

(١) سمع الحديث عنه بادن الله.

إلى مسقط رأسه و اشتغل بالدعوة والإصلاح و تأسيس مدارس العلم والدين والتربيـة ، و قام بجولات دعوية واسعة طويلة بين القرى المجاورة و الثانية من منطقته إلى أودية بجـال هـلـايا و إـمـارة نـيـال ، و إلى تخـوم ولاية بـهـار ، فـتـشـرـ دـعـوـةـ التـوـحـيدـ وـ التـسـكـ بالكتاب و السنة و قـعـ الـبـدـعـ وـ الـخـرـافـاتـ وـ الـأـوـهـامـ اـبـاطـلـةـ ، و لا تزال من هذه المدارس الدينية العلمـةـ نـلـاثـ توـدـي رسـالـتـهاـ الثـقـافـةـ الـدـيـنـيـةـ وـ هـيـ : مـدـرـسـةـ عـرـيـةـ بـوـادـيـ هـلـاياـ ، وـ الثـانـيـةـ بـمـحـافـظـةـ جـهـواـ ، بـولـاـيـةـ بـهـارـ ، وـ اـثـانـيـةـ مـدـرـسـةـ هـدـاـيـةـ الـعـلـومـ ، في كـرـمـيـ بـولـاـيـةـ الشـالـ ( اـتـراـ بـرـدـيشـ ) ، وـ كـانـتـ رـحـلـاتـ الشـيـخـ الإـصـلاـحـيـةـ وـ جـوـلـاتـهـ لـتـبـلـيـغـ وـ دـعـوـةـ الـإـسـلـامـيـةـ مـوـفـقـةـ نـاجـحةـ جـداـ ، فـكـلـ قـرـيـةـ سـرـبـاـ الشـيـخـ اوـ مـكـثـ فـيـهاـ لـمـحـةـ نـحـولـتـ حـيـاتـهـ وـ عـادـتـ إـلـىـ الـكـتـابـ وـ السـنـةـ وـ الـعـقـيـدـةـ الصـحـيـحـةـ السـنـيـةـ ، وـ لـاـ تـزالـ تـلـكـ المـنـطـقـةـ تـذـكـرـ جـوـلـاتـهـ الـكـرـيمـةـ وـ دـعـوـاتـهـ الإـصـلاـحـيـةـ ، وـ هـيـ مـتـمـسـكـ بـهـاـ . عـاصـهـ عـلـيـهـ بـنـوـاجـذـهـ .

وـ تـرـكـ الشـيـخـ جـعـفـرـ عـلـىـ ذـرـاـ خـالـدـاـ مـجـداـ ، وـ زـارـاـ عـلـيـاـ عـظـيـماـ ، لـاـ تـزالـ آـنـارـهـ وـ تـابـعـهـ مـلـوـسـةـ ، وـ قـدـ وـاقـ حـامـهـ فـيـ ٢٠ـ رـمـضـانـ ١٢٨٨ـ هـ الـمـوـافـقـ ١٨٧١ـ مـ .

وـ إـنـ أـسـرـةـ الشـيـخـ جـعـفـرـ وـ أـحـفـادـهـ لـاـ يـرـاـلـونـ عـلـىـ الـعـهـدـ قـائـمـينـ ، وـ لـدـعـوـةـ الـإـسـلـامـيـةـ وـ الـأـسـسـ الـدـيـنـيـةـ وـ الـقـيـمـ الـخـلـقـيـةـ نـاـشـرـيـنـ ، وـ فـيـهـمـ الـعـلـاءـ وـ الـرـبـاـيـونـ ، وـ الـدـعـاءـ وـ الـصـالـحـونـ ، وـ حـفـظـةـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ ، وـ الـعـامـلـوـنـ فـيـ حـقـلـ الـدـعـوـةـ الـإـسـلـامـيـةـ الـمـارـكـةـ ، وـ هـيـ أـسـرـةـ مـعـرـفـةـ بـمـنـطـقـتـهاـ بـالـأـسـرـةـ الشـرـيفـةـ يـتـمـيـ إـلـيـهاـ الشـيـخـ مـحـمـدـ مـرـتضـيـ النـقـوىـ أـمـيـنـ مـكـتـبـةـ نـدوـةـ الـعـلـاءـ ، وـ الشـيـخـ مـحـمـدـ عـبـدـ اللهـ مـدـرـسـةـ وـ تـقـلـيمـ الـقـرـآنـ ، بـسـنـدـيـهـ بـمـحـافـظـةـ هـرـدـوـيـ ، وـ الـعـبدـ الـمـتوـاضـعـ رـزـاقـ هـذـهـ إـلـسـطـوـرـ ، خـفـقـ كـانـ

الشيخ جدنا لأعلى<sup>١</sup>.

كان والد الأمير صديق حسن يرتبط بهذه الحركة العظيمة وساهم فيها مساعدة فعالة، وبقى مع الإمام إلى عام ١٢٤٢ = ١٨٢٦ م وكانت أسرته هي الأسرة الثالثة التي هي موضوع بحثي و دراستي ، عاد الشيخ اولاد حسن إلى بلده «فوج» حاملاً تلك الرسالة التي خاض ل أجلها الإمام السيد معارك شديدة ضد قوى الشر و الصغيان، ووقع شهيداً في سبيل الله ، فقام ينشر هذه الرسالة و يعمل للدعوة و الإصلاح و محارب البدع و التقاليد البالية ، و العادات الهندوسية الفاسدة في تلك الأحياء ، وقد نجح الشيخ بمحاجاً باهراً ، و عاش حياة مليئة بالخير و البر و البركة و ال�مة ..

و نحدث الأمير حسن عن والده و مكارمه باسهاب في كتبه العديدة ! أبجد العلوم و انحاف النباء و إبقاء المتن خاصة ، و بحسن بنا أن نذكر بعض ما كتبه في كتابه «أبجد العلوم» يقول : « كان في التقوى و الديانة و اتباع الحق و اقتداء الدليل و رد الشرك و البدع آية باهرة و قدوة كاملة و نعمة ظاهرة من الله سبحانه و تعالى : و له مؤلفات باللغات الثلاث : الهندية و الفارسية و العربية ، منها رواه نجات ، و هداية المؤمنين ، و نور الوفا من مرأة الصفا ، و رسالة في معنى الكلمة الطيبة ، و رسالة في رد التعزية و الضريح ، و رسالة في آداب التذكرة ، و رسالة في آداب البيعة ، و كتاب في الحدود و الفصاص سماء بالاختصاص ، و تقوية اليقين في الرد على عقائد المشركين - إلى

(١) الشيخ غلام رسول مهر : جماعت مجاهدين .

الشيخ جعفر على التقوى : وسائله الست : ص ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ .

غير ذلك مما يسر عده<sup>(١)</sup> وافقه المتن يوم الخميس عام ١٢٥٣ هـ = ١٨٣٧ م قبل الظهر ، وخلف ورائه ابنيه احمد حسن العرشى . وصديق حسن . وثلاث بنات وهن : فاطمة ومریم ومحمدى بكم ، وترك ذخائر الكتب القيمة :

موت النّق حيّة لا انقطاع لها . قد مات قوم وهم في الناس أحياه

#### ٦ - الشيخ المفتى محمد عوض العثماñ

##### جد الأمير لامه

كان العلامة الشيخ أولاد حسن قد ترك المذهب الشيعي عن عقيدة و دراسة و إيمان كما ذكرنا سابقاً ، ولم يرض بأن يتمت إليه بصلة ما ، لذلك عرض عليه الزواج مع إحدى بنات بيت الشيعي الثرى ، ذي غى طائل . و مكانة رفيعة ممتازة بمدينة لكهنت ، فرفضه رفضاً باتاً ، و آثر أن يتزوج في بيت أهل السنة ولو كان فقيراً خاملاً . فطلب يد بنت الشيخ العاضل المفتى محمد عوض العثماñ الكريمة اسمها نجحيب النساء بكم ، ولم يكن من تقاليد الأسرة أن تعقد روابط الزواج إلا في الأمر الهاشمية الفاطمية (في آل البيت) وكان السيد المفتى ينتهي إلى سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ولكن العلامة انتق هذا البيت لدينه و تقواه ، ولكونه من أهل السنة .

كان سماحة المفتى من كبار علماء عصره في علوم القرآن والحديث والفقه والقراءات السبع ، وقد ألف بعض الرسائل في التجويد عام ١١٨٨ هـ = ١٧٧٤ م ، وكانت توجد في مكتبة العلامة حسن . كان السيد المفتى من ساكني بلدة بدايون ، العلمية الأرثوذكية

(١) ص: ٢١ - ٤٢ .

(٢) مأثر صديقى ج ١ ص ٦٧ .

الشهيرة بولاية أترا برديش ، ثم اتقل إلى « بانس بربلي » ، وهي إبضا مدينة العلم و الفضل في الولاية نفسها ، و اختير لها مفتيا عاما لغزاره علمه و فضله و تقواه و زهره و قناعته ، و احتل بهذه الخصال الحيدة مكانة كبيرة بين الناس يقدرونها و يحترمونه و يجلونه ، ولم يكن يقبل من الأمراء و الحكام هدية ولا مساعدة مالية ، وقد حكى أن أمير الولاية « آصف الدولة » <sup>١</sup> ورد « بانس بربلي » ، وحضر لزيارته و قدم إليه أموالا طائلة و مجوهرات نفيسة ، فاعتذر الشيخ ولم يقبلها .

كان الإنكليز في ذلك الحين حديث العهد بالاستيلاء على الولاية . وكان الناس راقين عليهم ، وعلى أمرهم المستبدة و قوانينهم الجارحة ساخترين ، وحدث أنهم فرضوا عليهم ضريبة مرهقة فافجر الناس غضبا و ثورة ، فخاول سماحة المفتى أن يحمد هذه الثورة ، و نصح الناس بكظم الغيظ و الصبر و الصمت لثلا يقعوا في مشاكل و مصائب واضطهاد ، ولكنه لم ينجع في محاباته ، واستطاع الإنكليز بقوة جيشهم و شدة باسهم أن يسيطروا على الموقف تماما ، فقتلوا و ذبحوا و اضطهدوا و أسروا عامة الناس و خاصتهم ، وقد نجا سماحة المفتى برحالته إلى بلدة « رامبور » ، ومن هناك إلى إماراة « تونك » ، فرحب به أميرها السيد أمير خان وأكرمه ، و كان الأمير رجلا طيبا عجلا للعلم و الدين و رجالها ، و مجاهدا كبيرا و مكافحا جليلأ ،

(١) الأمير آصف الدولة كان من أجل أمراء الولاية وأجودهم ، شيد في لكتهؤ عاصمة الولاية بنايات شاسعة منها تذكار عظيم لا يزال يشير إلى عظمته و محنته ، و يسمى « إمام باره » أي مقر الإمام ققام فيها حفلات الشيعة ، ولد الأمير عام ١١٦١ هـ وتوفى عام ١٢١٢ هـ

قاتل القوى المعادية للإسلام والبلاد . و كان من ألد أعداء الإنكلز ، وقد ساعد كثيراً أمير المؤمنين السيد أحد الشهيد وأصحابه ، فاحتقى الأمير بالمقتى وأعد له أسباب الراحة والسكنية والطمأنينة ، ولم يلبث سماحة المفتى طويلاً حتى وافاه الأجل و دفن هناك - رحمة الله تعالى رحمة واسعة .

### ٧ - الشيخ أحمد حسن العرشى

#### شفيق الأمير

ولد الشيخ أحمد حسن العرشى في بلدة فوج ، يوم السبت ١٩ / رمضان المبارك سنة ١٢٤٦ هـ الموافق ١٨٣٠ م ، كان شقيق السيد الأمير الوحيد ، وأكبر منه بستين .

قد أُوْتَ من الذكاء والفطنة والفهم وال بصيرة ، و قوة الذاكرة وجودة القرية و حسن المعاشرة وبهاء الكتابة والإنشاء نصياً وافراً . كان الشيخ ضعيف البنية ، تحيف الجثة هزيلاً نحيلًا ، و لكنه كان ملوماً بالعلم والفضل والتقي والتبرع والابتكار والجد والاجتهاد . انتهى بكتاب بلده و قرأ القرآن الكريم أولاً حسب التقليد الإسلامية بالهند . و نال دراسته الابتدائية هناك ثم سافر إلى مدن كانيور و فرخ آباد و بريلي و على كره ( بولالية أترا برديش ) لينهل من مناهلها الصافية و يقرأ على علمائها و أساندتها و يشارك في مجالسها العلمية و محافلها الأدبية و الشعرية <sup>١</sup> ، كان شاعراً مطوعاً قدراً يتجعل القصائد و يقرضها باللغة العربية و الفارسية و الأردية ، كان أستاذه في الشعر كبير شعراء البلاد الميرزا أسد الله خان غالب <sup>٢</sup> كما قال عنه

(١) أبجد العلوم ج ٢ ص ٩٣٦ ، و مأثر صديقى ج ١ ص ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ .

(٢) مأثر صديقى ج ١ ص ٧٥ و ٧٦ ، وإن أسد الله خان ثانية كان من كبار شعراء الهند ، له ديوان باللغتين الأردية و العارسية ، و كان شاعر البلاط .

فييت شعر ترجمه كالتالي :

دبرزت على الناس جيماً بشرى لأنى استلهمت الشعر  
من الميرزا غالب الذى اشتهر بيانه المعجز ..... درس الكتاب والسنة  
و قسا من الفقه على الشیخ العلام عبد الغنی بن أبي سعید الفاروقی  
المجدد نزيل المدينة الطيبة و دفینها ، وقد عثر صاحب مآثر صديق  
الأمير على حسن ابن الأمير ، على وثيقة بحمل الشیخ العرمی عن  
الشهادات التي حملها عام ١٢٧١ هـ نذكرها نقلًا من كتابه و هو

كما يلى :

يقول الفقیر أحمد بن حسن - عفا الله عنه : اروى صحيح البخاری  
عن مولانا الشیخ الزاهد التقى عبد الغنی دامت برکاته ، وهو عن  
الشیخ محمد عابد ، وهو يروى عن إمام المحدثین و خاتم المجتهدين الشیخ  
صالح بن محمد العمری الصوف الشهیر بالفلانی عن شیخه المعمر المحقق محمد  
بن محمد سنہ العمری الفلانی عن الشیخ أحمد بن العجل عن فطیب  
الدین محمد بن أحمد النھروانی مفقی مکہ عن أبي الفتوح نور الدین أحمد  
بن عبد الله بن أبي الفتوح الحافظ الطاوسی عن بابا يوسف المروی  
المعروف به صد صالح ، أی المعمر ثلاثة سنہ عن محمد بن شاد بخت  
الفرغانی المکنی بابی عبد الرحمن عن أبي نعیان . يحيی بن عمار بن  
مقبول بن شاهان الخلاني و كان عمره مائة و ثلاثة و اربعين سنہ وهو  
أحد الأبدال بسم رقند وقد سمع صحيح البخاری جميعه عن الإمام  
محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفربی المکنی بابی عبد الله  
عن مؤلفه إمام المحدثین الحافظ الحجة أبي عبد الله محمد بن إسماعیل  
البخاری ، قال الشیخ محمد عابد : فيكون بيني وبين الحافظ البخاری تسعة

(١) ستحدث عنه في البحوث القادمة باذن الله تعالى .

نفس فيقع لى ثلاثيات ثلاثة عشر نفسا . و هذه الطريقة لم تصل إلى الحرمين إلا مع أشياخ مشابخنا كالشيخ المعمر عبد الله بن سعد اللاهوري ، وهذه الطريقة لم تبلغ ابن حجر ولا السيوطي لأنهما كانا بمصر والحافظ أبو الفتوح من رجال التمامنة كان بأبرقوه مدينة بخراسان العجم ، و كان موصوفا بالصلاح ، و بروى الحتلاني المذكور عن أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي ، عن أبي مصعب عن مالك أ مام المشهور موظاه و الشيخ محمد سنه بروى عن مولاي الشريف محمد بن عبد الله الودلاني المكنى بأبي عبد الله عن الشيخ محمد بن محمد بن خليل عرف بان أركاش الحنفي عن الحافظ ابن حجر العسقلاني مؤلف فتح الباري شرح البخاري وغيره - انتهى<sup>١</sup> .

و نال الشيخ احمد العرشى شهادة أخرى عن الشيخ عبد الغنى نزيل المدينة المنورة أيضا و هو كالتالى :

الحمد لله جدا دائما ، و الصلاة و السلام على رسوله قاعدا و قاما ، و على آله و أصحابه غانما و سالما - أما بعد : فيقول الملتजئ إلى رحمة ربه الحيد عبد الغنى بن أبي سعيد المجددي : إن الفاضل الفطن المولوى أحمد حسن أسبغه الله تعالى باللطائف و المنن ، قد فرأى على صحيح البخارى من أوله إلى باب جزاء الصيد وأسمته الحديث المسلسل بالأدلة و طلب من الإجازة لذلك الكتاب وغيره من الأمهات السنت و موطا إمام دار المجرة مالك بن أنس الاصبجى و غيرها مما تيسر لى الإجازة من والدى المرشد و الشيخ المهاجر أبي سليمان محمد إسحاق سبط الشيخ عبد العزيز الدهلوى و محمد بن المدينة الشيخ عابد السندى وغيرهم ، فأشفقت مرأمه وأخبرت له بشرطه

(١) مأثر صدقى بق ٢ ص ٧٦ .

المعتبر عن أهل الحديث من ملازمته التقوى وحججاته أهل البدع والآهواه والرجوع إلى أسباب الحديث ما يتعلق بسنته وغريب ألفاظه كالتهاية ومبجمع البخاري والتقريب والتهذيب والإصابة وغيرها وألزم عليه أن يسلك بصيرة عباد الله الصالحين من الصوفية السادة وفقهاء القادة والحدثين المستقيمين على الجادة، لا كابن حزم وابن تيمية. نجاه الله تعالى وجميع المسلمين من اتباع الموى، وصلى الله على سيد الورى ما أشرق النهار وعقب الدجى. بنبله عبد الغنى بن أبي سعيد المجددى الدھلوى سا محى الله بلطفه الخفى فى سنة ألف ومائتين و إحدى و سبعين . انتهى ( و الله الغنى و اتم القراء ) ، كان الشيخ أحمد بخنساً تضلع هذه العلوم النبوية وقدرة الشعرية الممتازة جندياً شجاعاً ومجاهداً كبيراً لم يكن له مثيل في هذا الفن، لا في أسرته ولا في عصره، لذلك كان مرهوب الجانب، معروفاً له بالبطولة والبسالة ولم يكن ليجرؤ قاطع الطريق ولا مفسد أن يقترب من بلده ومنطقته، حتى أن الثورة الوطنية العامة عام ١٢٧٣ هـ = ١٨٥٧ م التي نشبت خلاف الإيكليز وطردتهم من البلاد، لم تستطع أن تنشر الفساد والاضطراب والفوضى في بلده وفيماجاوره من القرى والمدن، وقد استطاع بحكمته وشجاعته أن تتعذر الثورة إلى الإضرار بعامة الناس الأبرياء ويقول عنه السيد الأمير :

«أخونا الكبير كان أساساً محكماً للرأت العلية وقياساً متوجاً للفضيلة الكبيرى، ميزان نقد العقليات، برهان عدل النقليات، ولد تاسع عشر رمضان يوم السبت وقت الإشراف سنة ١٢٤٦ هـ، وأخذ العلوم

(٢) نثاراً صدقي ج ٢ ص ٧٨ .

المروجة و الفتن الدرسية ، المترفة في بلاد شتى من أساتذة متعددين ، كبلدة دهلي وغيرها و ساح في البلاد ولا يلق جماعة من أهل العلم المدرسين و برع في الفضائل و جمع الفوائض المتذكرة كالرمى بالبندق والر Cobb على الأفراط ، ونظم الفضائل الغراء في انفارسية و العربية . و فاق الأقران في الذكاء و الفصاحة و فوة الحافظة وجودة الذهن<sup>١</sup> ، ذكر السيد الامير انه وجد بخط أخيه وثيقه حکى فيها عن منام رأه ، ويلقى ضوحا على مذهبة في الفقه و ذلك كما يلى :

أما بعد ! فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحرسة قنوج في مبشرة أربتها في اليوم الثامن من رمضان المبارك سنة خمس وستين بعد ألف و مائتين من هجرته ، رأيته وهو حسين ولوه ايضا من لون الخطبة ، وقده لا يشتكى منه فصر ولا طول ، فرأيت أنى أكلت معه الطعام و طالت بيده إلى فصعى فقربت الإدام إليه ، فتناوله بيده الشريفة ، وأخذ كأنه يأكل في فصعى ولم يبق شيء ، فقلت : أيها الحضرة أمن رأكم في هذا الزمان و صحبكم في المنام هل يعد من أصحابكم ؟ فأجاب بما مفهومه أنه لا يعد منهم : وأعطاني فلوسا ، وسألت عنه صلى الله عليه وسلم : ما بال الناس يتزكون الحديث بقياس المجندين ، مع أنهم فاسوا إذ لم يحدوا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوصوا أصحابهم بالعمل بالحديث ، والناس في هذا الزمان قد غلوا في ذلك و كفروا من أرشدم إلى اتباع السنة المخالفة لمذهبهم ، فشاهدت آثار الملال على بشرته صلى الله عليه وسلم من صنع الناس هذا . و كنت إذا سأله عن شيء أرى جسمه بأنه يمس جسم

(١) المصدر السابق ص ٧٩ ، و أبجد العلوم ج ٢ ص ٩٣٧ .

(٢) أبجد العلوم ج ٢ ص ٩٣٦ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و هو - صلى الله عليه وسلم - يتمطف على  
ويقبل على و وجدت له بعد هذه المبشرة محبة عظيمة من قلبي حتى أحبت  
أن جعلني الله فداء ، وأقتل في الجهاد و أنا أحبه ، و وجدته صلى الله  
عليه وسلم يرضى بالعمل بالحدیت<sup>١</sup> .

كان الشيخ أحمد حسن يقضى كثيراً من أوقاته في دراسة  
الكتب و مطالعتها ، و تأليف الرسائل و الكتب ، من أشهرها صبنا  
و أغزرها مادة و أحسنها نفعاً كتابه « الشهاب الثاقب » برهن فيه  
بالأدلة القاطعة على أن المذهب السلفي هو الأصح ، و هو كتاب قيم  
نافع في هذا الباب .

ذكرت سابقاً بأن الشيخ أحمد كان شاعراً مطبوعاً قدراً ،  
قرض الشعر باللغات الثلاث : الأردية و الفارسية و العربية ، و أذكر هنا  
أياتاً من قصائده العربية كنموذج :

نسم الصبا وافي سجيرا مطينا	فقلت له أهلا و سهلا و مرحبا
كأنك انفاس المسيح بحسنه	فأحييت صبا لم يبل قط مطلبا
فدينك يا نعم الصبا خير مقدم	فكل حام حين أقبلت رحبا
تضاهي لك الأغصان بالوجود راقسا	تحاكى لك الأطيار بالسجع مطربا
فيما لك ما أزهاك منعوا و أعبوا	و تنفسخ في الأشجار روحًا تميلها
أهل جنت من تلك الربي بر رسالة	فإن الصبا نعم الرسول لمن صبا

و يقول :

نعم فارق الشوق منك القواها	تذكرة أيام الصبا والليالي
إذا العيش أشهى ما يكون من الموى	و أطيب لذات تسوه الأعاديا
خضرة الأطراف و واقفة اللئى	و فاق الشايا بهـ كنـاتـ غـوانـيا

و جارت بخلاف الوعد بعد وفاته      وضفت بما يعزى الوشاة الأساعيا  
 كأن لم يكن بين الحبيب وبيننا      عهود ولم زرع العهود المواضبا  
 وقال أيضاً :

واسمي أحمد الحسن الحسيني      وجدى سدى خير العباد  
 وصلى الله فياض العطایا      على من حل في خير البلاد  
 متى وفقت غصون البان طرا      ورتحت الصبا والطير شادى  
 استأذن أمه مرات عديدة للتشرف بالحج وزيارة ، فأجابته :  
 سندهب سوبا إلى الحرمين الشريفين بعد أن تحمد نار الثورة ، ولكن  
 الأسباب لم تتها لأن تذهب الأسرة كلها ، و كان الشيخ العرشى  
 يتحرق شوقاً ولهفة إلى زيارة الأرض الطاهرة ، فخرج وحيداً فقة  
 بالله عام (١٢٧٦ = ١٨٥٩ م) ووصل إلى مدينة «برودة»، بولاية  
 سكرات وزل ضيقاً على الشيخ غلام حسين القنوجي وقد أصيب  
 في سفره بالإرهاق والتعب والجرب ، واشتد المرض حيناً بعد حين ،  
 وتحول إلى حمى صفراوية شديدة ، ولحق بالرفيق الأعلى بعد أيام  
 من مرضه وكان على لسانه عند الموت : لا إله إلا الله محمد رسول الله<sup>١</sup> .  
 وذلك يوم الجمعة بالناسع من جمادى الأولى (١٢٧٧ = ١٨٦٠ م)

ولم يتجاوز عمره عن ثلاثين سنة ، و كان شقيقه الأمير صديق حسن  
 حينذاك في بومال ، فلما سمع بوفاته حزن كثيراً وبكي طويلاً ، ورثاه  
 الشيخ الأديب حسن اليهاني بقصيدة طويلة ألمية ، نذكر أبياتاً منها :  
 خطب ألم وفادح قد أوجعا بمصاب ركن الدين يوم تصدىعا

(١) الأمير صديق حسن : أبجد العلوم ١٣٧ و نقل عن الشيخ محمد الحسن ، واحد من أصدقائه ، الذي كان موجوداً بذلك الحين ، ومآثر صديقى ج ٢

الزاهد الأواه مصباح الدجى من للفضائل و النوى قد جمعا  
 السيد المفضال أحمـد ...  
 لـكـارـمـ الـاخـلـاقـ ثـمـ توـسـعاـ  
 حـسـنـ الفـعـالـ الصـادـقـ القـوـلـ الذـىـ  
 بـحـرـ الـمـعـارـفـ وـ الـعـلـومـ أـخـاـ النـدـىـ  
 قـولـواـ لـأـهـلـ الـهـنـدـ فـلـيـسـكـواـ دـمـاـ  
 هـوـ نـجـمـهـاـ بـلـ بـدـرـهـاـ بـلـ شـمـهـاـ  
 دـامـتـ عـلـيـهـ مـنـ إـلـهـ مـرـاحـمـ مـاـشـنـ وـبـلـ اوـ وـمـيـضـ نـعـلـمـاـ  
 إـنـهـ آـيـاتـ مـنـ قـصـيـدةـ طـوـيـلةـ قـرـضـهاـ الشـيـخـ الـيـانـيـ أـثـرـ سـمـاعـهـ  
 هـذـاـ حـادـثـ الـفـاجـعـ،ـ وـ أـرـسـلـهـ إـلـىـ السـيـدـ الـأـمـيرـ الذـىـ كـانـ مـتـأـلـماـ كـثـيرـاـ  
 بـالـفـجـيـعـةـ إـلـىـ أـصـيـبـ بـهـ .ـ رـحـمـ اللهـ رـحـمـةـ وـاسـعـةـ<sup>١</sup> .

(١) مآثر صديقى ج ٢ ص ٦٥٠

الدكتور السيد محمد اجتباء الندوى



## المستعربة الإيطالية ماريا نلينو

١٩٧٤ - ١٩٠٨

في الثامن من شهر أكتوبر / تشرين الأول ١٩٧٤ غاب في إيطاليا وجه كريم المستعربة نابهة وابنة مستعرب شهير ، تلك هي الأستاذة الآنسة ماريا نلينو ، ابنة المستعرب الشهير كارلو ألفونسو نلينو ، أستاذ طه حسين وأبناء جيله من طلاب الجامعة المصرية (جامعة القاهرة اليوم) في بده تأسيسها ، وصاحب المؤلفات : البحوث الجليلة " التي يكاد يخوضها العد .

و كانت وفاة ماريا نلينو بعد شهور من المرض ، فقضتها صابر راضية ، كما قضت حياتها الطويلة (٦٧ سنة) صابر راضية على قسوة الوحنة ، ولكنها تركت في قلوب أصدقائها و محبيها أثرا لا ينسى في طيبتها ، و لطف معشرها ، و كرم نفسها ، و سمو أخلاقها .

oooooooo

كانت صلبي بماريا نلينو قد بدأ بالراسلة و أنا اصدر مجلتي " القلم الجديد " عام ١٩٥٢ - ١٩٥٣ ، فقد كانت ماريا حريصة على أن تتلقى أعداد المجلة في مواعيدها ثم ماتت المجلة بعد عام واحد من عمرها ، و انقطعت بعدها المراسلة بيني وبين ماريا .

ثم عرفتها شخصيا حين زرت إيطاليا لأول مرة في بعثة أدبية استغرقت ستة أشهر في عام ١٩٦٠ - ١٩٦١ وقد زرتها في معهد الشرق (Istituto Per L'oriente) في روما في الأسبوع الأول لوصولى إلى روما، وكانت هي (المديرية العلمية) للمعهد الذي كان أبوها مؤسسه وأول مدير على له، وظلت تدير المعهد حتى وفاتها. كان استقبال الأستاذة نلينو وديا وحارا وقدمتني إلى زملائها ومساعديها، وحين علمت أنني كنت في بعثة أدبية تستغرق ستة أشهر عرضت علىّ أن تهنىء لي في المعهد مكتبا أقوم فيه بأعمال الأدبية، وأستخدم الآلات الكاتنة في المعهد، والهاتف، والمكتبة، واستقبلتني فيها الأداء والأصدقاء.

ولم أكن، في الواقع، بحاجة إلى استخدام مكتب لعملي، غير أن البدارة بحد ذاتها كانت كريمة، ودالة على أربجية وطيبة قلب فلم يسعى إلا أن أعرب لصاحبة البدارة عن عميق امتناني وتقديرى، وكان معها مساعدتها الأستاذ بنغاني، وقد ألح بقبول العرض. وبعد أيام - صباح الاثنين ١٠ أكتوبر ١٩٦١ - أقامت الآنسة نلينو في المعهد حفلة معارف، قدمتني فيها إلى عدد كبير من المستشرقين والمستعربين من زملائها الذين كان يهمني أن أعرفهم. وكان لقائي ذاك لهم بداية صلة ما زالت ودية وثيقة مع الأحياء منهم.

ومنذ ذلك اليوم لم أنقطع عن زيارة المعهد، ولقاء مديرته العلمية وزملائها، أو عن الاتصال الهاتفى بها - وكثيراً ما كانت تتصل بي هاتفياً وتدعوني إلى المعهد.

و معهد الشرق في روما أسسه كارلو ألفونسو نلينو، والد ماريا ، سنة ١٩٢١ ، ليكون منتدى يجتمع فيه المستعربون و المستشرقون الإيطاليون ، ومكتبة مرجعية يرجعون إليها في بحوثهم و دراساتهم ، و دار نشر تنشر لهم أعمالهم العلمية في الحدود الممكنة ، و له مجلة شهرية تدعى الشرق الحديث (Oriente Moderno) تشمل على أهم أخبار العالم العربي و الشرقي ، منقولة و مترجمة عن صحف البلاد العربية و الشرقية ، لنظرل مرجعا شاملا و دائمًا لأحداث العالم العربي و الشرقي التي تهم المستشرقين عامة ، و تمضي المجلة كذلك تنشر بعض البحوث المهمة ، و ترجم الرأحين وأعلام الاستشراق والاستعرب ، و المقالات التي تعرض بعض الكتب الاستشرافية او العربية و الشرقية ذات الأهمية - و ما يزال المعهد ماضيا في اداء رسالته العلمية دون انقطاع ، و قد تولى إدارته العلمية ، بعد مؤسسه الأول نلينو ، المستشرق الكبير ايتورى روسي (Ettore Rossi) ؛ فلما توفى حل ماريا نلينو محله مديرية علمية للمعهد ، و ظلت في منصبها هذا حتى وفاتها عام ١٩٧٤ ثم تولاه بعدها مساعدها المستعرب بادلو بعنانى ، إلى أن توفي بفأة عام ١٩٧٨ ، و مديره العلمي الآن المستشرق روبرتو روبيانا لمى الذي كان مديرًا للمعهد الشرقي الجامعي في نابولي .

و في عام ١٩٦٤ / ١٩٦٥ عينت ماريا رئيسة لقسم اللغة العربية في جامعة البندقية ، وأستاذة للدروس العربية فيها ، إلى جانب عملها (مديرة علمية) لمعهد الشرق في روما ، وقد دعت في عام ١٩٦٦ إلى إلقاء محاضرة باللغة الإيطالية على طلابها ، حول الحركة الأدبية في الأردن ضمن جولة أقيمت فيها عددا من المحاضرات في جامعات

بالرمو ، و نابولي ، و روما ، وفي المساء أقامت لى حفلة عشاء تكريمية دعت إليها عددا من زملائها في الجامعة ، و كان ذلك آخر لقاء بيني وبين ماريا نلينو .

٠٠٠٠

الذى وجه ماريا نلينو نحو الاستغراب . كان والدها العظم وقد استفادت كثيرا جدا منه أستاذها والدنا و رفينا . وقد رافقته في أسفاره وأعماله ، وعرفت جميع أصدقائه ، فكانوا يكلهم أصدقائه لها من بعده . و بعد وفاته جمعت كل إنتاجه العلمي و الفكري الضخم في ست مجلدات كبار ، تضم الوف بالصفحات من النقطع الكبير . صدرت كلها في منشورات معهد تبرق في روما . و جعلت عنوانها « مجموعة كتابات منشورة و غير منشورة » . و في هذه المجلدات السبعة حرصت الأستاذة ماريا على ضم كل ما خلفه أبوها من بحوث و مؤلفات . و قامت بترجم ما كان قد كتبه بلغات أخرى إلى الإيطالية ، و من ذلك مجموعة الدروس التي كان والدها قد القتها على طلبة الجامعة المصرية في بدء تأسيسه عامي ١٩١٠ و ١٩١١ ، بعنوان « تاريخ الآداب العربية في الجاهلية حتى عصر بي أمية » ، و كانت هذه الدروس قد جمعت و نشرت في « دار المعارف » في القاهرة سنة ١٩٥٤ ، باشراف الآنسة ماريا نلينو نفسها . و كان طه حسين قد أشرف على هذه الدروس ثناء عاطرا في كتابه « في الأدب الجاهلي » ، و في مقالات لاحقة . و إذا كان طه حسين قد تلمذ على كلارلو نلينو ، و ذكره بكثير من الخير و العرفان ، فقد تلمذت ابنته نلينو بعد تلمذ على طه حسين ، و ظلت صديقة له حتى النهاية ، و كانت دائما تذكره بكثير من الاعتزاز

(٦٣)

## الاعتزاز و انعرافان .

٠ ٠ ٠ ٠

بعد وفاة ماريا نلينو ، رثاها زميلها و صديقها المستعرب الكبير فرنسيسكو غبريل ب الكلمة قصيرة في عدد سبتمبر / أكتوبر ١٩٧٤ من مجلة الشرق الحديث ، قال فيها : إن ماريا قد ورثت إرثنا علينا كات دائماً ما تشعر له برقة و اعزاز ، كما كانت تشعر بذلك ، و كانت حرابة الحرص كلها على استمرار معهد الشرق مزدهرا ، لأنها غرس من غراس أيها .

وقال غبريل أيضا :

لقد حرمت ماريا صغيرة من حنان الأم ، و قبل الأوان حرمت أيضاً من حنان الأب . و جابهت قسوة الأيام و قسوة الناس بقوه عقلها و إرادتها و حدهما .

و ختم غبريل كلمته الصادقة المخلصة بقوله :

لقد أعطت من نفسها اكثير ، ولم تزل من الحياة غير القليل

٠ ٠ ٠ ٠

و أما زميلها و مساعدها ثم خليفتها بعدئذ في إدارة المعهد ، بادلوبنغاوى . فقد كتب في العدد نفسه من مجلة « الشرق الحديث » ، مقالاً في أربع صفحات ، اوجز فيه سيرة حياتها ، و بعض أعمالها للعلمية ، وقد بدأه بقوله :

« حياة انقضت في رعى الذكريات العائلية وفي الدرس ، تلك هي الحياة التي ختمتها ماريا نلينو في ٨ آكتوبر ١٩٧٤ . ولكنها أيضاً كانت حياة وحدة ، مما جعلها تعتبر مرضها الأخير القاسي تجربة

لإيجابية، لأنَّه كشف لها كما قالت ما كان يحيط بها من عواطف المودة.

وختم بنعاتي مقالته بقوله:

فِي كُلِّ حَيَاةِهَا، وَفِي كُلِّ أَعْمَالِهَا، أَثْبَتَ أَنَّهَا جَدِيرَةٌ حَقًا بِالْاسْمِ الْكَبِيرِ الَّذِي كَانَ تَحْمِلُهُ، وَكَمَا كَانَتْ مَثَالِيَّةً حَيَاةً كَارْلُوْ  
أَلْفُونسوْ تِلِينُوْ وَأَعْمَالَهُ الْعُلْمِيَّةَ، بِمَزَاهِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَبِانْقِطَاعِهِ إِلَى الْعِلْمِ  
وَمُشَارِكَتِهِ الْعَظِيمَةِ فِيهِ، كَذَلِكَ كَانَتْ حَيَاةُ ابْنَتِهِ مَارِيَا وَأَعْمَالُهَا.

ثُمَّ خَصَصَتِ الْمَجْلِسَةُ صَفْحَتَيْنِ كَامِلَتِينِ لِسَرْدِ آثارِ مَارِيَا تِلِينُو  
الْعُلْمِيَّةَ، الَّتِي تَبْلُغُ ٤٢٤ أَثْرًا، مَا بَيْنَ كِتَابٍ وَبَحْثٍ وَدَرْاسَةٍ.

٠٠٠

وَأَمَّا موجز حَيَاةِ مَارِيَا تِلِينُو فَلِخَصْمَهُ فِي السُّطُورِ التَّالِيَّةِ:

وَلَدَتْ فِي بَالْرَّمَوِ - صَفْلِيَّةً - حِينَ كَانَ أَبُوهَا أَوْلَ رَئِيسِ  
لِقَسْمِ الْدِرَاسَاتِ الْشَّرِقِيَّةِ فِي جَامِعَتِهَا . وَكَانَ مُولَدَهَا فِي ٢٣ كَانُونِ  
الثَّانِي / يَنْيَارِ سَنَةِ ١٩٠٨ - وَتَوَفَّتِ أُمُّهَا وَهِيَ بَعْدِهِ فِي الْخَامِسَةِ مِنْ  
عُمْرِهَا، ثُمَّ تَوَفَّ شَقيْفَهَا وَهِيَ ابْنَةُ عَشَرَ سَنَوْنَاتٍ، وَلَمْ يَقِنْ لَهَا غَيْرُ  
أَيْهَا وَعَمَّةُ لَهَا اسْمُهَا «أَنَا مَارِيَا»، فَأَصْبَحَتْ لَهَا هَذِهِ الْعُمَّةُ أَمَا بَدْلًا  
مِنْ أُمُّهَا .

بَعْدَ قَرْبَةٍ قَصِيرَةٍ مِنْ وَفَاءِ الْوَالِدَةِ، اتَّقْلَتِ الْأَسْرَةُ إِلَى رُومَا،  
وَفِي سَنَةِ ١٩٢٩ تَخْرَجَتْ مَارِيَا فِي جَامِعَةِ رُومَا .

وَفِي سَنَةِ ١٩٣٨ تَوَفَّ وَالَّدُهَا، وَهِيَ فِي الْثَّلَاثَيْنِ مِنْ عُمْرِهَا،  
وَكَانَ أَبُوهَا الْمَثَالُ وَالْقَدْرَةُ لَهَا فِي الْعِلْمِ وَالْخَلْقِ، وَلَذَلِكَ أَحْسَتْ  
لِفَقْدِهِ بِفَرَاغٍ هَائِلٍ فِي حَيَاةِهَا . وَهِيَ الَّتِي كَانَ أَبُوهَا يَهْلِكُ آفَاقَ

عمرها، ويصحبها معه في رحلاته؛ ويشتركها في أعماله العلمية وقد نضجت بذلك نقاوتها واتسعت آفاقها الفكرية والنفسية، فاضطررت إلى العمل لإعالة نفسها وعئتها وبدأت حياة التدريس في المدارس التقوية أولاً، وفي عام ١٩٥٥ عينت في جامعة روما مدرسة للغة العربية، وبعد ذلك عينت مدرسة ثم أستاذة لدراسات إسلامية في الجامعة عينها، إلى أن انتقلت لتولى قسم اللغة العربية في جامعة البنديمة

سنة ١٩٦٥ .

وتقديرًا لفضلها وآثارها العلمية انتخبت عضواً في بجمع اللغة العربية في القاهرة .

٥٠٠٠

وأما أعمالها العلمية فنذكر منها ما يلي :

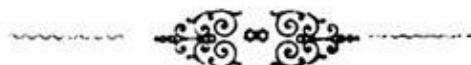
- النابغة الجعدي وقصائده - جزآن - ١٩٣٤
- حول ترجمتين عريتين لكتاب (الامير) لماكيا فيللي - ١٩٣١
- العربية السعودية - ١٩٤١
- ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، وخطوطه جديدة لكتابه كتاب الاستبصار - ١٩٤٧
- تسامح طيبة للإصلاح الزراعي والإسكان في (الجزيرة) السورية - ١٩٤٨
- أشعار النابغة الجعدي - ١٩٥٣
- التطور الاجتماعي في العربية السعودية - ١٩٦٢
- الجزء الثالث من الأيام ، لطه حسين - ١٩٦٣
- طه حسين و إيطاليا - ١٩٦٤

- وصف عربى فى منشور لمدينة روما - ١٩٦٤
- طبعة من القرن السادس عشر للقرآن ظهرت فى البندقية - ١٩٦٥
- مصر من وفاة قايتباى أى ظهور قانصوه الغورى - ١٩٦٥
- العالم العربى و البندقية إلى الحلات الصليبية - ١٩٦٦
- لحظات أساسية فى حياة أبي و مسيرته العلمية - ١٩٧٣

٠٠٠٠

ولعل أهم عمل فدمته ماريا نليليو هو اهتمامها بجمع أعمال  
والدها في ست مجلدات ضخمة، و إشرافها على تكملة ما لم يتمكن من  
إكماله في حياته، و ترجمة ما كتبه بالعربية و غيرها إلى الإيطالية،  
فقد كان هذا العمل الجبار شغل عمرها كلها، و هو جدير بأن  
يشغل عمراً بكامله.

الدكتور عيسى الناعورى



## أبو يوسف الكندي

و رسالته في الشعاعات

يعد الكندي أول فلاسفة الإسلام على الحقيقة ، و هو أول علامة في ميدان العلوم الإنسانية ، النظرية منها و العملية ، ولذلك كانت آثاره جديرة بعناية الباحثين .

و قد احتل هذا الفيلسوف العربي مكانة مرموقة لدى العلماء في الشرق و الغرب ، فأهل الشرق يعرفونه كمؤسس للفلسفة الإسلامية ، أما شهرته في الغرب فقد بلغت إلى حيث يعده الفيلسوف الإيطالي «كارданوس» المتوفى عام ١٥٧٦ م من الرجال الائذ عشر المبرزين في التفكير الناقد . وفي السطور الآتية نحاول إلقاء الضوء على حياته و بعض جوانبه العلمية المهمة التي عرف بها بين العلماء في الشرق و الغرب ، ثم نعرف برسالته في الشعاعات التي توجد خطوطها الوحيدة في مكتبة خدا بنخش بانكبيور (بننة) الهند .

اسمه و حياته :

اتفق أصحاب التراث على أن الكندي عربي صميم ، وأحد آباء

ملوك العرب ، يكنى أبا يوسم ، و اسمه يعقوب بن إسحاق بن الصباح .  
و نسبته إلى قبيلة كندة ، وهي قبيلة ذات بجند مؤثثة و مكانة عالية  
بين قبائل العرب .

ركتب الترجم لـ تعطينا الكثير عن حياة فيلسوف العرب ،  
ولم يعین أحد منهم عام مولده ولا عام وفاته ، على أن الأستاذ مصطفى  
عبدالرازق رحمه الله برى أنه ولد في أو اخر حياة أبيه حوالي سنة (١٨٥٠)  
خمس وثلاثين و مائة ، وأن آباء تركه طفلا فتشا في الكوفة في أعقاب  
تراث من السُّودَد و من الغنى ، وفي حضن اليتم و ظلل الجاه الزائل .  
و على هذا فلا سهل لمعرفة ظروف حياة الكندي ونشأته  
و تعلمه إلا استنباطا وقياسا ، أما تحديد تاريخ وفاته فعلى رأى المغفور  
له مصطفى عبد الرزاق أنه قد توفي في أو اخر سنة (١٩٥٢) اثنين و خمسين  
و مائتين من المجرة .

#### ثقافته :

لأنعرف شيئاً عن تحصيل الكندي ولا عن أساتذته ، ولا بجند عند  
بعض المترجمين سوى أنه نشأ في البصرة ، وأن نادبه كان في بغداد .  
غير أننا نستطيع أن نستبطئ ما كان له من مجد قديم مستمر ، وما كان  
لأبيه من منصب و ثروة و كرم مذكور ، أنه قد أتيحت له فرصة تعلم  
و تثقيف منظمين ، ثم إنه قد استفاد من الجو العلمي الذي يسود بيت  
الكبار ، الذي ينشأ من تردد العلماء و المفكرين و أهل النظر على مجالس  
الولاة الذين لم يكونوا قط - بحسب ظروف الدولة الإسلامية الأولى -  
 مجرد موظفين إداريين ، بل كانت تربطهم بالعلم و أهل الروابط الوثيقة .  
إذا لاحظنا أن الكندي قد تأدب ببغداد و أقام بها في أثناء  
ازدهار ملكاته و تفتحها حيث بلغت حركة ترجمة الفكر الأجنبي

ذروتها بفضل تشجيع الخلفاء ، استطعنا أن ندرك قوة الجو الفكري  
الذى فيه نبغ و فيه تفتحت مواهبه و تكامل نضجها .

ولاشك أن بدء حياة الكندي مع ترعرع علم الكلام الناشئ  
وازدهاره وسط حركة فكرية قوية و عناية بالعلم ، وضعت أمهات  
كتب الفكر الفلسفى تحت نظر المسلمين<sup>٤</sup>، وقد أتاح للKennedy تحصيل  
معارف واسعة ، فيها كثير من العناصر الممتازة . و كان عقله يتغذى من  
قراءة الكتب المنقولة على اختلافها ، و من الصلة اباشرة بكبار المترجمين  
الأولين ، و من المشاركة في المناضرات و الأبحاث الكلامية و الفلسفية  
المتنوعة التي لم تكن تخلو منها مجالس الخلفاء . و تدل مؤلفات الكندي  
على تبحر في أنواع العلوم ، وعلى شمول لكل ما كان يعني مفكري عصره  
من علوم كلامية أو فلسفية بالمعنى الواسع . ويقول القبطي عن الكندي :  
إنه المشهور في الملة الإسلامية بالتجربة في فنون الحكمة اليونانية والفارسية  
والهندية ، المتخصص بأحكام النجوم وأحكام سائر العلوم .

والحقيقة أن استعراض أسماء كتبه يدل على شمول لميادين المعرفة  
منقطع النظير ، و على أنواع من الاهتمام بكل الاتجاهات و التبارات  
الفلسفية في عصره لاتهياً إلا لاعقول الكبيرة .

#### مؤلفاته :

كان الكندي غزير التأليف ، وقد أورد له ابن النديم<sup>٥</sup> (٢٣١)  
واحداً وثلاثين و مائتين كتاب ، موزعة على (١٧) سبعة عشر نوعاً ، غير أن  
كثيراً من هذه المؤلفات تناولتها بد الضياع ، فلم يبق لدينا إلا بضعة  
و خمسون كتاباً طبع منها بالفعل أربعون ، و لا يزال الباقى مخطوطاً .  
إن أقدم ثبت بمؤلفات الكندي هو ذلك الذى أورده ابن النديم ،

و عن أخذ القسطى و ابن أبي أصيبيعة . و يبلغ عدد مؤلفاته بحسب ابن النديم (٢٤١) واحداً و أربعين و مائتين ، و بحسب القسطى و بحسب ابن أبي أصيبيعة (٢٨١) واحداً و ثمانين و مائتين . و للإِنْبِرِ مكارثي بحث أورد فيه المصنفات المطبوعة ، المخطوطة و المترجمة ، نشره سنة ١٩٦٢ م ، و هو بحث أولى نافع يعد أساساً صالحاً لتابعة البحث ، و خاصة لأنَّه ذكر المكتبات التي توجد فيها مخطوطات الكندي .  
و هذا العدد لرسائل و مقالات الكندي غير هائل - كَا يَدُو  
لنا أول ما يَدُو - ذلك لأنَّ قصار مقالاته لا تزيد أحجامها على ثلاثة  
صفحات أو أربع ، بينما أطول رسائله التي وصلت إلينا لا تبلغ عشرة  
آلاف كلمة .

و إذا نحن اعتبرنا ما شرَّفَ الكندي من الرسائل في المدة الأخيرة  
وجدنا أنه قد نال حظاً كبيراً من العناية ، على أن دراسة أوجه فلسفة  
الكندي لا تزال بحاجة إلى عناية أوسع و أعمق ، ذلك لأنَّ الكندي أقدم  
المفكرين العرب الذين يستحقون لقب فيلسوف على الحصر .

#### تصنيفه في العلوم :

لم يبتدع الكندي تضييقاً للعلوم ابتداعاً ، ولم يضعه ابتداء ، فقد  
سبقه إلى ذلك فلاسفة اليونان وبخاصة أرسطو و فلاسفة مدرسة  
الإسكندرية ، ولكنه حينما تكلم عن كتب أرسطو و عدتها و مراتبها  
و ضرورتها لطالب الفلسفة وأغراض المعلم الأول فيها في رسالته  
المسأة ، كتبة كتب أرسطو و ما يحتاج إليه في تحصيل الفلسفة ،  
أضاف إلى ذلك تفصيل القول في العلوم الرياضية ، و بين أهميتها  
و جعل لها السبق في التعلم على العلم الطبيعي ، بل على المنطق نفسه .  
ثم إنه أضاف إلى تضييف أرسطو للعلوم القائمة على المشاهدة الحسية  
من (٦٥)

من جهة ، و على البرهان العقلى من جهة أخرى ، علم المسلمين الخاص بهم و القائم على القرآن المنزلى عليه نبى و حيا من عند الله تعالى . و هكذا زى أن الكلدى كان أول من وضع لفکرى الإسلام التخطيط العام لتصنيف العلوم ، و قسمه قسمين أساسين : علوم فلسفية ، و أخرى دينية . و العلوم الفلسفية تشمل عنده الرياضيات و المنطق و الطبيعيات و الميتافيزيقيا و الأخلاق و السياسة .

#### الفلسفة :

قد اشتهر الكلدى في الفلسفة أكثر منه في أي فن آخر ، و شهرته هذه قد وصلت بحيث لقب « فيلسوف العرب » ، ولا شك أن هذه الناحية من حياته هي أبرز من الأخرى ، و آثاره في هذا المجال أكثر من آثاره في سائر الفنون .

و كان الكلدى قد ورث الفلسفة عن مدارس مختلفة المذاهب ، متعارضة الرزعات ، و الغالب على فيلسوف العرب أنه على رأى أرسطو في الزمان و المكان و الصورة و المادة و الحركة و الطبيعة و السبيبة و العقل و النفس ، غير أن ميله الشخصى إلى رأى الدين و تأثيره بما كان قد تسرب إلى الفلسفة المنسوبة إلى أرسطو من الآراء الأفلاطونية و الإسكندرية قد جعله يجانب أرسطو في بعض تفاصيل هذه المدارك . إنه يحيى مثلاً أن يكون العلم متاهياً في الواقع ، إن كنا نحن نستطيع أن تخيله غير متاه ، ثم إنه يحيى أيضاً أن يكون الزمان متاهياً من أوله .

ويرى الكلدى أن الرياضيات لا تكون بالاقتناع بالبراهين فإذا أخذنا بالاقتناع كانت ظناً من الظنون ، و الأعداد عند الكلدى متاهية في نفسها ، أي أن كل عدد منها يكن كثيراً فإنه متاه ، غير

أن سلسلة الأعداد يمكن أن تكون في خيالنا غير متاهية لأن بامكاننا أن نزيد عدداً بالجمع أو بالتضعيف بلا نهاية.

### علوم الطب:

يدل على تربع الكندي على عرش الشهرة في صناعة الطب، بل ابتكار العلاج أيضاً بما يناسب حالة المريض، القصة التي أوردها الفقطى عن إصابة ابن الناجر الذي كان جاراً له، وأنه قد برأ بعلاجه. وقد أورد ابن النديم عند ذكر تأليف الكندي الطبيات أسماء بضع وعشرين رسالة، لم يبق منها مع الأسف شيء. نستطيع أن نعرف به مذهبة في الطب والعلاج، ولكنها بلا شك تدل على شهرة الكندي في الطب ورسوخ قدمه في هذه الصناعة.

وللKennedy رسالة عن الأدوية المركبة، مفقودة في اللغة العربية، وله ترجمة لاتينية طبعت سنة (١٥٣١) إحدى وثلاثين وخمسين بعد الآلف من الميلاد في سترايسبرغ. وبعد هذا الكتاب أول محاولة لنقد الأدوية على أساس رياضي. ونظرية التي يذهب إليها الكندي في هذا التقدير أن وزن الدواء يتاسب تناسباً هندسياً مع تأثيره على البدن. وعارض الكندي أطباء آخرون، أو معظم الأطباء، فقالوا: إن هذا التنساب حسابي، ومن الفريق المعارض ابن رشد الذي أورد مذهبة في كتاب الكليات مصرحاً بنقد الكندي.

### عناته بالرياضيات:

إن نزعة الكندي الحقيقية كانت إلى الرياضيات التي نبغ فيها وغنى بها، وآية ذلك وفرة تأليفه عنها، وكذلك كانت له معرفة وبنية بالعلوم اليونانية، ولكننا لا نعلم متى تعلم الكندي الرياضيات، وعلى يد من من الأساتذة أخذها، وهل بدأ يتعلّمها في الكوفة

ثم انتقل بعد ذلك إلى بغداد أم أنه لم ينهل من معين الفلسفة والعلوم الرياضية إلا في دار السلام؟ والأرجح أن يكون الكلندي قد تعلم الفلسفة وما يتصل بها من علوم طبيعية ورياضية في بغداد، ويدركون من خصائص الكلندي البارزة دقته في تحديد الألفاظ الفلسفية وفي وجوه استعمالها، ثم إنه يبني البحث في الفلسفة على أساس الرياضيات.

والعلوم الرياضية التي أوجب فيلسوف العرب تحصيلها حتى قبل تعلم المنطق، ليتسنى لطالب الفلسفة أن يفهم علومها من الطبيعيات وما بعد الطبيعيات، أربعة: الحساب والهندسة والموسيقى والفلك. والفلك هو الأسطرولوجيا، ويسميه «التنبیح»، إنه المصطلح الذي شاع في عصر الكلندي، فكان الفلكي يسمى المنجم.

#### علم الفلك :

عرف العرب علم الفلك معرفة عملية لم تتجاوز سد الحاجة إلى الاهتمام بالنجوم ليلاً، و العلم بعد السنين والشهور، فعرفوا عدداً من الكواكب الثابتة مع مواضع مطالعها و مغاربها، ولكنهم ذهبوا في جعلها أشكالاً و صوراً مذهبها مختلف عن غيرهم من الأمم الأخرى.

وفي أواخر الدولة الأموية نقلت علوم الكيمياء والطب والاحكام، وعن الأمير خالد بن يزيد المتوفى سنة (٥٨٥) خمس وثمانين، بآخر إخراج كتب اليونان القدماء فترجمت له كتب الطب والنجوم والكيمياء. وأكبر الفتن أن ما نقل له من كتب علم الفلك كان في علم أحكام النجوم لا في علم الهيئة.

وتأثير العرب في علم الفلك بمذاهب الفرس، كما تأثروا

بذاهب الهند، ولم يكدر يطلع القرن الثالث حتى أخذ منجمو العرب يتبعون علما جديدا للفلك، لا هو هندي ولا فارسي ولا يوناني، ولكنه يميل نحو الحساب اليوناني لسهولته.

وقد عاش الكندي في الفترة التي أخذ علم الفلك يتحول فيها من طرائق الهند والفرس إلى طريقة بطليموس . ولم يكن فيلسوف العرب هو الذي جدد وحده هذا العلم وطوره، بل شارك في هذا التجديد عدد من المنجمين وأصحاب الحساب المعاصرين له . ولن يست بين أيدينا رسائل الكندي الفلكية لمعرفة مدى مساهمته في وضع الأسس الجديدة لعلم الفلك العربي، ومع ذلك توجد إشارات في كتب المتأخرین . وبعض رسائله المترجمة إلى اللاتينية يستفاد منها منزلة فيلسوف العرب في علم الهيئة وأحكام النجوم . من ذلك أنه يذهب في رسالته المسماة «في علل القوى المنسوبة إلى الأشخاص العالية الدالة على المطر»، إلى قسمة فلك البروج أقساماً متساوية، وفي كل برج منزلتين وربع منزل من منازل القمر، فكان بذلك أول من اتبع هذا المنهج الذي سلكه من جاء بعده .

ولا شك أن الكندي قد شق في علم الفلك طريقاً جديداً، سلكه خلفاؤه وبلغوا فيه النهاية، فانزعوا من فيلسوف العرب عرش الشهرة . ولكن شهرته في أوربا في العصر الوسيط فاقت شهرته عند أهل وطنه والاطقين بلغته حتى كان يسلك في أوربا أحد ثمانية هم أئمة العلوم الفلكية وترجمت له رسائل كثيرة في علم الفلك إلى اللغة اللاتينية ولا يزال بعضها موجوداً على الرغم من ضياع الأصل العربي . وتوجد كذلك بعض رسائله بالعربية لا تزال خطية ومتناشرة في مكتبات العالم لم يتوفَّر أحد بعد على نشرها .

رسالته في الشعاع :

قد أورد ابن النديم للكندي ضمن كتبه النجوميات ثلاث رسائل : الأولى كتاب رسالته في الشعاعات ، و الثانية كتاب رسالته في مطرح الشعاع ، و الثالثة كتاب رسالته في فصل ما بين التسخير و عمل الشعاع . وقد ذكر الآب مكارثي في مصادر الرسالة الأولى : الفهرست و عيون الآباء ، وفي مصادر الثانية : الفهرست و أخبار الحكاء ، وفي مصادر الثالثة : الفهرست و أخبار الحكاء و عيون الآباء .

مخطوطة رسالة الشعاعات توجد في مكتبة خدا بخش بانكيبور (بنية) رقم ٢٠٤٨ ، و ترجمتها في اللاتينية بكيمبردج و المتحف البريطاني . وفيما يخص هذه الترجمات اللاتينية لا اعرف هل هي ترجمات للرسالة في مطرح الشعاع أم للرسالة في الشعاعات ، إذ أن هذه المعرفة تقتضي مراجعة المخطوطات ذاتها (التصايف المنسوبة ص ٧٣ - ٧٢) .

نسبة الرسالة :

قد سبق أن أشرنا إلى أن معظم المترجمين للكندي قد نسبوا إليه رسالة الشعاعات حينما ترجوا له ، وهذا دليل واضح على صحة انتساب الرسالة إليه ، بصرف النظر عن ذلك هناك أدلة أخرى تصحح هذه النسبة . منها أن مخطوطة بانكيبور تحمل العنوان الآتي : « كتاب يعقوب ابن إسحاق الكندي في الشعاعات » .

و منها أن من عادة الكندي أنه يوجه تصانيفه إما لل الخليفة ، و إما لابن أحد الذي كان مؤذبا له ، و إما لأحد إخوانه من العلماء ، و إما لأحد تلاميذه . فحينما يكتب لل الخليفة المعتمد بصفته بنعوت تلبيق به ،

و يدعوه بالخير والسعادة . و بناء على ذلك نقطع بأن رسالة الشعاعات من تصانيف الكندي ، وأنه وجهها إلى أمير المؤمنين المعتصم بالله ، لأنه يقول فيها :

« أطال الله بقاء أمير المؤمنين وأدام عزه وتأييده وفضائله وكم سعادته وأباد عدوه » .

و منها أن المترجمين للKennedy ذكرروا له بعض التصانيف في موضوع الشعاعات وما يتصل بذلك ، وهذه يدل على أنه كان قد ألف فيه كتاباً ورسائل ، وأن الموضوع كان من ضمن اختصاصه و عمله . وهذا القدر يكفي في رأيي لتأكيد صحة نسبة الرسالة إلى الكندي .

#### موضوعها :

والKennedy يشير إلى أهمية موضوع الرسالة فيقول : « إنه ليس بصغر الخطر علم مخارج الشعاعات الشمسية و انعكاساتها عن الأجرام العاكسة لها والزوايا الحادئة عنها و نسب أبعاد النقطة التي تعكس إليها من الأجرام العاكسة في تزكية الأنفس الإنسانية و تهذيبها - الخ » .

#### وصف المخطوطة :

يبدو أن مخطوطة مكتبة خدا بخش (Bancilior) لرسالة الكندي في الشعاعات ناقصة ، فانا نجد في الصفحة الثانية منها العبارة الآتية عن موضوع الكتاب « فإن هذه خاصة جنس العلم المحيط به أعني » . فحين تبدأ الصفحة الثالثة بقوله « أحرق مراكب المغاربين له بشعاع الشمس ، وجب من هذه الجهة إثبات ذلك » . و من الواضح أنه لا يوجد ارتباط بين العبارتين ، ولذلك

نضطر إلى فرض أن هذه المخطوطة التي يرجع تاريخ نسخها إلى سنة (٥٨٩٠) تسعين وثمانمائة من الهجرة، قد نقلت من نسخة ناقصة، وقد شعر الناسخ بهذا النقص فترك الصفحة الثانية تنتهي عند قوله «أعني»، وبدأ الصفحة الثالثة بقوله «أحرق»، رجاءً أن يظفر في المستقبل بما يكمل به الصفحة الثانية. وهكذا نشعر بنقص في الصفحة الرابعة والثلاثين أيضاً، ولكن القطع بقدر الناقص يبدو عسيراً.

### قصة إحراق المراكب وتحقيقها:

والكندي حينما يذكر في الصفحة الثالثة «إحراق مراكب المحاربين بشعاع الشمس»، بشير بذلك إلى القصة المشهورة التي تقول: إن الروم حينما هاجوا في سنة (٢١٢ ق. م.)، اثنى عشرة ومائتين قبل الميلاد «سيرا كوز، بلد الحكيم أرشميدس فأحرق الحكيم مراكبهم قبل رسوها على ساحل البحر».

و هذه القصة تصدقها القرآن كما تويدها التصريحات التاريخية. ومن جملة القرآن أن هجوم الروم على سيرا كوز في سنة ٢١٢ ق. م، وجهود أرشميدس الدفاعية حينذاك من الحقائق التاريخية، فيقول المؤرخ الشهير بول بوس Polybus: «و ما كيانته كانت تستعمل بتأثير قوى ضد الروم في محاصرتهم لسيرا كوز. وكان اختراعها قد تم بحيث يمكن استعمالها للسافة القرية والبعيدة على السواء، وتلك الماكينات كانت تمطر الصواريخ بواسطة المنافذ في الجدران وبواسطة الأعمدة الطويلة المتنقلة... التي كانت ترمي أوزانا ثقيلة على مراكب الأعداء، وكانت تمسك مساطيلها ثم تفلتها في الهواء حتى تسقط فيها. بعد» (ت، ل، هيلث: تاريخ الرياضة اليونانية ١٦ - ٢).

و هكذا كان مهندس الجيش الروماني يعنف و يلوم المهندسين التابعين له ، و هو مفروع ، كما يذكر ت ، ل ، هيلث : « نحن لا نستطيع إنهاء الحرب ضد الأعداء الذين يستخدمون مراكبنا مثل الفناجين لتناول الماء من البحر ، و يجذبون ..... باستخفاف ..... . ثم يمطرون علينا الصواريخ كأنها تأتي من قبل مئات العفاريت المذكورة في الأساطير ..... » (أيضا ص ١٧) .

و تصريحات المؤرخ بولى يوس هذه تدل على أن أرشميدس كان قد أرهق المهاجمين الروم بتدابيره الميكانيكية و خاصة المجانق . و الأمر الثاني الذي يستلتفت انتباها هو اطلاق أرشميدس على علم المرايا ، لأن « ثاؤن » قد أحال على كتاب له باسم *Catoptrica* الذي أثبت فيه ، بمسألة انعكاس الشعاع الشهيرة في البصريات ، أن شيئاً لو أطلق في الماء ليبدو أكبر ، و كلما ازداد عمق الماء كبر حجم الشيء .

و هذان الأمران يؤيدان أن أرشميدس كان قد أباد المهاجمين الروم بمساعدة المرايا الحرقـة . و يؤيده تأريخـاً ما ذكره ت . ل . هيلث في كتابه المسمى « تاريخ الرياضة اليونانية » : « و قصة إحراق أرشميدس المراكب الرومية بالمرايا الحرقـة له تذكر في أي مصدر قديم قبل لوشيان ، .

و هذه القصة كانت قد وصلت إلى الكندي أيضاً ، ولكن لا عن طريق لوشيان ، بل بواسطة مصدر آخر سماه في مخطوطـة الرسالة بـ « اثناميوس » ، و لعله « اثنائيوس » *Athinaeus* و كان قد عاش ، حسب تصرـحـ هيلث ، في قرن المائتين الميلادي . و كان (٦٧)

و كان أثانياوس قد نظر إلى الفضة نظرة اتقاد ، و حصل على مقدمات علمية لترتيب المرايا حسب مقدرته ، كما ينقل عنه الكندي : « فحن ناظرون في ذلك بقدر ما يمكننا ، واصفون تهيئة ذلك مقدمات أشياء يسيرة نحن إليها مضطرون فيها نزيد من تهيئة المرايا ، فهذا قول أثانياوس » (ص ٣) .

و قد اتقاد الكندي قول أثانياوس هذا اتقادا شديدا فقال : وقد كان يجب على أثانياوس أن لا يقبل خبرا بغير برهان في التعليم وفي صناعة الهندسة خاصة ولا يوجد أيضا شيئا شيئا بغير برهان ، .

و الأغلب أن أثانياوس كان قد ذكر مثلا لكيفية صنع المرأة التي تعكس منها أربعة وعشرون شعاعا على نقطة واحدة ، ولكنه لم يبين كيف تعين النقطة التي تجتمع عليها الأشعة بعد وصولها : « وقد مثل كيف يعمل مرآة تعكس منها أربعة وعشرون شعاعا على نقطة واحدة ، ولم يبين كيف تكون النقطة التي يجتمع عليها الشعاع على أي بعد شيئا من وسط سطح المرأة » (ص ٣) .

و قد تولى الكندي بنفسه أداء هذه المسؤلية العلمية فقال : « ونحن نمثلون ذلك على أوضاع ما يمكننا وأقربه ، و مبنيه بالبراهين الهندسية ، و الجهة الأخرى التي ذكر على أوضاع ما يبلغه طاقتنا ، وتتم من ذلك ما كان ناقصا فإنه لم يذكر بعدها مفروضا » (ص ٣) .

ثم إن الكندي قد أدى هذه المسؤلية العلمية بالأشكال الهندسية ، منها أشكال إثباتية ، ومنها عملية ، ويبلغ عدد هذه الأشكال عشرين شكلا .

والكندي كان يرى في بعض الحيل الهندسية بأنها أفضل التدابير والحيل التي تم اكتشافها إلى عصره ، فيقول بعد شرح طريقة إعداد

المرآيا المحرقة : « و بهذه الخيلة يسهل علينا الإحرق على أيّ بعد شئنا ، لأن هذه المسطرة أسهل إتقانا من غيرها مما عملنا أو عمل أحد من قدماء اليونانيين من اتهى إلينا خبر عمله » (ص ١١) .

ثم يذكر الكندى المرأة التي تخرج منها الأشعة الأربع والعشرون و ترتكز على نقطة واحدة فيقول : « فاذ قد قدمنا من موضوعاتنا ما فيه كفاية في علم هذه الصناعة فلنذكر ما وعدنا ذكره مما قال إثنائيوس في ذات الأربع وعشرين شعاعا على أقصى المسالك إلى علم ذلك وإيهامه بتوافق ذى القدرة » (ص ٢٦) .

و يقول بعد ذلك : « نريد أن نعمل مرآة تعكس منها أربعة وعشرون شعاعا إلى علامة واحدة » (ص ٢٦) .

إلى أن يقول : « وقد يمكننا أن نعمل مرآة تعكس منها كل شعاع شئنا من العمود الخارج من مركزها أتفن مما عمل إثنائيوس » (ص ٣٠) .

وبعد ذلك يأتي ياض في الرسالة ، لأندرى ما قدر النافض في الرسالة . و يقول الكندى في ختام المخطوطة : « و بهذه التدبير تحد السطوح الباقيه التي ينعكس منها الشعاع الذى في جهة ص ب ، (ص ٣٦) .

وبعد هذا العرض الموجز أرى أن أشير إلى أن ابن الديم قد ذكر ضمن مؤلفات الكندى ، رسالته في عمل المرآيا المحرقة (ص ٣٦٥ ، طبعة مصر) و نحن لا ندرى عن هذه الرسالة وعن موضوعها شيئا ، ولكن العنوان يدل على أن الكندى قد تناول فيها موضوع إحرق الآنباء ، بمساعدة المرآيا ، وفي ختام هذا الحديث أود أن أوضح نقطة تهمى بهذا الصدد ، وهى أنى حاولت التوبيه بهذه المخطوطة بها في

موضوع الشعاعات و انعكاساتها . وأنا لست من رجال هذا الفن ، فلا يمكن لي أن أسلط ضوءاً كاملاً على موضوع الرسالة وأتقى نظريات الكندي وآرائه فيه ، فان لذلك علماء متخصصين ، وكل ما قصدت هو أن أقدم هذا الأثر إلى العلماء وأمكنتهم من الاطلاع على الرسالة حتى يستطيعوا معرفة منزلة الكندي في علم الشعاعات ومدى إسهامه فيه ، ثم يقوموا بالتعريف بالكندي ورسالته هذه التي نجحت في الحصول على صورتها و الكلام عن محتوياتها في هذه المقالة<sup>١</sup> .

الأستاذ الدكتور مختار الدين أحمـد  
رئيس القسم العربي و عميد كلية الآداب بجامعة  
عليكـره ( الهند )



(١) مجلة بجمع اللغة العربية (دمشق) الجزء الثاني من المجلد الحادى و الخمسين  
نيسان (أبريل) سنة ١٩٧٦ م .

## تعقيب على رسالة الكلمندي

### في كتاب الشعاعات

قرأت في العدد الثاني من المجلد الحادي والخمسين (ص ٢٤٤) مقالة الأستاذ الفاضل الدكتور مختار الدين أحمد عن كتاب الشعاعات و استفدت منها . وفيها يلي بعض التعقيبات :

١ - قال صاحب المقال : (ص ٣٥٢) : وفيها يخص هذه الترجمات اللاتينية لا أعرف هل هي ترجمات للرسالة في مطرح الشاع أم للرسالة في الشعاعات تأذنون لي أن أذكر أن الآنسة ماري تيريس د. الفيرني M. th. d' Alvery وهي من كبار المستشرقين في باريس نشرت في هذه رسالة اللاتينية مقالاً شافياً سنته Archives d' histoire Al-kiendi, De Radiis doctrinale et littéraire du Moyen age, vol. 41 (1979), p. 140s. و عندها أيضاً عكوس شمسية للخطوطة العربية من باق فور (المغرب إلى بانكي فور) . و تؤكد أن لاصلة بين النصين العربي واللاتيني .

٢ - و على ص ٣٥٥ يقول الأستاذ مختار الدين أحمد : أناطيوس ، ولعله أناطيوس Athinaeus ، و حفقت الآنسة د. الفيرني أنه أنتميوس Anthemius (وفي الخطوطة العربية فهو الكاتب ) ، فراجعوا المعرفة تفاصيل حياة هذا المؤلف اليوناني انسان كلبيديا بريطانيا أو ما شاكلها من كتب المراجعة .

٣ - الأستاذ مختار الدين لا يذكر هل هو يريد نشر هذه المخطوطة أو قد نشرها و المقال من مقدمته ، على كل حال لا بد من ملاحظة أن الأستاذ محمد يحيى الهاشمي من حلب قد نشر المخطوطة نفسها في ١٩٦٧ تحت العنوان : « مطارات الشاعر » ، وهذا على أساس مخطوطة كانت عند صديق له هو الأستاذ ذكي الدين . وقد طبع في الكتاب نص المخطوطة بطريق الأوفست . بما أن الصور الشمسية لأصل المخطوطة من باقي فور موجودة عند الآنسة د . الفيرفي أمكن لي المقارنة ، فوجدت أن ما نشره الأستاذ الهاشمي هو مخطوطة صديقه وليس فتوغرافات الأصل المندى .

٤ - وما يجب أن يزيد هو أن هذه المخطوطة نشرتها مجلة « العلم » من تونس عدد ٩ - ١٤ في سنة ١٩٧٢ - ١٩٧٣ في ستة أعداد متوازية « بحثاً بحثاً » . ولكن مع الأسف بدون أدنى ذكر مأخذة ولا بحث في محتوى الكتاب مع أن تلك المجلة مختصة بالعلوم الطبيعية يديرها كبار أهل العلم من تونس .

٥ - و ترجم الكتاب من العربية إلى الفرنسية ، مع مقدمة ، ولكن لم ينشر بعد .

و الكندى يرجع بنسبه إلى آل الأشعث . و عند محمد بن حبيب (المتوفى سنة ٢٤٥٠) في كتابه : المخبر (طبع حيدرآباد الدكن ١٣٦١ / ١٩٤٢) تفاصيل عن هذه الأسرة (ص ٢٤٤ - ٢٤٥) . و يتممها ما كتبه الأستاذ مصطفى عبد الرزاق في مجلة كلية الآداب عن الجامعة المصرية<sup>(١)</sup> (١٤٨ - ١٠٧ دسمبر ٢٠١١) .

٤ شارع طورتون - باريس  
الأستاذ الدكتور محمد حيد الله

---

(١) بجمع اللغة العربية (دمشق) الجزء الثاني من المجلد الثاني واتخرين أبريل ١٩٧٧